

البريد في تاريخ جلائل وحسين وخرقة

الجزء الأول
العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
جمال الدين محمد بن عبد الله

ع. ع. محمد الصوري

مكتبة
ع. ع. محمد الصوري
القاهرة

الباب

في تاريخ

جهاز وحسب وخلق

الجزء الأول
العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
عبد الوهاب محمد لاغبي وول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

مقدمة

حين نقدم هذا البحث إليك أيها القارئ الكريم عن تاريخ جازان وعسير ونجران، فإننا لا ندهى أننا أدركنا ما استحال ادراكه على غيرنا من الباحثين ذلك أن الحقائق التاريخية، بكلياتها وجزئياتها مرقومة في ذاكرة التاريخ ومبعثرة بين دفتي الكتب، مثل المعادن منها ماهر ظاهر على سطح الأرض، وما هو مطمور قريب إلى السطح، أو أدنى إلى العمق، ومقدار الظهور والخفاء، والقرب والبعد تكون المعاناة والجهد المبذول في اقتناص الأخبار والحقائق التاريخية، ومن لم يصلها.

واكتشاف الحقائق التاريخية، أوجزياتها، ومبك خيوطها في نسج محكم، مدعم بالأدلة والبراهين الواضحة، وعلى الوجه الذي يجعلها مقبولة لدى كل منصف، هو عمل يحتاج إلى جهد جهيد، لما يقتضيه من إيمان نظر، وفحص وتحصيل.

ولأنه أن الباحث في تاريخ تلك المناطق، منذ ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر، يجد الأرهاق عند تتبعه جزئيات تلك الحقائق التاريخية، من المصادر المختلفة، لأنها وإن كانت قد نالت حظاً من اهتمام الباحثين، فستجولوا تاريخها في العصر الحديث، لكنها لم تصل

الاهتمام نفسه من التسجيل في أطوار التاريخ، ومراحله السابقة، وإشها ذكرت عرضاً ضمن التاريخ العام لشبه الجزيرة العربية وتاريخ العرب والإسلام، وأصل القبائل وأنسابها وتفرعاتها، وهجراتها، واستيطانها، وما وقع بينها من حروب أو مصادمة ومصالاة، وماليل فيها من شعر أو روى من قصص ووقائع، وبخاصة عن العصر الجاهلي.

فالعرب لما كانوا أمة أمية، قليلو العناية بالكتابة، فقد استعاضوا عن ذلك بقوة الحفظ، وحفظوا موهبتهم على إعزاز ما تعلقه أسماعهم، في ذاكرة حفظ وأمية، بهرض حفظ تاريخهم، وأنسابهم، ووقائعهم وغير ذلك مما يحتاجون إلى تداوله حفظاً لكيانهم بين الأمم المعاصرة لهم، حتى إذا ما جاء الإسلام كانوا قد بنفوس الغاية في ملكة الحفظ، وفي الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن الكريم متحدثاً لهم في أهم ميدان برعوا فيه .

بدأ المسلمون تدوين علومهم بجمع أحاديث الرسول ﷺ ومغازيه مبدين في ذلك منهجاً لم يسبقوا إليه، وهو الرواية والاسناد، والجرح والتعديل، وهو منهج تميز بالدقة والافتقان، وشدة الحرص والتحرى في نقل الأخبار .

وكان ممن أروخوا في السير والمغازي مبكراً: هروة بن الزبير (ت ٩٢هـ) وعاصم بن قسادة (١٢٠هـ)، وابن هشام الزهري (ت ١٢٤هـ)، وابن حزم الأنصاري (ت ١٣٥هـ)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ) وابن هشام (ت ٢١٣هـ)، ثم تبعهم علماء أروخوا للإسلام

بالنهج الذي اتسم بالحرص والصرى في نقل الأخبار، إلى درجة مهمة في مصداقية الخبر، اعتماداً على الرواية والسند، دون التحليل في معظم الأحوال كالطبري (٣١٠هـ)، وابن سعد (٢٣٠هـ)، واللعبي (٢٤٨هـ)، وابن الأثير (٦٣٠هـ)، والمسعودي (٣٤٦هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، وبهم ثقة في كل عصر سلكوا نفس النهج أو قريباً منه.

ولحق فريق من علماء المسلمين معنى آخر، فصفوا في جغرافية الأرض وطبيعتها، وتحديد أقاليمها، وخصائص كل إقليم، من حيث الزمة والمناخ والكائنات الحية وغير ذلك مما هو ملون في كتب المعاجم والبلدان.

ومن الملاحظ أن من أرخوا للعرب في العصر الجاهلي، وبالأخص للسلول والممالك التي أقاموها، قد اعتمد بعضهم على ما نقله الاخباريون، أو ماورد في مؤلفات أهل الكتاب، وهي أخبار تسم في معظمها بالتضارب وعدم الثقة والواقعية، وغالباً أوردها هؤلاء المؤرخون بنوع من الخلط في مصداقيتها.

أما تاريخ العرب في ظل الإسلام، وكذلك تاريخ شبه الجزيرة، فقد وجد اهتماماً بالغاً من المؤرخين في مختلف العصور، وإن كان التركيز على بعض البقاع أو الأقاليم يجرد الاهتمام الأولي دون بقاع وأقاليم أخرى، وربما يعود ذلك إلى وجود السلطة الإدارية والسياسية في ذلك الإقليم، ولذا نلاحظ أن الأقاليم المناطة بالبحث والدراسة، قد

اهملتها المراجع في بعض الفترات التاريخية أو بالأحرى لم تسلط عليها
الأضواء كغيرها، وهذا شأن نظورها في كثير من البقاع.

وعلى كل فنحن نحاول جهدنا تتبع الجزئيات المتناثرة، وإعمال
خير طيها في محاولة لا يفتاح ما خفى من تاريخ تلك المنطقة معتمدين في
ذلك على المراجع الأساسية لتاريخ العرب والإسلام، وكتب المعاجم
والبلدان، والمؤلفات المنصفة في كل عصر، مستأنسين في ذلك بالدراسة
الوصفية التحليلية للأحداث والوقائع والأخبار، وظروف ودواعي
وقوع الحدث، وارتباطه بأحوال المجتمع والعصر الذي حدث فيه،
ومستعرضين الشواهد والأدلة على صحة ما نذهب إليه.

وبالرغم مما بذل من جهد وطاقة، فإن نتيجة أية مسألة تم التوصل
إليها، قد تكون موافقة للصواب، وقد تكون عرصة للخطأ، وهو أمر
مقتضى به في أعمال البشر، إلا من عصمه الله، وللمجهد منهم أجران
إن أصاب، وأجر إن أخطأ .. وما علينا إلا بذل ما في الوسع والطاقة
مستلهمين من الله التوفيق، داعين العلى القدير، المنزه عن الخطأ، أن
يلهمنا الصواب وأن يهينا الزلل، إنه سميع عليم.

المؤلف

الباب الأول

بلاد العرب

١- جغرافية بلاد العرب :

حفلت بلاد العرب بامتداد الجغرافيين العرب الأوائل، وأطلقوا عليها مجازاً جزيرة العرب^(١) لإحاطة البحار من أقطارها وأطرافها، فصارت منها في مثل الجزيرة من حواضر البحر^(٢) حيث تحيط بها مياه الخليج شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً.

ومع وحدة أرضها، وتشابه أحيائها في العديد من الخصائص، إلا أنهم حاولوا بشئ من الاهتمام توضيح طبيعتها الجغرافية، وقسموها إلى أقاليم ترتبط بتقسيمهم لأقاليم الأرض السبعة، تختلف إلى حد ما من حيث الطبيعة والتناخ، والخصائص الأخرى.

(١) إما كان ذلك مجازاً لأن الجزيرة هي منطقتها بها المياه من الجهات الأربع، وبلاد العرب تحيط بها المياه من جهات ثلاث فقط على الأرجح الأوائل، ولذا أطلق عليها: شبه الجزيرة العربية.

(٢) لصفاتي، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يثوب، التاريخ بعد عام ٥٣٥٠ هـ، صفة جزيرة العرب ص ٥٧.

فقالوا إنها تنقسم إلى خمسة أقسام هي : تهامة، والحجاز، نجد، والعروض، واليمن^(١) ويزيد بعضهم على ذلك بادية الشام، وبادية العراق، وأرض الجزيرة فيما بين دجلة والفرات^(٢) .

ومع وحدة أرض شبه الجزيرة العربية، والتشابه في كثير من الخواص إلا أن الجغرافيين العرب اعتنوا بالتفريق بين تلك الأقاليم من واقع الاختلاف في المناخ والمظهر التضاريسي، محاولين تحديد معالم كل إقليم، ومناخه من مفاوز وجبال، وقفاز ومناهل، وأودية، وزروع ومنازل للحضر، والبادية وغير ذلك.

والذي يعنينا من تقسيمهم هذا هما تهامة، والحجاز، ثم نجد واليمن من بعض الوجوه.

١- تهامة

المشارف عليه عند جغرافي شبه الجزيرة العربية تقسيمها إلى خمسة أقسام كما سبق أن ذكرنا:

١- تهامة ٢- الحجاز ٣- نجد ٤- العروض ٥- اليمن

(١) لعمري، المصدر السابق، ص ٤٧، ويقرت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ - معجم البلدان ١٣٧/٢، والقلقشندي، أبو الفتح أحمد بن علي، المتوفى ٨٢١ هـ، صبح الأحرار في صناعة الاتصاف.

٢٤٥/٤، وفيلسوف، صفي الدين بن عبدالحق، مرشد الأطلال على أسماء الأماكن والنبات، ص ٢٨٠.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم حمويه، صورة الأرض، ص ٢٩.

تهامة قسم من أقسام الجزيرة الخمسة، ورد اسمها في الكتب
(الكلاسيكية) عند ورود ذكر تجارة الطيوب والقايبة والأصباغ، ولارتداد
بعض بحارة اليونان لشواطئها على البحر الأحمر.

جاء في الخط المسند بأن الملك شرحبيل بن يحصب كان من نعتة
للكية في أول أمره "مَلِكُ سَبَأ" ثم أضيف إليه عندما توسع ملكه "مَلِكُ
سَبَأ وَزُرَيْدَان وَنَعْت" ثم "ملك سَبَأ وَزُرَيْدَان وَنَعْت وَتِهَامَة" ... إلخ.
والمقصود بتهامة هنا: تهامة اليمن.

أشرنا بحالیه إلى ماورد في الخط المسند من نعت الملك شرحبيل بن
يحصب ما يعرف منه أن اليمن كان يطلق على منطقة من مناطق ما شمل
ملك ذلك الملك لا الاسم السياسي المعروف الآن (اليمن).

والتعارف عليه على وجه العموم أن (اليمن) اسم جهة أكثر منه
الاسم السياسي الآن، فما كان شمال المستقبل للشرق فهو شام، وما كان
على يمينه فهو يمن، وهكذا كل جهة تطلق على ما هو شمالاً شام، وما
على يمينها يمن، وأكرر دليل على صحة ما نقوله ما ورد في كتاب (صفة
جزيرة العرب) لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الحماني المتوفى بعد
منتصف القرن الرابع.

فقد عقد فصلاً خاصاً في كتابه بعنوان "معرفة تفاصيل هذه الجزيرة
عند أهل اليمن" فقال: "هي عند أهل اليمن: يمن وشام، فجنوبها اليمن
وشمالها الشام ويحد وتهامة، فالحد ما أتحد منها من السبأ، وظهر من

رؤوسها ذاعباً إلى المشرق في استواء دوغما ينحدر إلى العروض، وحجاز هو ما حجز بين اليمن والشام، وسراة هو ما استوسق، واستطال في الأرض من جبال السراة مشبهاً بسراة الأديم، وعروض وهو ما أعرض عن هذه للراضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ... إلخ^(١).

وبهذا التعريف فالشام واليمن أسماء جهات أكثر منها أسماء مواضع، وعلى سبيل المثال فنحن في منطقة حازان إذا استقبلنا المشرق نقول لمن في جنوبنا يمن، ومن في شمالنا شام، وكذا أهل مكة يقولون لمن شمالهم شام، ومن جنوبهم يمن. فهي أسماء الجهات وأسماء الجهات ليس لها حدود متعارف عليها، وفيما بعد الحجاز يقال لسوريا الشام - بالتعريف - أما أين يبدأ الشام وينتهي، وكذا اليمن، فهذا لا يستطيع أحد أن يحدده على وجه الدقة في ذلك الزمن الذي نتحدث عنه تاريخياً.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية "... ومهما يكن من شيء فإن الجغرافيين العرب لم يلقوا عند استعمالها - أي اسم تهامة - بمعنى ساحل البحر أو الغور أو السفالة، بل تجاوزوا ذلك فجعلوها وحدة جغرافية وسياسية إلى جانب الحجاز ومكة والعروض، واليمن".

(١) صفا جزيرة العرب للهمداني، طبعه ابن أبيهيد، ص ٥٠، وطبعة دار البيلة لقصص، ص ٦٤.

والحق أن تهامة كانت في عهود مختلفة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية وحدة قائمة بذاتها، وشاهد ذلك عهد الوجود الفارسي بجنوب الجزيرة في نهاية القرن السادس عشر للميلادي.

وتهامة هي الخور الضيق الذي يسائر البحر الأحمر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب، وقد تناول الإدريسي تهامة بأوفى بيان فقال: إنه تتخللها جبال تخرج من خليج القلزم، ويفترع من هذه الجبال فروع تتجه جنوب المشرق، وشاعم تهامة من المغرب خليج القلزم، ومن المشرق تلال تسير شمالاً وجنوباً (المسراة).

ويقول الإدريسي: إن تهامة تمتد من سرجة إلى عدن اثني عشر يوماً - وأعتقد أنه يعني الشرجة وهي شرجة الموسم المدينة التاريخية - وأوسع موضع في تهامة هو ساحل حدة ثغر مكة ومن نواحي مكة في تهامة: ضنكان، وحشم، ويث، وعك، وروى المدائني أن من اجتاز وجرة وغمرة والطائف قاصداً مكة فهو في تهامة^(١).

وذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان) - ج ٣ ص ٣٨١ - في ترجمة علي بن محمد اتهامي الشاعر المعروف " .. نسبة إلى تهامة وهي تنطق

^(١) معرفة الخلف الإسلامية ٩٩:١٠ نقلًا عن الإدريسي.

على مكة، ولذلك قيل النبي ﷺ التهامي لأنه منها، وتطابق أيضاً على
جبال تهامة وبلادها، وهي عطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن."

هذا ماورد في المصادر المذكورة عن وحدة تهامة وتجزؤها كقسم من
أقسام الجزيرة العربية.

أما ماورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) من قول الحمداي عن أم
جندم وجبل (كنمبل)، وهو الاسم الوارد في المصادر التهامية (كنمبل).
فقول تفرد به الحمداي، وهو قول قيل في عصره وتفرد هو به تقريباً، وهو
تحديد إداري في وقت كانت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العباسية، وإلا
فجبل كنمبل هو في تهامة من بلاد كتانة قرب (القحمة) لا في (حمضة)،
كما يذكره الحمداي، فحمضة هي جنوب القحمة بـ (٢٢) كيلاً.

يوجد غرب القحمة جبالان، الأول في جهة الشمال يسمى
(الوسم) على منشاء القحمة، والآخر يسمى (كنمبل) وهو في الغرب
الجنوبي منها، ولطالما أشكل على بعض المؤلفين بين اسم (الوسم) آلة
التعريف بعنها وأو مفتوحة وسين ساكنة، الذي في شمال القحمة على
الساحل. وبين اسم (الوسم) يضم الميم ثم واو، ثم السين مشددة
مفتوحة، الذي هو في أقصى الجنوب الغربي من حدود للملكة العربية
السعودية، وبينهما أي بين الحدود من جهة للوسم وبين الحد الإداري
للقحمة (٣١٠) كيلاً تقريباً.

الحجاز *

يطلق الحجاز على سلسلة جبال، أعظمها جبل السراة، تمتد من اليمن جنوباً حتى بادية الشام شمالاً، وسمي بذلك لأنه يحجز ما بين تهامة ونجد^(١) وقال البكري: الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، ويقال له: السراة. أوله سراة ثقيف، وسراة قهم، وعذنان، ثم سراة الأزد، ثم الحرة آخر ذلك كله^(٢) أي أن ذلك آخر جبال السراة، وليس جبال الحجاز.

ونلاحظ أن هؤلاء الجغرافيين العرب قد بينوا الحدود الطبيعية الفاصلة بين الحجاز وغيره من الأقاليم، فمثلاً يقول المسعودي عند تحصيله حدود اليمن: حده مما يلي مكة الموضع المعروف بطلحة للملك^(٣)، وقال البكري: حدها مما يلي الحجاز، طلحة الملك إلى شرو^(٤) وشرون من عمل مكة أي تاهمه لعمالة مكة^(٥).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/٢١٨، البكري: معجم ما استعجم ٩/١، ولقمان، صفة جزيرة العرب ص ٥٨.

(٢) معجم ما استعجم، ١٥/١.

(٣) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، ٨٩/٢، وتاريخ مدينة صنعاء للرازي، بتحقيق العمري، ص ٥.

(٤) يبدو أنها حُرِّكت إلى شرون، فسروم وادي في الجنوب الغربي من صنعاء، ببلاد بني جماعة. انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥-٢٠٠، ٤٦٨، ٤٧١، وفي الأضواء يقول: الطلاح موضع طلحة للملك، وجميعها

مرتبعة في بلد واحدة من همدان، وهي من أحواز أريظ.

(٥) البكري معجم ما استعجم ١٦/١.

ويزيد الأمر وضوحاً قداسة بن جعفر الكاتب، وهو يصف الطريق المؤدى إلى مكة المكرمة، ومافيها من منازل، وقرى، وآبار وفروعها، محدداً المسافات بين المنازل والباقاع الواقعة على الطريق. فيصف الطريق من مكة إلى صنعاء حتى يأتى إلى مدينة حرش. ثم يقول: ... ومن حرش إلى كربة^(١)، قرية عظيمة بينها وبين حرش ثمانية أميال، ومن كربة إلى النجدة، موضع البريد وفيه بعر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زيد^(٢)، ومن النجدة إلى سرور راح^(٣) إلى المهجرة وهى قرية عظيمة جميلة كثيرة العيون والأهل وفيما بينها - أى للمهجرة - وبين سرور راح، شجرة تشبه شجرة الفسرب إلا أنها أعظم، في رادى طلحة للملك وكان النبى ﷺ حجز بها - أى بتلك الشجرة - بين مكة واليمن، ومن المهجرة إلى عرقة، منزل في جبل فيه أعراب من حولان، وهى أول عمل اليمن، ومن أعمال صعدة^(٤) أى أن ما بعد عرقة منزل ينزله بعض قبائل حولان هو أول عمل اليمن. وهو غالباً بأرض حولان بنى عامر.

ونلاحظ أن ابن خردادبة جاء بما يؤكد ذلك، حين ذكر غلاف مكة فقال: الطائف، ونجران، وقرن المنازل، والفسق، وعكاظ، والزينة، وتربة،

(١) نزل فيها "كربة" للرجوة حالياً بهذا الاسم بأرض قحطان بالمغرب.

(٢) بمخلاف السحول بأرض اليمن، صفة جزيرة العرب ص ٢١٧.

(٣) الصواب: سرور بلسين، بدلاً من الشين.

(٤) انظر: الفرج ومنامة للكتابة، ص ٨٦، ٨٧، لقدامة بن جعفر للكاتب بنهوان الفرج بالقبولة القياسية

(ن. ٣٧٧) بمسقيق. هـ / حميد حسين الزبيدى، وابن خردادبة ص ١٣٥.

ريشة، وتباله، والمهجورة وثجة، وجرش، والسرة^(١) وغيرها .. فقد ذكر هنا أن بحران من غياليف مكة وكذا السرة.

وقال وهو يصف الطريق من مكة إلى اليمن، وبعد أن يعدد البلدان حتى كتنة: ثم التجة، ثم إلى سرور راح، قرية عظيمة فيها عيون وكروم، ثم إلى المهجرة، وفيها بين سرور راح والمهجرة، طلحة للملك بها شجرة عظيمة تشبه الغرب^(٢) غير أنها أعظم منه، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن^(٣) وللهمجرة من أعمال صنعته بينها وبين صنعته حوالي ٥٩ كيلاً^(٤).

ويقول القلقشندي حلود اليمن مع مكة الموضع المعروف بطلحة للملك، وما على سمت ذلك إلى البحر^(٥) أي البحر الأحمر.

كما يقول صاحب تاج العروس: بحران يُعد من غياليف مكة، فتح سنة عشر من الهجرة صلحاً على الفتي^(٦) وفي موضع آخر قال: من بحران

^(١) المسالك والممالك لابن عرطبة، ص ١٢٢.

^(٢) شجر الغرب، هو شجر كبير الحجم مثل شجر الصنصال، وقيل هو الصنصال، وكان يصنع منه قسسام لثامته، وله فوائد طبية ذكرها القزويني في كتابه "معالم الملوكت" ص ١٧١.

^(٣) المسالك والممالك ص ١٢٥.

^(٤) انظر مكة جزيرة العرب ص ٢٥٠، ص ٣٣٩، ص ٤٢١.

^(٥) صبح الأضي في صناعة الاكشا ١/٥، ٤٤.

^(٦) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٥٥٦/٢.

التي هي من أعمال مكة^(١) . وذكر بعض الأسماء الشهيرة، ونقل
الفلقشندي: أن بحران صقلاً مفرداً^(٢) أى إقليماً قائماً بذاته.

وقد أورد ابن زبارة العبارة التي قالها صاحب معجم البلدان نقلاً
عن الأصمعي عند تحليده حدود اليمن، فقال: "اليمن ما اشتمل عليه
حدودها ما بين عمان إلى بحران"^(٣) . لأن "إلى" تفيد هنا انتهاء الغاية
للكائنية فلا يدخل في الغاية ما بعدها، أى أن أرضها هي المنطقة الواقعة فيما
بين عمان وبحران، وبذلك تخرج كل من عمان وبحران عن حدود وأرض
اليمن .. وهذا فعلاً ما يقول به التاريخ .. وما تنقصى أدلته في هذا البحث.

ونقل الفاسي أقوال من سبقه^(٤) كابن عرداذبه، والفاكهي،
والحازمي، وغيرهم محرراً كلاً منها، ومنتهاً إلى ما قاله الفاكهي من أن
آخر مخاليف مكة عن طريق تهامة فيما مضى هي بلاد عك^(٥) وأن آخر
أعمالها ومخاليفها بطريق صنعاء هي بحران.

(١) نفس المرجع، والمقدمة للمشهد.

(٢) صبح الأحمى ٤١/٥.

(٣) مختصر أخبار اليمن وولاياته في الإسلام، المطبوع مع مجموعة ضمن كتاب: الأبناء عن دولة بلقيس وسبأ، ص ٢٧٧.

(٤) نظار شفاء للفرام، ج ١٠، ٧١٠-٧١٤، وأيضاً كتاب المنشي في أخبار أم القرى، ٥/٢.

(٥) سطرش إلى بلاد عك فيما يأتي عند ترتيب الرسائل للولايات أواخر عهده.

كل تلك المواقع التي أوردناها واقعة في إمارة عسير - من البلاد السعودية - وأقصاها جنوباً "كتنة" يقع في بلاد وادعة التي تنتشر في منطقة ظهران الجنوب وما حورها وفق مواقعها على طريق الحج.

وعموماً لقد كان العلماء الجغرافيون العرب يحددون تلك المواقع التي على طريق الحج بحسب الوضع الإداري ككل منهم في عهده، فإذا اتسع الحكم لمكة امتد نحو الحدود التابعة لها، والعكس بالعكس، فذلك يختلف باختلاف الأزمان والحكومات، والجغرافيا السياسية والإدارية في كل زمان ومكان فهي موضع للإمتداد والإنكماش والتغير والتبدل بحسب ما تقتضيه مصلحة الإدارة.

أما الحدود الحقيقية فهي تشمل بلاد عسير، وبلاد قحطان، وبلاد وادعة، ومعاينة الطوائف مبنية على الحدود الطبيعية الحقيقية بين حكومتي المملكة واليمن بموجب لجان مشتركة من قبائل الأرض في السعودية واليمن، وشخصيات مسؤولة من الحكومتين أرتضتهم الحكومتان واختارتهم، وعملت المعاضد ووقعت عليها اللجان في عين الزمان والمكان، ووضعت الأعلام والصوى عليها.

غير أن سلطة ولاية مكة فيما مضى كانت تمتد لتشمل تهامة، وعسير وجران في عهد الدولة الإسلامية المرحلة، عهد الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، وعهد بني أمية والعباسيين.

ونحن من جانبنا سنأتي على ما يليد هذا التفوذء وامتلداد السلطءءء
ءلال السرد التاريخي لعهد الخلفاء الراشدين؁ وبني أمية؁ والعباسيين.

ومما يلاحظ أن أسماء بعض المعالم التي ذكرها هؤلاء عند تحديدهم
الحدود الطبيعية؁ مارالت قائمة حتى وقتنا الحاضر؁ وبعضها الآخر اندثر؁
غير أن كثوراً منهم أوضح مقدار المسافات بين تلك المعالم؁ ويمكن
الاستئناس بذلك لمعرفة ما اندثر منها؁ كما يلاحظ عدم الدقة في التحديد
لدى البعض؁ وذلك بالمقارنة بالتحديد الدقيق في العصر الحديث.

وعموماً فإن الأطوار التاريخية للمنطقة موضع الدراسة؁ من حيث
اعتبار تلك المعالم الحدودية؁ أو عدم اعتبارها؁ أو زيادتها أو نقصانها؁
كان يخضع غالباً لسنة اعتبارات لعل من أهمها: حركة القبائل؁
واستيلائها؁ وهجراتها؁ والاعتبارات التي كانت تحكم قبائل وسط شبه
الجزيرة العربية؁ منذ ما قبل الإسلام؁ حتى خضعت لعوامل التنظيم الإداري
والسياسي في ظل الإسلام؁ وشغل هذا التنظيم الأرض التي يقيمون عليها؁
بذخولها في إطار الدولة الإسلامية؁ التي وضعت ترتيبات إدارية شرعية؁
شملت الأرض؁ وما يخرج منها من زروع؁ وما يدب عليها من كائنات؁
ومن يسعى في حباتها طلباً للرزق..

ومن خلال حركة القبائل؁ والزيارات الإدارية في ظل الإسلام؁
نستزيد أيضاً لتاريخ المنطقة؁ ولعالمها الحدودية على ضوء ما يتم
استعراضه من الجوانب التاريخية على مختلف الأطوار في هذه الدراسة.

٢- موقع أقاليم جازان، وحسير، ونجران :

جازان :

هو الاسم الذي يطلق على المنطقة التي تضم مجموعة من البلاد، والبراري، قاعدتها الإدارية مدينة جازان، وكسالت تعرف في السابق بمخلاف حكم، ومخلاف عثر إلى أن وَحَّلتها أمورها سليمان بن طريف، في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، تحت مسمى: المخلاف السليمانى، ثم استمر علماً على للمنطقة^(١) إلى أن امتدت إليها يد الإصلاح في عهد الملك عبد العزيز فاندجحت ضمن كيان المملكة العربية السعودية، مما سيأتى إيضاحه فيما بعد.

وحلوله الجنوبية والشرقية تخضع للتحديد الذى تم إيضاحه في معاهدة الطائف^(٢)، ومن الغرب البحر الأحمر، أما الحدود الشمالية فتخضع للوثائق الإدارية لمناطق المملكة.

(١) هنتلي، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، ص ١٤.

(٢) حيث بدأ خط الحدود - الموضح في البند ٤٤ من المعاهدة - من النقطة للامثلة بين يرسى (البحيرة) والروشم (السعودية) على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع عمالاً إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية، التي بين يرسى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم تنحرف إلى جهة الشرق إلى عما سيأتى توضحه في موضحه من هذا البحث.

وشواطئه الساحلية قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن الكبيرة، ويتبعه مجموعة جزر بحرية، أشهرها جزيرة فرسان، وكان بالقرب من تلك الجزر مفاصات للؤلؤ، كما توجد بعض الشعب المرجانية.

أما أرضها فعلى ثلاثة أقسام:

١- مساحات ساحلية، متوسط عرض أربعة كيلو مسوات، وبها بعض الخمر فيما بين مينائي الشقيق، والقحمة.

٢- سهول خصبة رملية في الناحية الغربية، مما يلي المساحات ثم طينة عليها.

٣- حُزون يتخللها بعض الخمر، وهي غنية بالمراعي والفياض، والأراضي القابلة للزراعة، بالإضافة إلى الأراضي المنتجة زراعياً لأفضل أنواع المحاصيل والخضر والفواكه.

وذلك بالإضافة إلى منطقة جبلية، وهي قسم من سلسلة جبال السروات، بها منرجات زراعية غزيرة الانتاج^(١) وبها ٢٩ وادياً تفيض بمياه غزيرة، كوادى ييش، وادى تعشر، وادى علب، وادى جازان،

(١) انظر في كل ما سبق، التعليق، المصدر السابق، ص ١٦، ١٧.

الذى أقيم عليه سد من أكبر السدود في المملكة، كما أنها تحوى العديد من النيايح المعدنية، كمين الحارة، والرغرة، والبزة^(١).

٢- عسور

وكان يعرف فيما سبق باسم السراق، ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك^(٢) عسور وعلمها من غالييف مكة، حيث قال تحت عنوان غالييف مكة: "... بجده الطائف، قرن للنازل، الفتق، ببشة، للسراق، لبحران، وغالييفها بتهامة: ضنكان، عشم، بيش، عك".

لقد كانت المعلومات عن عسور قبل الإسلام بالقسبة إلى غيرها من أصقاع الجزيرة قليلة حتى سطع الإسلام بنوره، فألقت فترة قليلة، وهما هي حين انتقلت الخلافة إلى دمشق، وبدأت عزلة الجزيرة، فكانت عسور النقطة الأكثر تحجماً في تلك العزلة. حتى إن كتب التاريخ التهامية والجنوبية مثل تاريخ عمارة والخزرجي والديبع التي حفلت بتاريخ الإمارة الزيدية والنجاحية والأيوبية والرسولية، وحروبها مع أكمة اليمن والدولتين الرسولية والطاهرية. لم تورد شيئاً يذكر عنها، إذا استثنينا ما ذكره عمارة

(١) إيفلي، المصدر السابق، ص ٢٣٠١٩.

(٢) كتاب المسالك والممالك، ص ١٣٣.

عن ارتباط أمير حبرل بأسيو المنطقة الجنوبية ابن زياد^(١) عامل الخليفة
المأمون عسى تهامة.

وكانت السراة وصعوبة مسالكها مما زاد في عزلتها حتى قامت
الدعوة السلفية في نجد، فكان دخولها في الطاعة السعودية هو ثاني أعظم
وأكبر حدث في تاريخها بعد دخولها في الإسلام.

هناك برزت عسير كمنطقة لها أهميتها تشترك في أحداث الجزيرة
سياسياً وعسكرياً وإجتماعياً، فبرز ثاني أشهر أبنائها بعد صرد بن عبد الله
الأزدي الذي وقد بإسلام قومه على الرسول ﷺ ألا وهو عبد الوهاب بن
عامر الذي كان من أبرز رجال الدولة السعودية الأولى حتى في عسارج
الحضط العربي.

كما برزت بعد ذلك في حملات محمد علي باشا على الجزيرة
العربية حيث تدلّل ذكرها إلى أن أظلمها العهد العثماني أوائل القرن التاسع
عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري.

كما طالت لها سلطة حمود أبو مسمار أمير تهامة برهة، ثم قام بأمر
عسير أمراء من أهلها إلى أن أضعفها الأتراك لسلطانهم على يد غتار باشا
وردهف باشا القائدان العثمانيان في صفر سنة ١٢٨٩هـ — ١٨٧٢م،
ومسواء في العهد السعودي الأول أو في عهد أمراء عسير فكانت إمارة

(١) عسير في أطرار التاريخ العثماني.

عسير في الأغلب الأعم محمد كما يقال للثعلب العسيري (من زهران إلى الطهران) وهي الخلود الحالية تقريباً في عهدنا الحاضر.

وأمرء عسير في كل أطوارهم كانوا امتداداً للنبوة السعدية الأولى عقيدة ونهجاً.

وعسير هي الامتداد الطبيعي الجنوبي لأرض الحجاز، والفتاحة لليمن، فهي في النصوص الواردة عنهم أوضح وأثبت.

غير أننا رغبتا البحث عن نصيب اسم عسير في تلك النصوص، ثم لغلبة الاسم على السراة والمنطقة، حتى أصبحت لا تعرف إلا باسم عسير في الوقت الحاضر.

ورد ذكر عسير في أقوال بعض الجغرافيين علماً على قبيلة، وتحديد موطنها، يقول الممداني: "ثم يواطن حزيمة من شاميها عسيرة، قبائل من عنز، وعسيرة محمية تنزرت، ودخلت في عنز، فأرسلان عسيرة إلى رأس تيم، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها ... الخ^(١)، وهذا النص يفيد أن قبيلة عسيرة كانت موجودة في السراة، ولها موطن معروف فيها وذلك قبل القرن الرابع الهجري، الذي عاش الممداني في نصفه الأول، لكن اسمها لم يكن قد غلب بعد على السراة كلها، ويبدو أن ذلك قد حدث في العصور اللاحقة لعصر الممداني، بدليل أنه ذكر جبال السروات، ونسب كل سراة

^(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٦، وأبها هي قائمة بلاد عسيرة، ومقر إمارة منطقة حسير في الوقت الحاضر.

منها إلى سكانها، فقال: ثم يطلو سراة عترة، سراة الحجر بن الحنو بن الأزد، ثم سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الطائف^(١) وقيل إن عسير قبيلة تنسب إلى عسير بن أراشة من عترة بن وائل^(٢).

لم نخلص بعد إلى ذكر حركة القبائل، وهجرتها، ومواطن استيطانها، في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة هذه المنطقة، كي نذكر عسير وغيرها من القبائل، فللقام هنا للذكر الموقع الجغرافي، وما قادنا لذلك إلا غلبة اسم عسير على السراة، أو سراة الحجاز، التي وردت في التصوص القديمة، لتحديد الموقع.

الحجاز

هي الواحة الخضراء في الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، والتي تمتد جنوبها العربية في أحصاق التاريخ ومتاهات الزمن، والتي احتفظت بسلالاتها الأصلية من (جرهم الأولى) مع من وفد إليها وتأقلم في بيئتها.

بحران التي نقشت اسمها على صفحات الدهر، وأبقت بصماتها على سجلات الآباء وحانت للوثنية كفيروها من بلاد العرب، واحتفت

^(١) سفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨، وهو وإن لم يذكرها جميعها، وبالوثيق، لكن مجرد ذكره لما يهتد أنه كانت هناك قبائل لها موطن على السراة تنسب لها، وأن قبيلة عسير إحدى تلك القبائل.

^(٢) كثر الأسماء وجمع الآداب، حمد إبراهيم الحقيقل، ص ٢٥.

اليهودية، أو بالأصح اعتنقها بعضها، ثم اعتنقت المسيحية، ولما جاء الإسلام أسلم معظم أهلها، ثم رحل من بقي على نصرانيته، ولم يبق فيها غير الإسلام والمسلمين.

عرفها اليونانيون كمسوق تجاري على طريق القوافل التي تحمل عروض تجارة البخور والتوابل والأفاوية والعقيق والأصباغ من العريسة السعيدة، وبعض مناطق الجزيرة، وتعود إليها محملة بمنتجات اليونان، وعروض فارس ومنسوجات روميوف الشام.

ومن بحران تتوزع طرق شتى في جنوب الجزيرة وشرقها، وقبل ذلك، وفي أثنائه كان لسرواد الأراكل من اليونان فضل تعريف قومهم بأقطار من الجزيرة، وبالأخص ما كان على طرق القوافل والشرائط البحرية، ومن تلك المعلومات تزودت حملة الإسكندر، غير أن الحملة لم يكتب لها النجاح لأسباب أهمها موت الإسكندر.

وبعد امتداد سلطان الرومان على مصر وسوريا، وبلاد الأنباط العريسة، تطلعت مطامع (قيصر أغسطس) إلى أرض البخور والتوابل والأصباغ أغلى عروض التجارة العالمية آنذاك. محاولاً أن يحقق مشروعه الرائد - الذي لم يحققه حملة الإسكندر - فأصدر أمره على والي مصر بتجهيز حملة لنزو الجزيرة العريسة، وبين ٩٠٢ ق. م توجه القائد (بوليس) بقود الحملة من مصر إلى ميناء النبطي (لوبيكا كوما)، ومن هناك صارت

برفاقته بعض شيوخ ورؤساء العرب، ووالث الحملة سيرها المضحي والقتال
للير، مع ما قاسوه من نقص في الأتوات وشح في المياه.

وصلت إلى بخران — كما يقال — وقد قطعت الحملة للمسافة من
لويكا كوما إلى ذلك الموضع في ستة أشهر، أما في العودة فقطعتها في أقل
من ذلك.

وقد دون أحد مراقبي الحملة حركات الحملة وسورها وعودتها،
وإن كانت مدوناته لا تخلو من المبالغة، كما أن أسماء كثير من المدن
والمواضع سجلت باللاتينية فصعب ذلك معرفتها، وبهاء هلى تلك
المدونات أصبح لدى الرومان معلومات عن هذه البلاد وبالأخص التي على
خط سير الحملة، وعن بخران خاصة، وقد استغلت تلك المعلومات بعد
ذلك عندما اعتنقت الأمباطورية الرومانية المسيحية بعد نحو ٢٩٠ عاماً،
وهي مدة في عمر الدول والشعوب الحية ليست طويلة.

وفي سنة ٣١٣م إهتم القيصر قسطنطين بنشر المسيحية والتبشير بها
في أرجاء إباطوريقه، والبلاد المجاورة، وأخيراً تمكن المبشرون من تأسيس
كنائس في شبه الجزيرة العربية وغيرها، منها ما هو بعلن وسقطرة وبخران
والحيرة.

هنا ما ورد في المصادر الغربية. أما المصادر العربية فنكتفي بتلخيص
ما جاء في تاريخ الطوري عن بعض أهالي بخران أنهم كانوا أهل شرك
يعبدون الأوثان، وكان لهم ساحر يعلم غلمانهم، فبعث شخص منهم

يسمى (الشامس) ابنه (عبد الله) مع غلمان أهل بجران إليه، وكان قد وصل إليها شخص يسمى (قيمون) نصب خيمته على ذلك الطريق المؤدي إلى الساحل، فكان ابن الشامس إذا مر بمصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته فجعل يجلس إليه حتى دخل في دينه، وصار داعياً للنصرانية في قومه.

ومع انتشار الاسلام معروف قصة وفد بجران، فقد جاء في كتاب (الحسين) ص ٣٢ أن العاقب والسيد والأسقف الذين وفدوا على النسي عليه السلام كانوا من بني الأفعى سكان بجران الأصليين من جرهم الأولى.

وجاء في تاريخ الطبري أنه وصل خبر وفاة رسول الله ﷺ إلى بجران، وإن بها أربعين ألفاً من بني الأفعى^(١)، ويحدثنا التاريخ أن من سكان بجران من هم من بني الحارث من مذحج وقوم من الأزد، ويقول المسعودي^(٢) إن أزد بجران تلاشوا في (مذحج).

وعلى كل فعالب الفطن — إن لم يكن الأقرب لليقين — فإن قبائل بجران بسبب موقع بجران الجغرافي والعزلة التي فرضتها حروبها مع جيرانها، كل ذلك يرجح أنه لم تختلط بهم أي قبيلة منذ إسلامهم إلى الآن. باستثناء آل المكرمسي الذين انتقلوا إلى بجران بزعامتهم قبل (٢٨٠) سنة — تقريباً — من تاريخنا الحاضر.

^(١) لما تليق على هذا العدد قلنا لورده الطبري، سيأتي في موضعه من هذا البحث.

^(٢) نظر مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٩٠.

للمهم أن يجيران في العصر الجاهلي كانت قائمة بذاتها، وكما يقول القلقشندي: إنها صقع منفصل^(١) ونقل عمارة بن الحسن، الملقب بإليني عن صاحب الكمائم أنها صقع منفرد^(٢).

وأما كان فإن الأقاليم الثلاثة موضوع الدراسة تقع في حيز وسط شبه الجزيرة العربية، وارتباطها بها أكثر من أية جهة أخرى، ومن كفاة التواحي، وستزيد هذا الأمر وضوحاً ودلالة، فيما بعد.

ومن المناسب الإشارة إلى لفظة بديعة لبعض العلماء^(٣) حين تناولوا بالبيان والتفسير دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿رَبِّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَرَضَى زَرْعٍ عِنْدَ يَتِّكَ الْمَحْرَمِ رَبِّنا لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَهْلَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٤) فلقد دعا الخليل إبراهيم ربه أن يرزق ذريته من الثمرات، بل ويرزق أيضاً الوافدين إلى البيت للحج والعمرة، بينما الوادى الذى به مكة والبيت الحقيق، غرضى زرع، والخليل يعلم ذلك، ويعلم أنه غرض صالح للزروع الذى يكفهم هم والوافدون إلى البيت، فطلب من الله سبحانه أن يرزقهم من الثمرات، فإن كان قصده أن يحمل لهم من الآفاق، فإن الثمرات تشمل كل ما ينتج من النبات من حبوب، وفاكهة، ومضرووات،

(١) مباح الأمانى، ج ٥، ص ٤١.

(٢) تاريخ اليمن لصنارة، ص ١٥١.

(٣) الأندلس، ج ١، ص ٣٧.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

ووسائل المواصلات في ذلك الوقت هي الإبل غالباً، ولحسن استخف في نقل الحبوب الجافة فإنه يصعب نقل الفاكهة والخضروات وما شابهها. من أماكن نائية لتلفها إن نقلت على ظهور الإبل، لذا هيأ الله للبقاع الجسورة لمكة المكرمة. كالطائف وتهامة وعسير لتكون امتداداً ومستودعاً لتلك الثمرات بمختلف أنواعها، لإطعام أهل الله، والوالدين إلى بيت الله، ومن هنا كان الارتباط قديماً، وامتداد الأرض شيء طبيعي بارادة وتوجيه إلهي .. فقد توثقت الصلات بين فئة من الناس تجيد التجارة، وأخرى تجيد الزراعة، واستمر هذا التكامل والتلاحم لتلك المنطقة على امتداد السنين والأزمان.

وعموماً هذه بعض نصوص السابقين من علماءنا، في بيان الحدود الطبيعية للمنطقة موضع الدراسة، وربما تويناها إلى حد ما الأوضح القبلية التي كانت سائدة إذ ذاك في شبه الجزيرة بصفة عامة، وفي وسطها على وجه الخصوص، وهذا لا يعرف أنسه إلا بالتدقيق في صفحات التاريخ، بمختلف أطواره وأدواره.

لكن مهما قيل في هذا التحديد الجغرافي الطبيعي، فإن وحدة عرب الجزيرة العربية اللغوية، والعرقية، والدينية - وبخاصة في ظل الإسلام - ثم العادات والتقاليد، جعلت بلاد العرب متشامكاً لهم، يتحركون فيها حيثما شاءوا، منذ العصور السحيقة، ويتنازعون الهيمنة على بقاعها، إلى أن جاء الإسلام، فأزال التنارع ومنحهم الاستقرار.

ثم إننا لسنا في حل من عرض تلك النصوص، ولو من الوجهة العلمية البحتة بالرغم من أن هناك اصطلاحاً وعرفاً سائداً بين القبائل من

قديم، على معايير الاستقرار والفرحان، والحدود، والولاء والالتساء وغيره. ثم موالاتها بعضها لبعض للرجة الاندماج تحت اسم واحد، وأمسراً ولاؤها في العصر الحديث لحكرمات مدنية ترعى شعوتها ضمن المجتمع الذي ترعاه الدولة.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها تم تحديد حدود دولة بموجب معاهدة الطائف الموقعة عام ١٣٥٣هـ، لتحديد الحدود الجنوبية للمنطقة موضوع الدراسة، أما الحدود الثلاث الأخرى فتتظلمها ترتيبات إدارية داخلية، لإمارة المنطقة، سنذكرها في موضعها.

٣- أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام :

طبقات العرب :

يكاد النسابون والإخباريون والمؤرخون يَفْقَهُونَ على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

أ- العرب البائدة ب- العرب العاربة ج- العرب المستعربة

فالعرب البائدة: هي الشعوب العربية القديمة التي كانت تقطن جزيرة العرب ثم باددت، كطسم، وحديس، وعباد، وممود، وإرم، وأميم، وقطران، وجُرهم الأولى^(١).

والعرب العاربة: هم الذين يعودون في نسبهم إلى قحطان، واستوطنوا اليمن، وأقاموا بها ممالك، كانت لها حضارات سامقة، ومن أبناء قحطان تفرعت القبائل القحطانية، ويطلق كثير من المؤرخين عليهم:

(١) أبو الفداء، حداد الدين، المعجم، للمعاصر في أخبار البشر ١/١٢٤.

ونشرة مجلة البعث، العدد ٢٥٧، أغسطس سنة ١٩٩٢، ص ١٠٠، مقالاً عن اكتشافات أثرية لمنطقة ومار عاصمة إرم، بالطرف الجنوبي الشرقي للربع الخال.

اليمانية. نسبة إلى موطنهم الأصلي، حتى لو استوطنوا أقاليم الأرض، كالأتلنل وسمال أفريقيا.

وأما العرب المستعربة فهم الذين يهودون في نسبهم إلى عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويطلق عليهم العدنانيون، نسبة إلى عدنان هذا، وقد أنجب: معد، وعك، وأنجب معد: نزار، وإسار، وقنصر، والضحاك. وقيل: عبيد الله، ثم ولد نزار بن معد: مضر، وربيعة، وإسار، وقيل: وأتمار^(١) ومنهم تفرعت القبائل العدنانية.

وقيل غير ذلك في تسمية كل من العرب العاربة والمستعربة.

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(٢) أنه سأل رجل عن ولد نزار بن معد، فقال: هم أريسة، مضر، وربيعة، وإسار، وأتمار، وكان - أي نزار - يُكنى بأبيه ربيعة، ومنازلم مكة، وأرض العرب يومئذ خاوية ليس بتجدها، وتهاتها، وحجازها، وعروضها كبير أحد، لإخراب يُختصم^(٣) أيها وإجلاء أهلها، إلا من اعتصم بسرووس الجبال، ولذا

^(١) ابن حزم الأندلسي، على بن أحمد، جهرة أنساب العرب، تحقيق: د. عبد السلام هارون، ص ٩٨.

^(٢) البكري، معجم ما استعجم ٥/١ عن طريق ابن السائب الكلبي، وعن طريق ابن شيبة كما ذكره الحمالي، ص ٩٤ جزيرة العرب ص ٥٩، عن طريق ابن السائب عتصر.

^(٣) كان يختصم أحد الملوك الكلدانيين بسمال العراق، بدأ حكمه عام ٦٠٤ قبل الميلاد وكان حياراً متناً، قام بحملات على الجزيرة العربية، وانشاء مصر وغوها وسبي اليهود، وأحرق بيت المقدس، وكان خلال الفترة من ٥٦٢-٦٢٠ قبل الميلاد. انظر: آسبن لثاسيم للمقدسي.

بالمواضع الممتعة، متكباً مسالك جنوده، ومسعن خيوله^(١) فاراً إليها منهم، وبلاد العرب يومئذ على خمسة أقسام: (الحجاز، وتهامة، واليمن، وبحس، والعروض)^(٢) فاقسم ولد مَعْد بن عدنان هذه الأرض على سبعة أقسام^(٣) فصار لعمرو بن معد، وهو قضاعة^(٤) لمساكنهم، ومراعى أنعامهم: جُذّة، من شاطئ البحر وما دونها، إلى منتهى ذات حرق، إلى حيز الحرم، من السهل والجبل، وبها موضع لكلب، يُدعى: الجديسر، حدير كلب، وهو معروف هنالك، وجمدة وُلد جُذّة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عيسران بن إلخاف بن قضاة، وبها سُحَي.

وصار جُفادة بن معد: الغُمُر، غمر ذي كِسنة، وما صابقتها، وبها كانت كتلة دعرها الأطول، ومن هنا احتج القائلون في كتلة عما قالوا^(٥) لمازلم من غمر ذي كِسنة، فنزل أولاد جفادة هنالك، لمساكنهم ومراعى مواشيهم، من السهل والجبل^(٦) وصار لخضر بن يزار: حيز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور، وما والاه، وصار لربيعة بن يزار: مهبط

(١) التيبك: الجانب لطريق، واستان الخيل: رياضتها، والسن موضع الاستان.

(٢) قطع الكبرى حديث ابن عباس عند ذكره حصة لتمام، وحمل ياقوت بروايات منطقة لتطيد وبيان كل قسم منها، ثم عاد لحديث ابن عباس رضي الله عنه مرة أخرى في ص ١٧ من نفس الجزء، لما تعرضوا بوضع الخمسة لتمام حكلاً بين قريش. لمواصل ما يقوله ابن عباس رضي الله عنه. وهو هنا جعل قضاعة من أبناء معد بن عدنان.

(٣) يقول محقق كتاب معجم ما تيسر من هذه: إنه لم يذكر من السبعة أقسام إلا ستة.

(٤) استدل في نسب قضاعة، هل من عدنان، أم من قحطان، أم من غيرها، انظر الممهرة ص ٨.

(٥) أي من نسبتهم إلى عدنان، كما صرح به ياقوت الحموي في معجم البلدان، نقلاً عن ابن الكاكي.

(٦) ينصرت الحديث هنا.

الجبل من غمر ذي كندة، وبعين ذات عرق، وما صابها من بلاد نجد، إلى الغور من تهامة، فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومراعى أنعامهم، من السهل والجبل.

وصار لإياد وأغار بنى نزار: ما بين حدّ نجران^(١)، وما والاها وما صابها من البلاد. فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومسارح أنعامهم.

وصار لقنص بن معدّ، وسنم بن معدّ، وسائر ولد معدّ: أرض مكة وأديتها وشعابها، وجبالها، وما صابها من البلاد، فأقاموا بها مع من كان بالحرم حول البيت من بقايا جرهم.

فلم تنزل أولاد معدّ في منازلهم هذه، كأنهم قبيلة واحدة، في اجتماع كلمتهم، واتلاف أهوائهم، وتضمهم الجوامع، وتجمعهم للمواسم، وهم يتّ على من سواهم، حتى وقعت الحرب بينهم، ففرقت جماعتهم، وتباينت مساكنهم.

قال مهلهل بن ربيعة يذكر اجتماع ولد معدّ في دارهم بتهامة^(٢) وما وقع بينهم من الحرب:

^(١) انظر عبارة "ما بين حد نجران" فما بين الحدود من نجران هو وسطها، ولذا قال بعد ذلك: وما والاها وما صابها، أي ما يلي حدودها، وما ياورها ويقابلها من البلاد ومعروف تاريخياً أن بني إيد قد استوطنوا نجران، كما سيأتي ذكره بعد.

^(٢) الطبري ٢/٢٨٦، والبيهقي لابن جرير ٥/٤١٣، ٤٠٠. ويضم المحدثون بعض يثليق هذا العصر وهو تحت منه، وتهامة بغير دليل. صفة جزيرة العرب ص ٣٢٣.

غَنَيْتْ دَارَنَا بِهَامَةٍ فِي الدَّهْرِ

وَرَفِيهَا بِشَرِّ مَعَدٍّ خُلُوفًا

فَتَسَاقَرُوا كَأَسَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِم

بَيْنَهُمْ يَقْتُلُ الْعَزِيزُ الْمَلِيلاً

فَأَوَّلَ حَرْبٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ كَانَتْ بَيْنَ أَهْنَاءِ قِضَاعَةَ، وَأَهْنَاءِ عَنَزَةَ بَنِي
أَسَدَ بْنِ رَيْمَةَ بَنِي نِزَارٍ^(١) فَاجْتَمَعَتْ نِزَارٌ، وَأَعَانَتْهُمْ كَعْدَةُ، وَاجْتَمَعَتْ
قِضَاعَةُ، وَأَعَانَتْهُمْ عِلْكٌ وَالْأَشْعَرُونَ وَاقْتَتَلَ الْفَرِيفَانِ، فَفُهِرَتْ قِضَاعَةُ،
وَأُجْلُوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ، وَظَعَنُوا مُتَّحِدِينَ، فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الْقَطْرِ بْنِ عِيَاذَ بْنِ
بَكْرِ، الْعَدَوَانِي مِنَ قَيْسِ عِيلَانَ بْنِ مَعْسَرٍ:

قِضَاعَةُ أَهْلَيْتَنَا مِنَ الْغُرُورِ كُلِّهِ
إِلَى فَلَجَاتِ الشَّامِ تَرْجَى الْمَرَاثِيَا
لَقَدْ نَاصِرُ الْأَرْحَامِ مَنْ كَانَ نَابِيًا
لَقَمَرِي لَنْ صَارَتْ شَطِيرًا دِيَارَهَا
وَمَا عَنْ تَقْسَالٍ كَانَ إِعْرَاجُنَا لَمْ
وَلَكِنْ عَقُوقًا مِنْهُمْ كَانَ بَادِيًا

فَسَارَتْ تِسْمُ اللَّاتِ بْنِ أَسَدَ بْنِ وَبَرَةَ، بَطْنُ مِنْ قِضَاعَةَ، وَمَعَهُمْ فِرْقَةٌ
مِنْ بَنِي رُفَيْدَةَ مِنْ قِضَاعَةَ وَفِرْقَةٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَحْوَ الْبَحْرَيْنِ، حَتَّى وَرَدُوا
هَجْرًا فَأَقَامُوا فِيهَا. وَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي حُلُوفَانَ مِنْ قِضَاعَةَ إِلَى أَرْضِ
الْجَزِيرَةِ بَيْنَ دُحُلَةِ وَالْفُرَاتِ. وَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْ سُلَيْحَ بْنِ عَمْرِو الْقِضَاعِيِّ إِلَى

^(١) هَذَا تَصَرُّفٌ يَفْرَضُ عِلْمُ الْإِطْلَاقِ، وَلَقَدْ أَتَى الْفَرَسِيُّ أَنَّ تَكْوِينَ رَيْمَةَ قَدْ اسْتَرْطَتِ بِلَادَ عِلْكٍ (بِهَامَةُ الْبَيْتِ حَالِيًا) وَقَالَ إِنَّ حَيَّ كَلِيبَ كَانَ شَرِيًّا، وَهِيَ بِلَادُ مَدَن. انْظُرْ: سِفَةُ حَزْبَةِ الْعَرَبِ ص ٣٢٢، وَلَقَدْ لَزِمَ وَقَوْمُهُ انْتَقَالًا مِنْ بِلَادِ عِلْكٍ بِهَامَةٍ إِلَى حَزْبَةِ نَتِيجَةِ الْحَرْبِ لِلْمُرَاسَلَةِ بَيْنَ بَكْرِ وَتَقْلَبِ.

فلسطين، ثم عادت بعض البطون إلى تهامة وبحمد والحجاز. من يلى،
وجهية. ونهد وسعد هذيم^(١).

وسارت طائفة من حرم ونهد القضاية نحو بحران وتكليت وما
والاها مما يلى السراة، وغلبوا على تلك البلاد شرقاً حتى حاوروا منجج
في منازلهم، وناكرتهم طوائف من منجج، وطمعوا هم في منجج، حتى
قال عبد الله بن دعشم النهدي في ذلك:

لأخْرِجَنَّ صُرَيْمًا^(٢) من مساكنها والمُتَرِّينَ وهَمَامَ بن سيار
لم أَدْرِ مِلَكْنَ وأَرْضَ ذِي عَمَنْ حتى تَوَلَّى أَدْعَا أَسْحَ الدَّارِ
وقال عمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدِي:

لقد كَانَ الحَوَاضِرُ ماء قَوْمِي فأَصْبَحْتَ الحَوَاضِرُ ماء نَهْدِي
وقال هبيرة بن عمرو النهدي، وهو يذكر قبائل منجج، وخشم،
وتَمَرُهُمْ لِبَنِي نَهْدٍ، وتَوَعَّلَهُمْ لِإِلَهِم:
وَكُنْدَةُ تَهْلِي بِالرَّعِيدِ وَمَنْجَج وشهران من أهل الحجاز ورواهبُ

(١) معجم ما استعجم ١٧/١ - ٢٩.

(٢) صريم: رجل من بني زُكَاة بن مالك بن نهد وهمام منهم، والمُرْكَان: متى مرة، أى مرة بن مالك بن نهد وأخ
له خلب اسمه عليه.

انظر معجم ما استعجم ٤٠/١.

وكانت حطيم قد نزلت السراة قبل نهـد.. ثم حائلت نهـد وحرم بني الحارث بن كعب^(١) ولم تنزل حرم ونهـد بتلك البلاد على ذلك الخلف، حتى أظهر الله الإسلام^(٢).

وأقام أولاد معد في أرض نهامة، في بلاد قضاعة وديرها، بعد أن أجازهم عنها، ثم تيامنت عك بن الديث بن عدنان بن أد، ومن كان معهم ولحقوا بغور نهامة، وجاوروا الأشعرين بزييد، وقيل إن عك هذا من الأزد من قحطان^(٣).

كما أقامت بطون من عترة بن وائل بنهامة جنوباً، فيما حول مدينة الجند، وكانوا ذا عدد عظيم بتلك المنطقة عند ظهور الإسلام^(٤).

وقاد الأفكل، عمرو بن الجعد بن عبد القيس من نهامة إلى البحرين فاتخذوها موطناً لهم بدلاً من نهامة حتى جاء الإسلام وهم كذلك^(٥).

(١) معجم ما استعجم ١/ ٤٠-٤٢.

(٢) نفس المصدر، الجزء ص ٤٢.

(٣) ابن بطون ٢٩٩/٢٢. وما يؤيد رأي الأول من أنهم من عدنان هي التقسيمات والقرابات الإدارية التي حدثت في صدر الإسلام لما سألني على ذكره في حينه.

(٤) الجند، ص ٣٠٣.

(٥) البصرة، ص ٢٩٩.

ولما كان إنيهار سد مأرب خرجت من اليمن بجيلة ومعظم^(١) ونزلوا جبال السروات، فصارت السراة لبجيلة إلى أعالي تربة (أترسة)^(٢) وهو واد يأخذ من السراة ويُفرغ في بحران، فكانت دولهم جامعة-أي لبجيلة وخشب- وأيديهم واحدة، ثم تفرقت بجيلة بسبب حروب وقعت بينها، وتفرقت فروعها في القبائل، فلم يزالوا كذلك حتى أظهر الله الإسلام فسأل جرير بن عبيد الله الجعفي، صاحب رسول الله ﷺ بجمعهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لما أراد أن يمشه حرب الأحاجم^(٣). وسوف نعبر لذلك في موضعه.

ونزلت النصح-وهم من أبناء إباد بن نزار-ناحية بيشة، وما والاها من البلاد، وأقاموا بها، فصاروا مع مَنجج في ديارهم بعد أن فارتق موطنها في تهامة، كذلك رحلت بقية إباد عن تهامة، ونوح كثير منهم إلى أرض العراق، وكان لها أرض في تهامة يقال لها: خصاصق، نزلتها كنانة بن عزيمة بن ملوكة بعد رحيلهم عنها^(٤) وكانت طائفة من أبناء إباد قد نزلوا بحران، وكان منهم عطيبة العرب وحكيمها وحليمها في عصره، قُسَ بن

^(١) للشهور أن بجيلة ومعظم يرجعان إلى زيد كهلان بن سبأ، إلا أن ابن حزم يقول في الجمهرة ص ٣٨٧، واليكري في معجم ما استعجم ٥٨/١، وابن خلدون في تاريخه ٣١٠/٢: إلهما من أبناء أمار بن نزل بن معد بن حنلان، وانتسبا إلى اليمن، استأذا إلى قول ابن عباس في شأنهما، وكذلك الأشعرى حنانيون، استأذا إلى قول الرسول ﷺ: (أنتم مهاجرة اليمن من ولد إسماعيل) معجم ما استعجم ٥٤/١.

^(٢) هكذا في معجم ما استعجم ٥٩/١.

^(٣) اليكري، المصدر السابق ٦٢/١، والجمهرة ص ٣٨٧.

^(٤) اليكري، المصدر السابق ٦٧/١.

ساعدة الإيادي، أسقف بجران في زمنه، كان يقد على قبصر السروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو من المعمرين، وآه الرسول ﷺ في سوق عكاظ قبل البعثة، وحين قدم إليه وفد إيباد بعد البعثة، سأل الوفد عنه، قائلاً: ما فعل قُس بن ساعدة؟ قالوا: هلك يا رسول الله، فقال: كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْهِ يَسُوقُ عكاظ يحطّب الناس، على جمل أورق (أى أحمر)، ويقولون: أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عافى مات، ومن مات مات، وكل ما هو آت آت، ليلٌ داجٌ، ونهارٌ ساجٌ، وسماءٌ ذات أبراجٍ وبحورٌ تزهج، وبحارٌ تزعج، وجبالٌ مرساة، وأرضٌ مَنحاة، وأنهارٌ مجراه، إن في السماء لحسوا، وإن في الأرض لعوا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا باللقام فألناموا؟ أم تركوا فناموا؟ يُقسّم قُسُ بآل الله قسماً لا إثم فيه: إن الله ديناً هو أرضى له، وأفضل من دينكم الذي أئتم عليه... الخ ثم قال النبي ﷺ: يُخسرُ هنا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة، فإن كان قاله الله، فهو من أهل الجنة، وقال عنه: يُبعث يوم القيامة أمةً واحدة^(١). ولو لم يكن لقُس بن ساعدة من فضل إلا رواية الرسول ﷺ، وما سمعه منه في سوق عكاظ، لكفاه شرفاً.

وعلى كل فانه لم يبق اتهامه وغورها بعد رحيل إيباد عنها إلا بطون من ربيعة ومضر، وإلا قُسَي بن منبه جد ثقيف بالطائف، وهو من هوازن من مضر.. ثم لما تكاثروا، وتضايقوا في منازلهم، انتشرت ربيعة فيما

(١) انظر أباء حلال السكري، الأوقاف ١/١٠٨٤١٠٧، والأصلهاني، أبو الفرج، الأعيان ١٥/٢٤٦، وابن عبد ربّه، العقد الجديد ١٢٨/٤. والقزويني آثار قبلاذ ص ٨٥.

عليهم من بلاد بحد، وتهامة. فكانت منها بطون يقسرن المنازل، وحضن،
وعكاية، وركبة، وحنين، ولوطاس، وذات عرق، والمقيق، وما والاها من
بحد، ومعهم كتلة. يفسزون معهم المغازي، ويصيرون الغنائم، ويتناولون
أطراف الشام، وناحية اليمن^(١) ثم وقعت حرب بين بني ربيعة فتفرقت
وسط الجزيرة، فذهبت عيد القيس إلى البحرين، وغرهما. وانتقلت أكلب
بن ربيعة بن نزار ناحية تليلث، وما والاها، وجاورت خثعم وحالفوهم،
وقال رجل من خثعم ثم من شهران، ينفي أن تكون أكلب منهم^(٢) :

ما أَكَلَبُ منا ولا نحن منهم وما عظم يوم الفُتَحار وأكلب
قبيلة سَوءٍ من ربيعة أصلها وليس لها عَمٌّ لدينا ولا أب
فأجابه الأكلبي:

إني من القوم الذين نسيئني اليهم كرم الجد والعم والأب
فلو كنت ذا علم بهم مانفيتني اليهم ترى أنّي بذلك أُلُتِبُ
فإلا يكن عماي حَلَفاً وناهما فإني أمرؤ عماي بكر وتغلبُ
أبونا الذي لم تُركب الخيل قبله ولم يدُر أمرؤ قبله كيف يركب

^(١) البكري معجم ما استعجم ١/٢٩، ٨٠.

^(٢) البكري، للصلر السابق ١/٨٢، ٨٣.

ثم تيامنت أيضاً عنزو، وصارت حلفاء لخصم في أرض السراة^(١) ثم رحلت أيضاً بنو حنيفة إلى اليمامة، وانتقلت ببيعة ربيعة إلى غواهر نجد، والمحاز، وأطراف تهامة^(٢). وإلى أرض العراق.

وأقامت قبائل مبركة بن إلياس بن مضر، بتهامة وما والاها من البلاد وصاقيها، فصارت مبركة بتاحمة عوفات، وعُرنه، ويطن نعمال، ورُجَيل، وككبك والبوابة، وجورانهم فيها طوائف من أعجاز هوازن^(٣).

وكانت هذيل جبال من جبال السراة، ولهم صدور أوديتها، وشعابها الغربية، ومسائل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزاعة بن مبركة في منازلها، وكان جرمان هذيل في جبالهم قُهم وعُثوان إنا عمرو ابن قيس عيلان بن مضر.

ونزلت خزاعة بن مبركة أسفل من هذيل بن مبركة، واستطالوا في تلك التهائم إلى أسفاف البحر، فمسالت عليهم الأودية التي هذيل في صدورها وأعاليتها، وشعاب جبال السراة التي هذيل سُكَّانها، فصاروا فيما بين البحر وجبال السراة الغربية^(٤).

(١) نظر فيما سبق، البكري، للمصدر السابق ٨٢/١، والمختار، ص ٧٥٦.

(٢) البكري، للمصدر السابق ٨٣/١.

(٣) البكري، للمصدر السابق ٨٨/١.

(٤) البكري، للمصدر السابق ٨٨/١.

وأقام أولاد قهر - وهم قريش، ولا يكون قُرَيْشِيَّ إِلَّا مِنْهُمْ -^(١) حول مكة، حتى أنزلهم قُضَيَّ بن كلاب الحرم، وقُصِي هو الذي انتزع ولاية البيت الحرام من مزاعة، وصارت له حجابة الكعبة، والرفادة، والسقاية، ويبنى دار النسوة^(٢) .

ومن أولاد لوي بن غالب بن قهر - بنو سامة بن لوي هاجروا إلى حُمان، وأبناء جشم بن لوي، هاجروا إلى الهماسة، ودخلوا في بنى هزان من عترة^(٣) .

ثم يقول البكري، بعد إيراد ما تقدم^(٤) : فهذا ما كان من حديث افراق معدّ، ومنازلهم التي نزلوها، وعائلهم التي حلّوها في الجاهلية، حتى ظهر الإسلام^(٥) .

وما يلاحظ أن حلّ اهتمام البكري تركّز على ذكر مواطن أبناء معدّ بن عدنان، في تهامة، والسرقة وغيرهما، ولم يذكر أبناء قحطان الذين

^(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) ٢/٢٦٤، وفي قول آخر، وتاريخ ابن خلّون ٢/٣٣٥، وأيضاً ابن حزم، المجهرة ص ١٦، وهو غير ابن مالك بن النضر بن كنانة بن عترة بن منيرة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

^(٢) الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٠٣-١٠٦، وابن خلّون ٢/٣٣٥ .

^(٣) المجهرة، ص ١٣، وللأسفة لابن خلّون، ص ٣٤٠ .

^(٤) أوردنا بعضه على سبيل الإيجاز والتصرف، فيما عدا المعلقة موضوع الدراسة.

^(٥) مصمم ما انصمم ١/٨٩ .

كان نزح منهم عديد من القبائل إلى الشمال في فترات متفاوتة، قبل وحلال انهيار سيد مأرب^(١) وأيضاً أثناء هيمنة الأحباش والفرس، وأثناء بعض القبائل من الخضوع لهم، مما دفعهم إلى المحاصرة من موطنهم الأصلي، فانتقلت ملوئف إلى وسط شبه الجزيرة، وإلى الشمال في أرض العراق، والشام، وفلسطين حتى مصر.

وكان من أشهر تلك الهجرات خروج أبناء عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء هو ومالك بن النعمان من مأرب، قبيل انهيار سد مأرب، وتفرق الأزدي في كثير من البقاع وغالبوا أهلها واستوطنوها، وكان منهم من نزل السراة.

والواقع أن البكري لم يهملهم تماماً، وإنما ذكرهم فيمن جاوهم، أو من جاووه من أبناء عدنان. رعا لأن منهجه هو تتبع أبناء عدنان، وتفرعاتهم، ومواطن حنهم وترحالهم ولم يكن ذكره لغيرهم إلا عرضاً.

(١) نظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١، ويقره القزويني أن واقعة انهيار السد كانت بين محبت عيسى ومحمد عليهما السلام، وقد ورد في كتاب "الذين انقضوا" ص ٣٠١، أن السد تهدم فيما بين سنة ٥٥٢ وسنة ٥٧٠ بناء على اكتشافات تم العثور عليها وأنه تهدم خلال حكم الأحباش لليمن .. لكن الهروالد التاريخية لا تؤكد ذلك، لأن حصرة أبناء عمرو مزيقياء وتوطئهم في الأماكن التي هاجروا فيها، قبائل الأوس والخزرج، وطى، وغسان في الشام وهويهم يدل على توطئهم تلك الأماكن قبل الهجرة بعدة قرون، وليس بكل من قرون كما يقره.

لكنه يميز بأن أعطانا صورة دقيقة عن مواطن تلك القبائل، فيما قبل الإسلام، بينما غيره يصف البقاع، والقبائل التي تستوطنها في صدر الإسلام، وربما في العصر الذي يكتب فيه ما يكتب ..

وللقيام هنا - حسب خطة البحث - هو تلمس مواطن القبائل في المنطقة موضوع الدراسة في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام، ومعروف أن هجرات القبائل من مكان إلى آخر كانت متتالية، وتخضع لاعتبارات متعددة، وقد وافانا البكري بقسط وافر من حركة القبائل وأماكن توطئها في المنطقة قبل الإسلام، وهذا هو الذي دفعنا إلى الاطالة معه، ونقل ما قاله في صورة موجزة، وإن كانت في نظر البعض إطالة، فنلتبس العسر، لأن الهدف هو بيان الحقيقة من أن المنطقة كانت موطناً للعديدين، ومن ثم الرد على من يزعم أن المنطقة كانت موطناً لمن قديم الأزمان للعرب القحطانيين.

أما الحمداني - مثلاً - في كتابه صفة جزيرة العرب فقد أفاض وأجاد في وصفه الأماكن والبقاع وأتى على العديد من أسماء القبائل، ومسكان المناطق إلا أنه غلط العصر الجاهلي بالعصر الإسلامي في مواطن القبائل^(١)، ومعروف تاريخياً أنه حدثت بعض التخطعات في مواطن القبائل إبان الفتوحات الإسلامية، ونزح البعض منهم إلى البلدان المفتوحة،

^(١) فعلاً يقول في ص ٢٦٠: وسكنوا الطائف ثقيف، وسكن شرقى الطائف قريش من ولد عمرو بن العاص .. ولا شك أن سكنى قرية عمرو بن العاص في هذا الموضع جاء متأثرة أي في صدر الإسلام، وليس قبل الإسلام.

واستوطنوها، وحلَّ غورهم في الموطن التي نوحوا عنها .. بل إن موضوع
هجرة القبائل من مكان إلى آخر استمر حتى العصر الحديث، حين قامت
الدول ورُممت الخلود بينها.

وعموماً فإنه من بين الهجرات المشهورة في تاريخ القبائل العربية هي
هجرة الأزد مع عمرو مزيقباء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ
القيس من زيد كهيلان بن سبأ^(١) وذلك بسبب انهيار سد مأرب.

يقول الحمداشي^(٢) ولما خرج عمرو مزيقباء بن عامر ماء السماء، هو
ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد^(٣) فخرجوا إلى غلاف خسران
وأرض عتس وحقل صنعاء، ثم إلهم انتقلوا إلى بلاد الأشعرين وعك،
على ماء يقال له: غسان، بين وادي زيد ورمع، وأقاموا على ذلك حتى
وقع الخلاف بينهم وبين عك، فساروا نحو الحجاز فرأوا كل فعخذ منهم
إلى بلد، فممنهم من نزل السروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها،
ومنهم من خرج إلى العراق والشام، وعمان، واليمامة، والبحرين. فأما من
سكن مكة وتوابعها: فحزاعة، وأما من سكن المدينة: فالأوس والخزرج،
وأما من سكن السروات: فالحجر بن الحنف، ولهب، وغسان، ومن دوس،
وشكر، وسارق السوداء، وعلى بن عثمان، والأمر، وحوالة، ومالقة،

^(١) هجرة نسب العرب لابن حزم، ص ٣٣١، ولقد وتاريخ لطهر بن طهر المقدسي ١٩٥/٣.

^(٢) صفة جزيرة العرب ص ٣٧٠-٣٧٤، بصرى، وانظر أيضاً: صبح الأعشى للقلقشندي ٣٧٩-٣٧٧/١.

^(٣) بن الأزد بن فهر بن نبت هذ مازن، ونسبه وعمره، وجد الله، والحبر، وتيل، والأحوب،
انظر الحميرة ص ٣٢٠.

والبقوم، وشمران، وعمرو. كما ذكر أيضاً^(١) من قبائل السراة: فهم، وبجيلة^(٢) والأزد بن سلامان بن مفرج، ولنج، وبارق، وغامد، ورفيدة، وبنو ربيعة بن الحبحر، وبنو مالك بن شهر، وآل عبيدة من الأزد، ومن قبائل مَذْحِج: حُلَّة، وشراد (بضائر) وعفس، وسعد العشيرة، ولبس، وشمران، والنعمع، وزيد، وبنو منبه. وبنو هلال بن عامر، والرهاء، وحكم، وجعفى، وصلاء، والجحادرة، وأود، وغورهم كثيرون من البطون والأنجاد اتى تفرعت من القبائل.

وكان ممن ذهب إلى بحرمان: وادعة، وبنو الحارث بن كعب من مَذْحِج، كما انتقلت بعض بطون كنانة إلى تهامة، وانتقلت إلى السراة أيضاً بطون من ولد عمرو بن الفوث، كخثعم. وغيره، وسوف نعود إليهم في موضع آخر من هذا البحث.

وإن من ممن النظر في النص الذى أورده الهمداني لتفريق قبائل الأزد من موطنهم الأصلي باليمن، وهو مأرب، يلحظ أنه اعترف صراحة، وربما

^(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٠، والمختطف من تاريخ اليمن، للبحراني، عبد الله بن عبد الكريم، ص ٧٢-٧٤.

^(٢) قيل إن محمم وابنه هما إينا أمار بن بزار، فبزار أمار بن سبا نسبهم إليه، قال جرير بن عبد الله البجلي مثلاً: لفراسة الكلبى إلى الأكرع بن حابس:

يا أكرع بن حابس يا أكرع إنك إن يسرع أمرك تسرع
وقال أيضاً:

أبى نزار أبصر أمالكما إن أبى وسدته أمالكما
لن يطلب اليوم أخ ولا كماً ..

انظر: كتاب الجند والتاريخ لمطهر بن طاهر للكندي ١١٨٠/٤.

دون أن يدري بأنهم انتقلوا في هجرتهم إلى مواطن أخرى، وهذه المواطن ليست من أرض اليمن وإنما من أرض الحجاز فهو يصنف خروجهم من سآرب، ومروهم ببعض البلاد والمناطق بأرض اليمن حتى أُنْتهوا إلى أرض عكَّ وأقاموا بها محاورين لهم بتهامة اليمن إلى أن وقع الخلاف بينهم وبين عكَّ فاتجهوا إلى أرض الحجاز. وهي المخاورة لأرض عكَّ - على رأيه - ثم يتابع وصفه لرحيلهم قائلًا: " فساروا إلى الحجاز فرقاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد - أي من بلدان الحجاز أو غيرها، وليس من أرض اليمن - فمنهم من نزل السروات - فهذا اعتراف بأن السراة التي استوطنوها هي من بلاد الحجاز، وهو ما يوافق التقسيم الإقليمي لشبه الجزيرة، ويتطابق للواقع التاريخي في كل أدواره، وأطواره^(١) .

وينبض الإشارة هنا إلى أن معظم الهجرات كانت إلى جهة الشمال، والشمال الشرقي من جزيرة العرب، وقُلِّما كانت إلى الجنوب حيث لاسعة، بالإضافة إلى التنازع والتشاحن، وغير ذلك من دواعي الهجرة، وأن الانتقال لمواطن جديدة لم يترتب عليه ضم تلك المواطن للموطن القديم، شأن الهجرات إلى مواطن جديدة فسي كافة بقساع الأرض، ومنها هجرة الأوروبيين إلى قارة أمريكا وغيرها.

(١) انظر حلة جزيرة العرب، بصرف، ص ٢٧٠-٢٧٢، ويختصر أخبار اليمن ونبأه، المطبوع مع مجموعة كتاب الأبناء عن دولة بالقي وسبأ، لابن زبارة ص ٢٢، ٢٣.

لكن كما يقول حسين بن علي (عليه السلام) ^(١) وما من شك أن القبائل القحطانية والعنقانية أصبحت اليوم أسرة واحدة، احتلقت مساكنها وحماؤها، ففي كل قبيل وقرية خليط من القبيلين، علاوة على علاقة المصاهرة التي بدأت في زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، قبل أربعة آلاف سنة، وتدرجت إلى يومنا هذا .. ولقد جاء الإسلام فوحد الأمة، وجمع الكلمة ولم يفرق بين أبيض وأسود، وجمعهم تحت راية التوحيد .. وجعل من موطن الإسلام الأول وطناً لجميع الأجناس .. وألغى عصبية الأحساب والأنساب .. وأخفى بين المهاجرين من قريش ومن معهم من سائر القبائل، وبين الأوس والخزرج، وضم إلى بينة سلمان الفارسي لإيمانه بالله ورسوله وأبعد أبالحب، عمه صيرُ أيسه، بنساده وبعمه عن حفيوة الإسلام.

فليت الذين يشعرون - بين الحين والآخر - النعرة القبلية الجاهلية يدركون ذلك! فالشعوب العربية، والأمة الإسلامية بحاجة لتوحيد الجهود المشتتة، لخدمة الإسلام، والأمة الإسلامية حتى تكون حقاً محور أمة أخرجت للناس.

^(١) ليس فكبرى ص ١٥٧ وما بعدها بصرف.

الباب الثاني

الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي حتى ظهور

الإسلام

قد يستتكمف البعض من إطلاق كلمة "جاهلية" وصفاً للعرب فيما قبل الإسلام من منطلق أن البعض منهم كان له حضارة، وفي تعميم هذا الوصف على الجميع فيه غمط لمؤلا.

ويجيب بأن المراد من الجاهلية هنا: الضلالة والتمادى في الغي، وعدم التحسب بالأخلاق القريمة، بالإضافة إلى عدم معرفة الواجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن هذا القبيل قول الله سبحانه، في شأن موسى عليه السلام وقومه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَاثَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾^(٢) وما روى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إني سأيت رجلاً، فغيرته بأمه

(١) سورة الأعراف، آية ١٣٨ .

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٣ .

- وفى رواية - قلت له: يا ابن السوءاء، فقال لى النبي ﷺ: يا أباهز؛ أعيرته بأه ١٢ إنك امرؤ فيك جاهلية... (١)

فليس المقصود هنا من إطلاق وصف جاهلية هو نفي العلم فيما من شأنه أن يستماغ تعلمه، لأن المقابل للجهل هنا هو العلم والتعلم، ومعرفة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، كما أن المقابل للأمية هى القراءة والكتابة، فليس في هذا منقصة. فقد يقبل عليها قوم، ويعرف عنها آخرون شأن كل الأمم والشعوب، في التعليم وعدمه، وقد كان النبي ﷺ، أمياً، أى لا يكتب، ومع ذلك كان أعلم العلماء وعجز الفصحاء عن مجاراته.

ثم إنه ليس بالضرورة أن كل من لا يعلم شيئاً يُعد جاهلاً على الإطلاق، فلا يعمم الحكم، وإنما يوصف به التارك طلب حد الشيء وحقه المعتقد له على غير ما هو به، ولولا ذلك لما استحق اللعنة وللنمة على جهله (٢).

والعرب قبل الإسلام كانت الغالبية منهم تهادى في الضلالة والغي، فاستحقوا أن يطلق عليهم هذا اللفظ، وليس لأحد أن يستنكف هنا لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى وصفهم بذلك، وإلا فهى حمية الجاهلية! ..

(١) رواه البخارى. وكذا ما ورد في شأن الكعبة فيما روته حفصة رضى الله عنها من رسول الله ﷺ: "إلا الناس حنظل عهد بالجاهلية لمستها وحملت لها باباً - أى باباً من خلقتها أيضاً - وحملتها على أساس إبراهيم .." انظر السورة الحلية ٢٢٥/١.

(٢) قوله وقار يخ، ج ١، ص ٢٠.

ونعود لتلمس الوضع في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي. حث
للحظ أنه أقيمت بها ممالك في جنوبها وشماليها ففي الجنوب بأرض اليمن
قامت أول دولة عربية، وهي الدولة المعينية^(١)، التي كانت بالجنوب، فيما
بين بحران وحضرموت، وعاصمتها "قرنا" ثم انتقلت إلى "معين" وقامت
عام ١٤٠٠ ق.م، وأواخر عهدهم نافسهم السيئون السيادة حتى قضوا
عليهم عام ٨٥٠ ق.م.

وكانت مملكة حضرموت هي الأخرى فد نشأت عام ١٠٢٠ ق.م،
وعاصمتها "شيرة" ودخلت أيضاً في حروب مع الدولة المعينية، ثم انتهت
عام ٦٥ ميلادية.

ثم قامت مملكة سبأ على انقراض مملكة معين عام ٨٥٠ ق.م.
وانتهت عام ١١٥ ق.م بقيام مملكة سبأ وريثان الحميرية، وكانت
عاصمتها "مرواح" ثم "مأرب" ويطلق عليها البعض: الحميرية الأولى،
عام ١١٥ ق.م، واستمرت حتى عام ٣٠٠ ميلادي، ثم أعقبتها الدولة
الحميرية الثانية عام ٣٠٠ م حتى عام ٥٢٥ م حين دخل الأحباش اليمن^(٢).

(١) ينسب للمعنيين إلى المعالقة، ويسوا إلى القحطانيين، كما يقول الدكتور حسن إبراهيم، انظر اليمن البلاد
الغنية، ص ١٥.

(٢) دراجد حسب شرق الدين، اليمن عبر التاريخ ص ٥٩، ٥٨، ط ٤، ١٤٠٦/١١٨٦، وأيضاً: د. السيد عبد العزيز
سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ١٠١-١٢٤.

وتفيد روايات الأعيان أن بعض حكام هذه الدول كانت لهم سطوة وهيمنة، وأنهم غرروا بعض الممالك للعاصرة لهم كالحبشة، وفارس، ومصر، كما أنهم هيموا على طرق المواصلات البحرية في المحيط الهندي، والبحر الأحمر، وكان لهم أسطول تجارى حمل بضائع الصين والهند إلى آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، فكانوا بذلك همزة الوصل بين تجارة الشرق والغرب^(١). ولئن تحدثت عما بلغت تلك الممالك من حضارة ورقى، فذاك خارج عن منهجنا لهذا البحث.

لكن يبدو أن مظهر السيادة تلك الممالك لم يفرج عن أرض اليمن، وظل وسط شبه الجزيرة العربية معنأى عن تلك السيادة، وبعيداً عن تلك الصراعات، التي كانت تقوم فيما بينها، وبين غيرها من الدول المجاورة.

يقول ابن حزم: إن ملوك حمير والتبابعة لم يملكوا غير اليمن^(٢).

ويقول ابن واضح^(٣): إن ملوك اليمن لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يسيروا على البلاد، ثم يرجعون إلى دار ملكهم.

وقال الفلقشندي: أعيان التبابعة غير مضبوطة، وأمورهم غير محققة، وعد ابن حبلون أعيان غزوات التبابعة من الأعيان الواهية التي نقلها

(١) د. أحمد حسين غرب الدين، المصدر السابق ص ١٣٥، ود. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص ١٠٨.

(٢) الممهرة، ص ٤٨٧.

(٣) نقله عنه الشيخ عبد الأكوع الخوالى، انظر اليمن الخطراء، ص ٣٤٥، وانظر أيضاً الوقفى، أحمد بن أبي يعقوب، المعروف بابن واضح، تاريخ اليمنى ١/ ٢٤٥.

المؤرخون دون تمحيص^(١) على أن الطبرى قد ذكر أن الملك من ملوك اليمن كان لا يتجاوز غلامه، وإن تفوز به فيمسافة يسيرة^(٢) وذلك فيما عدا البعض منهم كتبع بن حسان الذي أغار على فارس وقتل قباد ملكها^(٣) وكانت له غزوات أخرى ومن المؤكد أن القلقشندي لو أحس بأن قول الطبرى أو غيره فيه مخالفة للواقع لما ترائى في نقله وبين الصواب فيه، وفق المنهج الذي كان متبعاً لدى المؤرخين الأوائل، والذي كان يقوم على إيراد الروايات والأخبار بأسانيد ثم نقلها، ريبان الصواب فيها.

و تأكيداً لذلك نلاحظ أنه قُيّمت عدة دول في وقت واحد، أو بالأحرى تعاصرت دولتان أو أكثر، وتقسّمت أرض اليمن ولم تتمكن دولة منهم من إخضاع أرض اليمن بكاملها لسيطرتها، وبسط السيادة عليها، فيما عدا دولة سبأ (٤١٦ م - ٣٠٠ م) في مرحلتها الثانية، فهي التي تمكنت من إخضاع جزء كبير من أرض اليمن لسيادتها^(٤).

^(١) للتفصّل، ص ٩.

^(٢) صبح الأعي ٢٤/٥، وابن بطون، المص ٥٨/٢، وتظهر اليمن الكبرى، للسيّد، ص ٢٠٥، قال نقلاً عن الطبرى أنائل عن ابن بطون كان ملوك اليمن يهرون على النواصي المجاورة أو البعيدة بفرض استعصال أعمالها، فإذا قنعهم المطلب لم يكن لهم ثبات، وإذا خرج أحدهم من غلاته وشعر بتوقف عداد إلى غلاته، من غير أن يؤد له في غلاته، أو يؤدى إليه عراج، شأن للتفصّل.

^(٣) الطبرى ٩٦/٢.

^(٤) م. ب. يوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام ولفقرون الأول للهجرة، تعريب محمد الشعيبي، ص ٥٥.

والعجيب أن حالة تعدد الدول ووقوع الصراع فيما بينها تكررت مرة أخرى عند ضعف الدولة العباسية، ولم تستطع أى منهم أن توحد اليمن سياسياً، وسوف نأتى على ذكرها في حينه.

كما نلاحظ أن قبائل وسط شبه الجزيرة كانت تقوم أحياناً بغارات على تلك الممالك، كقبيلة عامر بن صعصعة من هوازن^(١) لكن مايلت الملك أن يقوم بعملية غزو لردع الغزو وتأديبه، وكسراً ما كانت تلك القبائل - ومن يحالفها - تشتبك مع هؤلاء في مواقع وحروب مسلحها شعراً، كيوم "عسزاري"^(٢) الذي قاد فيه كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي - رئيس الحيين بكر وتغلب - ضد أحد ملوك حمير حوالي عام ٥٠٠م، وفيه قال عمرو بن كلثوم^(٣) .

ولحن غداة أوقد في عسزاري هديت كتابها متهجرات

ويقول بعض من شهدها من حولان^(٤) :

كانت لنا بحزار وقعة عجب لما التقينا وحادى الموت يحديها

(١) م.ب. يوتروفسكى، المصدر السابق، ص ٨٧.

(٢) عراز اسم جبل في بلاد ربيعة قرب كليب بن وائل.

(٣) الليثاني، أبو الفضل أحمد بن محمد القيساري، مع الأندلس ٤٢٠/٧، وشرح العمري في شرح رسالة ابن زيدون، لابن باه للمصري، ص ٩٧.

(٤) الليثاني، سفة جزيرة العرب، ص ٣٢٢. ويقال لهذه عسزاري.

وكان من أقدم تلك الأيام يوم السيادة^(١) فكانت تمركات هؤلاء الملوك نحو وسط شبه الجزيرة للفزوة والتأديب ولم تكن بقرض فرض السيادة، لأن القبائل تأنف من الخضوع لغير رؤسائها، فصرف هؤلاء النظر عن ذلك واكتفوا بمجرد القيام بمحلات للتأديب لا للتوسع أو فرض السيادة بضم مناطق أو أجزاء أخرى لأرضهم وممالكهم ..

ولذا نلاحظ أنهم كانوا يعودون دون أن يدركوا أي أثر لظواهر تلك السيادة، ولعل من هذا القبيل ما فعله نبع (الأكبر) أسعد أبو كرب - وقيل بل تبع الأصغر - حينما ذهب إلى يثرب (المدينة المنورة) وقتل بعض اليهود ممن تسلطوا على بنى عمومته الأوس والخزرج، وأراد إحضار المدينة، فقبل له: إنها مهاجر نبي يأتي بعدك، فصرف النظر عن ذلك، ودان به، وقال:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري للنسم

فلو مُد في عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

ثم أخذ معه حشبه من أحوار اليهود وانصرف إلى اليمن، ومسر بالكعبة فكساها بالثريد^(٢) ومن هذا القبيل أيضاً ما فعله قو نولس بمسيحي أهل نجران، عندما حذّ لهم الأخادود، وخيّرهم بين ترك المسيحية وأتباع

^(١) الميثاق، للمصدر السابق، ص ١٣٣، وبلغ الأرب، ص ١٥٠، ويقول إنها أول وقعة بين تهامة واليمن.

^(٢) للقسى، مطهر بن طلحة، البدء والتاريخ ١٢٩/٣-١٨٠، والأغوسى، عمود شكرى، بلغ الأرب، ص ١٧٠، والنظر اليمن الكبرى للويس، ص ٢١٣، ٢٠٥.

اليهودية أو الحرق في الأعدود .. فهناك رواية أورعها الطبرى^(١) . مفادها أن رجلاً يهودياً من أهل بخران، يقال له: دوس، ذهب إلى ذى نراس — الذى كان قد نهو — مستنجداً إياه على نصارى بخران لأنهم قتلوا ابنه له ظمناً.

يقول الطبرى: فسار إليهم ذو نراس بمنزلة من حمير، وقاتل اليمن، وخذ لهم الأعدود^(٢) فهذه الرواية، ربما تكون مقبولة عقلاً ومنطقاً.

فاستجداد الضعيف بالقوى عادة مألوفة لدى العرب، وأيضاً لدى غيرهم من الشعوب، مثلما استجد سالك بن عجلان الخزرجى ببيع بن حسان على يهود يثرب قبل^(٣) ومثل خروج ذو ثعلبان أو ابن الثامر عند الأعدود يستجد بملك الحبشة، ومثل استجد سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفر بكسرى أنو شروان على الحبشة^(٤) فسبب خروج ذو نواس هو التلبية لمن استجد به، وعندما عرف أنهم يدينون بالمسيحية أعطته الحماية لليهودية التى كان قد اعتنقها، فأراد التكاية بهم لقتلهم أبناء اليهودى الذى استصرخه، فخيرهم بين ترك ديانتهم واتباع ديانة من استصرخه، وديانته هو أيضاً، وفي هذا تنكيل بهم، ولم يكن أهل بخران كلهم متبعين الديانة المسيحية، فقد كان رادى بخران يضم العديد من

(١) الطبرى، ١٢٣/٢.

(٢) الطبرى، ١٢٣/٢، ونظراً لنبأ الأوتل لآلى خلال العسكرية (٥٧/).

(٣) القسسى، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، ١٢٩/٣.

(٤) القسسى، المصدر السابق، ١٨٨/٢، أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٥٧.

القرى على جانبيه، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حَيَوز نجران، وإنَّما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الفن، هم الذين اتبعوا المسيحية، منهما قرية الحصن، أو "نجران" قاعدة المنطقة، والتي سميت باسم أحد أشهر أوديتها. وعُهد الأعدود بجوارها^(١) وأطلق فيما بعد على هذا الموضع: قرية الأعدود، ثم هُجرت وتحوّلت إلى آثار^(٢) أما بقية سكان قرى نجران الأخرى، فكانوا يعبدون الأصنام، شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت، فقد جاء الإسلام وبالقرب من نجران صنم "يسوث" الذي كان للمصح وأخذ به بنو غطفان من مراد، واستقر عند بني الضباب من بني الحارث^(٣) وكان ذا الخلصة لئنهم وجوس وقبائل يثضة والسروات، وبجيلة، وبعث النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فكسره^(٤) بل كان المنطبق لمكث والأشعرين^(٥) بتهامة، ولو كان النافع لخروج ذي نواس هو إرغام الناس على اعتناق اليهودية لكان عباد الأصنام أولى بإقدامه إليهم، لاسيما وأن اليهودية والمسيحية منذ بداية القرن الثاني الميلادي، إيمان متآلفان إلى حد ما. وهدأت الصراعات بين الطائفتين اليهودية والمسيحية قبل حادث

^(١) يقول المسوي، مصمم البلدان ٢٦٦/٥-٢٦٩، وقطري ١٢١/٢-١٢٢، ويقول (ص ١٧١): كان الأعدود في قرية من قرى نجران، قرب منها، ونجران هي القرية العظمى التي إليها شَمَاع أهل البلاد.

^(٢) توجد حوزة في بلاد عسير، من ١٧١، ويقول البطلاني (ص ٣١٨): إن موضع الأعدود كان به قرية تسمى حجر انتشرت.

^(٣) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٩٢.

^(٤) للمصدر السابق، ص ٢٩٣.

^(٥) للمصدر السابق، ص ٤٩٤.

الأعدود. وجميع التوراة والإنجيل في كتاب واحد، تحت مسمى الكتاب المقدس، العهد العتيق والعهد الجديد.

فكيف يقدم ذو نواس على التتكيل بأهل كتاب، وهنك عباد الأصنام من رعيته بتهاسة اليمى، من مراد وزبيد وغيرهم، وكان موطنهم مقابل صنعاء غرباً، وبالقرب منها ١٩٠٠، وقد وصف الله أهل الأعدود بأنهم كانوا مؤمنين - أى على الديانة المسيحية قبل أن يلحقها التغير والتبديل - في قوله تعالى: ﴿يَقْتُلْ أَصْحَابَ الْأَعْدُدِ * النَّارِ ذَاتِ الرُّقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُورٌ﴾^(١) ولذا نجد أن ياقوت الحموى - بعد أن استعرض الروايات التى قبلت بشأن هذه الحادثة - يستبعد أن يكون الذى فعل هذا بأهل الأعدود، محتقاً اليهودية، ويرجح أن يكون كافراً^(٢) كما يرجح البعض أن حادثة الأعدود خلقتها دوافع سياسية، وأن التنافس الاقتصادى بين دولة الحبشة، ودولة حمور، ومحاولة مسيحية أهل بحران الاتصال بالحبشة، ومساعدتها لحسم، كل ذلك أوغرى صدر ملك حمور، ففازهم ونكل بهم، فأنتهزتها الحبشة ودخلت اليمن، وقضت على دولة حمور.^(٣)

(١) سورة العنكبوت، آية ٢٤-٢٥.

(٢) معجم البلدان، ٢٦٢/٥.

(٣) الأكراد، اليمن انقضاءه ص ٤١٠.

وعموماً فإن سير الرقائع، وبالأخص حادثة الأندلس ليس فيها ما يدل على ممارسة أعمال السيادة ولا فرض الهيمنة والطاعة على طائفة من الناس، وإنما هو غزو بدافع سياسى أو للتكامل لأى سبب كان. مثلما كان يحدث لبعض القبائل وسط شبه الجزيرة، أو حتى للدولة الموحدة أحياناً، فالغزو ليس له معيار محدد، لانعدام العهد والميثاق بين الدول في ذاك الوقت .. ولذا نلاحظ أنه انسحب بعد الحادثة عاقداً إلى موطنه، وعاد القارون من وجهه إلى موطنهم، وأعادوا بناء كنيسهم، ومارسوا ديانتهم التى جاء الإسلام وهم مقيمون عليها. كما نلاحظ أن الأحباش الذين اتخذوا الحادثة معبراً لغزوهم لليمن لم تكن لهم سلطة عليهم، وإنما توزعت سلطتهم على أرض اليمن، واستمر أهل نجران — النصراني وغيرهم من مختلف القبائل — في هيمنتهم الكاملة على أرضهم وبلدهم حتى جاء الإسلام.

وإذا ما تجاوزنا تلك الوقائع التى أطلق عليها "أيام العرب" فيما كان بين القبائل العربية وهؤلاء الملوك. فإننا نجد أن الغالبية العظمى من سكان الحضر والبادية في وسط شبه الجزيرة العربية، كانت تكن الرقة والاعزاز لهؤلاء الملوك، ويفخرون بهم، ويفنون إليهم لإظهار مردتهم، ومراعاتهم على أسس أنهم عرب مثلهم^(١) في مقابلة ملوك الروم وفارس. وليس أدل على ذلك من خروج وفد العرب، أهل الحضر والبادية، من وسط شبه

(١) الألفى، ج ١٦، ص ٧٣.

الجزيرة، لتهمة الملك سيف بن ذي يزن، عندما تحقق له طرد الأبحاش من اليمن، وكان من بينهم عبد المطلب بن هاشم، جد النبي ﷺ، وخطب أمامه يومها نيابة عن الرشد، وكان مما قاله: إن الله أحللك أيها الملك عملاً رفيعاً، صعباً منيعاً، وأنتك متباً طبابت أرومته .. وأنت ملك العرب وربيها الذي يخلص به، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف .. ونحن أيها الملك أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشد حوصناً إليك الذي أبهجنا لكشف الكرب الذي قدحنا، فدعنا وقد التهمة لا وقد المرزومة^(١).

وبعد أن انتهى عبد المطلب من خطبته، سأله سيف بن ذي يزن، أيهم أنت أيها للتكلم؟ فقال أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن اختنا؟ قال: نعم، ابن اختكم، قال: أدن مني، وقر به من مجلسه، واحقق به^(٢).

وكان هاشم أكبر أبناء عبد مناف، ويقال له ولاخوته: نوفل، وعبد شمس، والمطلب: لأخبرون، لأنهم أول من جحر وأصلح أمر قريش في التجارة، فأخذوا لها المعهود، وعقدوا الموائيق مع الدول المجاورة، التي ترفها قريش للتجارة، فعقد هاشم عهداً مع ملك الروم أن تختص قريش

(١) الألبوسي، عمود شكري، بلوغ الأرب، ٢٦٧/٢، والأغاني للأصفهاني ٧٢/١٦، والأزهرى ص ١٥٠. ولا يفرقهم أحد أن في كلمة عبد المطلب اعترف بسيادته على العرب، فهذا أسلوب مهمل كان يقال أيضاً لكسرى ونمبر (٢) وأم عبد المطلب بن هاشم، هي: سلى بنت عمرو بن زيد من بني النجار من النزدوج من لعلية بن عمرو مزينة من زيد كهلان بن سبأ. وكذلك كان جد عبد مناف بن قصي، أمه شمس بنت حليل بن حبشية من خزاعة. وقبل أم قصي من أزد السراة. انظر ابن الأثير ١٨٤١٧/٢، وانظر أيضاً: الطبري ١٤٨/٦، وكتاب الهمم والتاريخ ٥/٥.

بشجارتها في أرضه، وهي في أمان، ومع ملوك غسان بالشام، وعقد أخوه عبد شمس عهداً مع النجاشي ملك الحبشة، وعقد أخوه نوفل عهداً مع الأكاسرة وملوك الحيرة، وعقد المطلب عهداً مع ملوك حمير باليمن^(١). فازدهرت بذلك تجارة قريش^(٢) نتيجة للأمن الذي توافرها في كافة البلاد التي تختلف إليها، وكانت تجارتها من أشهر الرحلات التجارية على مدى قرن ونصف قبل مجيئ الإسلام.. وكانت من النعم التي خص الله بها قريش، وهاجسٌ إلى عقلم المكانسة التي ساحتها في نفوس العرب، وإرهاص من إرهابات النبوة. ولذلك ذكرهم الله بهذه النعمة من باب التذكيت والتفريع لهم على عدم ذكرها، وشكره سبحانه عليها، وحضهم على عبادته وشكره سبحانه وتعالى، حين بعث إليهم، وإلى العالمين نبياً منهم، كان الأحرى بهم أن يكونوا أول من أتبعه وآمن به، في قوله تعالى: ﴿لَا يُلَاقِي قَرِيشٌ إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَمَلَهُمْ مِنْ جَسْعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٣) فكانت رحلة الشتاء لليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام، وفلسطين، والعراق، ومصر^(٤)

(١) طبقات ابن سعد ج ١، ص ٧٥-٧٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ١/٦، والطبوى ٢٥٧/٧، ونهاية الأرب للزبيدي ٣٣٠٣٧/١٦، والطبقات لابن سعد ٧٥/١.

(٣) سورة قريش الآية ١-٤.

(٤) فكتب التاريخ قريش أن عمرو بن العاص ذهب في الجاهلية إلى مصر في تجارة، وحضر سراً كباراً يرسون فيه كره، فإذا سقطت على أحد، أو في حمراء عرفوا أنه سيتولى حكم البلاد، أو يتقلد منصباً فيها، فسقطت على عمرو، فمجيء، ونظروا أنها أحطت طريقها.

ونلاحظ أن هاشم بن عبد مناف وإخوته قد عقدوا العهد مع ملوك الدول التي تجوب قافلتهم التجارية أراضيهم، حتى لا يتعرض أحد من رعايا هؤلاء الملوك لتجاراتهم حين المرور في أراضيهم، أما قبائل وسط الجزيرة العربية، وما يسيطرون أيديهم عليه من أرض فكانت لهم معهم تعاملات أخرى، بعضهم ينفقها بمقابل، أو دون مقابل لصلة القرى، فمثلاً كان سعد بن عباد يميزها وهي بالمدينة، أو في حيزها^(١) وإذا مرت بتهامة الحجاز والسراة، كانت بعض القبائل التي تمر بأرضها تحمّلها بعض السلع لبيعها لها في الأسواق التي تحل فيها^(٢) أو تشتري منها بربح قليل، وفي هذا دليل على هيمنة القبائل في تهامة والسراة على الأرض التي يسيطرون أيديهم عليها، دون أن يكون لغوهم أية سلطة عليهم. بل إن هذا هو شأن كافة القبائل وسط شبه الجزيرة العربية. فالقبيلة هي صاحبة السلطة والسيادة على الأرض التي تبسط يدها عليها، ولا تنزع منها السيادة على تلك الأرض إلا قبيلة أقوى منها، ولا تمر بها قبيلة، أو تتجمع فيها، أو ترد مناهلها إلا بإذن منها، ولذلك يجد أن الأرض كانت تحمل اسم القبيلة التي تفرض سيادتها عليها، فيقال أرض هوازن، وأرض كنانة، وسراة بني على، وسراة فهم، وسراة بجميلة، وسراة الأزد، وسراة للبح، وبلاد بني مالك بن شهر، وبلاد وادعة وبني الحارث، وغير ذلك كثير^(٣)

(١) الطبري ٣٦٨/٢.

(٢) الطبري ٧٨/١.

(٣) صلة جزيرة العرب، ص ٢٦٠-٢٦٢.

وكانت القوافل التجارية لاتعبر تلك الأرض في الغالب إلا بإذن من رؤساء القبائل المهيمنة عليها، وأعمال الخفارة للقوافل لاجازتها غير المسالك، وحمايتها من النهب والسرقعة، كان يخضع لاتفاق مسبق للإذن بالعبور، إما مقابل جعل يدفع، أو للتعامل بالمثل، أو غير ذلك، وكثيراً ما كان يتم العبور من قبيل النخوة والشهامة.

ومما يعطى الدلالة على أن هذا الوضع هو الذي كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، هو أن "باذان" عامل كسرى على اليمن^(١) كان يبعث إلى كسرى كل عام قافلة تحمل الكثير من طُرَفَ اليمن: كالثياب، والمطرر، والذهب، والخرامير، وكانت القافلة تخرج من اليمن مغفورة برجال من بنى الجعد المرأين من كتبة محضرموت، ومعهم بعض أفراد من رجال كسرى، إلى أن تصل إلى أرض بنى تميم فيتمهلها هرة بن على الحنفى، رئيس بنى حنيفة في ذلك الوقت، حيث يقرم بإرسال من يحرقها حتى تجاوز أرض بنى تميم وسط نجد، فلما كان بعض المستن، وهى في أرض بنى حنظلة دعا صمصمة بن ناجية بن عقال الجاشعى قومه إلى الثوب عليها، لكنهم أبوا ذلك، فلما صارت في بلاد بنى يربوع دعاهم إلى ذلك فاستجابوا، وأغاروا عليها وقتلوا معظم حراسها ومرافقيها من العرب والفرس، واستولوا على ماقلعه، وفر من ثما من الموت إلى هرة

^(١) بعض المراجع تذكر أن هذه الحادثة وقعت في عهد وهز، لكن ابن الأثير ذكر أنها في عهد باذان، آخر عامل كسرى على اليمن، والذي أسلم - على أرحم الأكرال - في تمام التاسع من المحررة، وأنها كانت وقت الهبة النبوية، وقبل الهجرة، ابن الأثير ١/٢٢١.

ابن على الحنفى بالحماسة، فخفف من روعهم، وكساهم وأكرمهم، ثم سار معهم إلى كسرى، فحفظ له كسرى موقفه ذلك، ودعا يعقده من دُرِّ عقده على رأسه، وكساه ثياباً ديباج، فمن ثم شُيِّ: هوذة ذو التاج^(١) أى صاحب التاج، وبعد تلك الحادثة كان كسرى يبعث بتجارة لتباع في اليمن، فكان هوذة بن على الحنفى يبعث من يقوم على حراستها حتى تجاوز أرض بنى محم في طريقها إلى اليمن^(٢).

وشاهد آخر على هذا الوضع الذى كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، وهو أنه كانت تقام عكاظ - بين نخلة والطائف - سوق تجتمع فيها العرب كل عام إذا حضر مرسوم الحج، فبأن الناس بعضهم بعضاً، وتقام في مستهل شهر ذى القعدة حتى العشرين منه، لينصرف الناس بعدها لأداء مناسك الحج، وكانت السوق للأدب يتبارى فيها الشعراء والمخطباء بأحسن ما لديهم، كما يتبارى التجار بترويج ما يحملونه من سلع متنوعة، فكانت غذاء للعقل والجسم معاً. كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، يبعث (لعليمة) أى بضاعة للإتجار بها في سوق عكاظ كل عام، وقبيل حلول الموعد يندد إليه بعض رجالات العرب، وقرساتها، ليعرضوا عليه القيام بحماية القافلة حتى تجوز إلى عكاظ، وفي أحد الأعوام اجتمع

(١) الطبرى ١٦٩/٢، ومن الأثر ١٦٢٠/١، ومرح العيون في شرح رسالة ابن رندوة لابن نباتة المصري، ص ٥٥.

(٢) ابن الأثير ٦٢١/١.

لديه لفيف من العرب، كان منهم عروة بن هبة بن جعفر، المعروف بعروة الرّحال^(١) وكان شريفاً في قومه.

كما كان من بين الموجودين البرّاض بن قيس الكناني، ثم الضمري، وكان فاتكاً خليعاً، يُضرب به المثل في الفتك^(٢).

قال النعمان للحاضرين، مجلسه: من يميز لي أطيومتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فقال البرّاض: أنا أحيزها على كنانة، فقال النعمان: إنّا أريد من يحيزها على كنانة ويحبس: فقال عروة: أكّلبُ خليع يحيزها لك؟ أنا أحيزها على أهل الشيخ والقيصوم^(٣)، من أهل تهامة وأهل نجد.. فقال البرّاض خاضياً: وعلى كنانة يحيزها يا عروة؟ قال عروة: وعلى الناس كلهم .. فذفع النعمان القافلة إلى عروة الرّحال ليسر بها إلى عكاظ، وخرج في أثره البرّاض متخفياً حتى قتله، واستولى على التجارة، وقامت بسببه حرب الفجار، التي شهدها الرسول ﷺ، وعمره عشرون عاماً^(٤).

^(١) عروة الرّحال ابن هبة بن جعفر بن كلاب من عامر من سماعة من هوازن، واطلق عليه ذلك لكثرة رحلاته. الميسرة، ص ٢٨٦.

^(٢) أي الأعداء على كثرة.

^(٣) الشيخ والقيصوم نبات لا ينبت إلا في البادية، وهذا كناية من حابة قتلته من أهل الحاضرة وقبائله وإحازتها كلمة البرادى.

^(٤) ابن الأثير ١/٥٨٩، ٥٩٠، وشرح القيرن ص ٩١، والبدء والتهيؤ ١/١٣٤، واختلف في عمره ﷺ، وذكرنا ما رواه صواباً.

وهي حرب الفجار الثاني، وقيل: إنها أربعة، وأن الذي شهده الرسول ﷺ هو الرابع^(١) منها، وأن عمره كان وقتها أقل من عشرين عاماً.

وكثيراً ما يردد البعض القول بأن أبناء الحارث بن عمرو الكندي كانوا ملوكاً على أحياء العرب، وسط شبه الجزيرة، ويفعل قصداً أو عن غير قصد ملازمات ذلك والداعي إليه ...

فحقيقة ذلك كما يرويه ثقة المؤرخين: أنه لما استحر القتل بين القبائل العدنانية، ومنذ أمرها، بسبب كثرة الحروب بينها، تجمع أشراف وكبراء تلك القبائل، واتفقوا أن يولوا عليهم حكماً يكون بمثابة قاضي يحكم بينهم ويُرجم إليه فيما ينشب بينهم من خلاف أو منازعة.

وصالاً لثروته وانصافه اتفقوا أن يكون غريباً عنهم، حتى لا يتعصب لقبيلته، فأتوا إخبارت بن عمرو الكندي، وكان ملكاً على الحيرة، وعرضوا عليه أمرهم، وسوء الحال التي وصلوا إليها.

ثم طلبوا منه أن يرسل معهم بنيهم، ليكنوا على القبائل كحكام وقضاة، ويكفروا بعضهم عن بعض، فوزع أبناءه على القبائل، فكان ابنه حجر على بني أسد وخطفان، وشرحيل على بكر بن وائل بأسرها، وبني حنظلة، وابنه معد يكره على بني تغلب والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد متاعاً، واستمر الوضع على ذلك عدة سنين إلى أن امتنع بنو أسد أن يدفعوا

^(١) جمع الأطفال للميلاني، ٤٣٠/٢.

الإثارة، أو النفقات المطلوبة منهم سنوياً لحجر بن الحارث، حاكمهم، أو بالأحرى قاضيهم، فصار إليهم لقناهم فقتلوه، وهو والد اسروا القيس الشاعر المشهور، واستمعت بقية القبائل عندئذ عن دفع تلك الجباية، وطردوا أبناء الحارث^(١) وغير ذلك مشهور تاريخياً، وليس فيه دليل على ملك كندة لوسط الجزيرة، فإن القبائل العربية في وسط شبه الجزيرة هي التي استحدثتهم وهي التي أعفقتهم من مهمتهم.

ملوك العرب في الشمال :

تباينت هجرات القبائل العربية من جنوب ووسط بلاد العرب إلى الشمال، واستولتوا أرض العراق، والشام، وفلسطين، ومصر، منذ عهد بعيدة، فقد قيل إن فراعنة مصر، الذين كانوا على عهد الخليل إبراهيم عليه السلام، من العماليق الذين هاجروا من بلاد العرب^(٢) وأنه قد توافقت هجرة قبيلتي جرهم، التي كانت تستوطن تهامة اليمن^(٣) وقبيلة قُطُور، سُكنى اسماعيل عليه السلام مكة المكرمة، فأقامتا بجواره، وصاهر اسماعيل قبيلة جرهم، ثم بعد فترة نزلت قطورا إلى الشمال حتى استقرت بطون منها بمشارف الشام، وببادية السماوة^(٤) . وأقاموا مملكة تدمر ببادية

(١) الألفاني ٦٣، ٦٧/٨، وبلغ الأرب للأوسى، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٤٢/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٤٢/٥.

(٤) أخبار مكة للأزدقي ٨٥، ٨٦/١، ونهاية الأرب للثوري ٢٢، ٣٢/١٦.

السماء بالقرب من حمص، وكانت معاصرة لتبى الله سليمان عليه السلام، وربما تكون البطون الأخرى منها، هى التى أسست مملكة الأنباط بالبواء بالقرب من حوران قبل القرن الرابع الميلادى، وكان من أشهر ملوك مملكة تلمر الملكة زنوبيا (الزنباء) ابنة عمرو بن الططرب بن حسان بن أذينة بن السميدع^(١) وكان يماصرها فى الحيرة^(٢) حكم التوحيين الذين كان من أشهر ملوكهم جندبة الأبرش، وابن أخته عمرو بن عدى من آل نصر اللخمى، ثم تلاهم فى حكم الحيرة المناذرة أبناء عمرو مزيقياء من الأزد^(٣).

أما فى الشام فأول من حكم هم الضحاكمة من سليم من قضاعة، إلى أن تمكن الغساسنة من آل جفنة من عمرو مزيقياء من التغلب عليهم، والاستقرار بالحكم، فواصر القرن الخامس الميلادى، وأول ملوكهم الحارث ابن جبلة، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى أسلم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت ديارهم تمتد من السموك إلى الجولان إلى القرب من دمشق^(٤).

^(١) والسميدع هم بطن من قحطرة من الصالحين.

^(٢) الحيرة: تمتد من الكوفة بحلابة آمال، وتقع بالقرب من خفة لغرات الفرية.

^(٣) بلوغ الأزد للأغوسى ١٧٥-١٧٧.

^(٤) دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام، د. سيد سالم، ص ١٩٧، ١٩٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ١٥٠.

ولعل من أسباب إقامة تلك الممالك في هذه المناطق، هو تابع
 حضرات القبائل العربية على مختلف العصور، وسيطرتها عليها عقب
 انحسار نفوذ الفينيقيين، والآشوريين، والكلدانيين، والسريانيين وقبل أن
 يمتد إليها نفوذ الساسانيين والروم البيزنطيين، الذين استمرو حتى ظهور
 الإسلام.

وكان من أشهر القبائل التي هاجرت واستوطنت تلك البقاع
 بالإضافة إلى العماليق، بطون من قضاة كسليح، وبهراء، ولسي، ويطون
 من إباد بن معد إلى عين أباغ فيما بين البصرة والكوفة، وقبائل من بكر
 وتغلب، وتموخ، ولخم، ومن الأزدي، وغيرهم^(١) فكانت تلك القبائل سداً
 قوياً في مخالفتها للحاكم العربي في تلك البقاع، وعندما امتد نفوذ العجم
 والروم إليها، لم يبدوا مناصاً من إقرار هؤلاء الملوك على ممالكهم، على أن
 يتعهدوا بحفظ الأمن فيها، ويكفروهم عن طر الفزوات التي كانت تقوم بها
 أحياناً بعض قبائل وسط شبه الجزيرة، على تلك الأطراف من ممالكهم.
 ويتضح ذلك من محاولة كسرى أبناء المنذر بن المنذر بن النعمان بن ماء
 السماء، ليختار من بينهم من يخلّف أباهم المنذر في حكم الحيرة عقب
 وفاته عام ٥٧٩م. فقد سألهم على أفراد سؤالاً يعرف رجاحة عقل كل
 منهم: أتكتفينا العرب؟ وهو يقصد عرب وسط شبه الجزيرة العربية، لا
 الذين يقيمون حول الحيرة، أو في حوزتها، لأن هؤلاء خاضعون لسيطرتها

(١) فلاحري، قرح البلدان ١٠٢/١-١٠٥، وابن الأثير ٣٤٠/١، ٣٤٣، والطبري ٩٠/٢.

وهميته، أما مَنْ يباحل بلاد العرب فلا سلطان له عليهم، ولا راد لمجمعاتهم أو غزواتهم إلا هؤلاء الحكام سواء في الحياة، أو الشمام^(١).

وكان ملوك الفرس والروم قد فرضوا عراجاً على الأصقاع التي تقع تحت نفوذهم يُجبى إليهم في العام مرة أو مرتين، وأحياناً كانوا يجبرون في مقدار ذلك الخراج. فلما ملك كسرى أنو شروان حاول أن يكون عادلاً في وضع الخراج^(٢) بتصنيف نوعية الأرض، وكيفية سقيها، ونوع المحصول المنتج منها، وغير ذلك مما عرف بوضائع كسرى، والتي استمر العمل بها في تلك البلاد حتى دخلها الإسلام في عهد عمر بن الخطيب، فأقرهم على العمل بها فترة من الزمن^(٣) وكان العرب في وسط شبه الجزيرة فيما قبل الإسلام لا يبدون شيئاً عن تلك الجبايات، أو التعاملات الضارفة، لأنهم لم يكونوا عسائرين لسيطرة أيّ من هؤلاء الحكام .. والحياة القبلية وكذا الحضرة بوسط شبه الجزيرة العربية تُألف من دفع الجبايات .. ألا ترى أن بعض القيسائل التي ارتدت عقب وفاة الرسول ﷺ .. وجَّهها لم يكن الإسلام قد تمكن بعد من شغل قلوبها .. طلبت من خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن

^(١) ابن الأثير ٤٨٣/١ - ٥١٠.

^(٢) كان مولد النبي ﷺ عام ١٠ هـ وبعد مضي اثنين وأربعين عاماً من حكم أنوشروان، وقال النبي ﷺ، ولدت في عهد الملك عادل، ويقصد بذلك أنوشروان، الظاهر ابن الأكبر ٤٥٧/١، وسرج العيون في شرح رسالة ابن

زيدون، لابن تيمية، ص ٥٧.

^(٣) الطبري ١٥١/٢، وابن الأثير ٤٥٥/١، والأسفار الطوال للدهري، ص ٧١.

بعضها من دفع الزكاة، وبعضهم قال عنها "إتساوة"^(١) بينما هم ملتزمون
بقية شرائع الإسلام!

لكنه رضى الله عنه رفض وقال قولته الشهيرة: والله لو منعوني
عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لغاتلتهم عليه^(٢).

وبما يؤكد استقلالية وسط شبه الجزيرة، وعدم خضوعها لأى من
الممالك في الشمال أو الجنوب، تلك الواقعة التي حدثت قبيل البعثة النبوية
بقليل، وهى أن عثمان بن الحويرث بن أسد بن عيد العزى بن قصي بن
كلاب، القرشى، كان يطمح أن يسود قريشاً ويؤاسها، وقد تمهّل لذلك،
فذهب إلى قيصر الروم، ورغبه في ملك مكة وما حولها، مثلما ملكت
قارس اليمن، وطلب منه أن يوليه حاكماً عليها من قبله، كى يُجسّى إليه
الجبايات، فوافق وكتب له بذلك كتاباً يوليه على مكة وما حولها.

فلما قدم عثمان بالكتاب أطلع أهل مكة عليه، وحذروهم مغبة
الخالفه والعصيان، وإلا سيخربون تجارتهم وأموالهم في بلاد الشام إلى
الملاك، وقد يسر إليهم قيصر ببحرته، فوافق بعضهم، وأخذ فريق يتداول
الوقوف في ناديمهم، فلما كان عشية اليوم الثاني قام ابن عمه أبا زمعة
الأسود بن عبد المطلب بن أسد، وصاح في الناس وهم يطوفون قسلاً:
ياعباد الله، أليكون مِلك في تهامة؟ ما كان بها مِلك قط! وإن قريشاً

^(١) الطبرى ٢/٢٥٩، وابن الأثير ٢/٣٥٢، وابن خلدون ١/٧١.

^(٢) الطبرى ٣/٢٤١-٢٤٤، وابن الأثير ٢/٣٤٤.

لقاحاً لا تملك لأحد. فقالوا: صدقت، لن نملكها قبصر ولا ضوفاً^(١) وهم
يقصدون تهامة مكة وما حولها، وما يتبعها من تهامة والطفائف، وجبال
السراة، ويعنى أوضح منطقة الحجاز.

ولذا قال باقوت^(٢) كانت مكة لقاحاً^(٣) لاثنتين لدين الملوك، ولم
يود أهلها إتارة، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تحج إلى الكعبة
ملوك حمير وكندة، وغسان وخم، فيدينون للحُجُس^(٤) من قريش، ويرون
تعظيمهم، والاعتداء بآثارهم أسراً مفروضاً، وشرفاً عندهم عظيماً، وكان
أهل الحرم آمنون، يقرؤون ولا يُقرؤون، ويسبون ولا يُسبون، ولم تسب
قرشية قط فوطاً قهراً، ولا يُجبال عليها السهام. وقد حُفمت قريش بعض
القبائل المحاورة للحرم، كمواصة، وكنانة، وثقف، وعامر بن صعصعة^(٥)
وأضفت الكعبة للهابة والحمة على مكة وبقاع الحرم، في الأشهر الحرم،
فكان الرجل يلتقي قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له بسوء.

وقد أدى هذا الاستقرار الأمني للحرم، أو بالأحرى لمكة والبقاع
المحزمة، إلى امتداد أثره إلى المناطق المحاورة، ومنها منطقة موضوع

^(١) شفاء قرام، ١٠٩١٠/٢.

^(٢) معجم البلدان، ليهوت الحموي ١٨٣/٥.

^(٣) معنى تعطي ولا تأخذ، وتحكم ولا تحكم، لا يقرعون الملك، ولا يؤدون إتارة أو حباية.

^(٤) الحُجُس: قنصل في الدين، ورجل أحس أى شعاع، وكان من حافة الحُجُس في المعاملة ألا يقرحوا أيام الحج
إلى حرة وإنما يقرعون بالزهد ليجزوا بالحق.

^(٥) معجم البلدان ١٨٤/٥.

الدراسة، فلقد انقضت الظروف وسط شبه الجزيرة العربية، أن ينظم العرب حياتهم فيها على أسس قبلية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، وتتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد يحملون اسمه، وربما تنضم إليهم جماعات أو عشائر بالولاء، ويحملون جميعاً وأحيات الدفاع عن القبيلة، وعن أى من أفرادها إزاء كل خطر يواجههم، فكسبت القبيلة هي المظهر الأول البسيط للحكم الاستقلالي^(١) وأصبحت القبيلة وما تهيمن عليه من أرض بمثابة ولاية مستقلة^(٢) أفرادها يدينون بالولاء لرئيس القبيلة، وروثها لاسلمطان عليه، يرضى مصالح أفرادها، ويعقد مع حيوته رؤساء القبائل عقد أمن أو موالاتة بعدم الاعتداء، وهو عقد إن لم يكن موثقاً بالكتابة في غالب الأحيان، لكنه كان بالنسبة ومصافحة الأيدي أو ثقب وأكد للوفاء به، كان هذا هو الرضخ السائد للحضر والبادية وسط الجزيرة العربية من حيث الاستقلالية وعدم الخضوع لسلطة الممالك حبوب وشمال بلاد العرب، في معظم الفترات التاريخية لما قبل الإسلام، وتسلس الأسور والأرضاع بينها وفق قواعد من الأعراق والتقاليد والعادات التي تلائم ظروفهم، وربما تختلف كثيراً عن تلك التي تسود هذه الممالك.

(١) من تقديم الدكتور صالح أحمد العلي، لكتاب الطوائف الحليقة بن عياط، تحقيق إكرم ضياء العمري، ص ٧.

(٢) د. إبراهيم بيضون، الممارسات والدولة الإسلامية، ص ٥٣، د. فريد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٦٠.

علائق المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الجهات :

من الصعب تمييز منطقتي (جازان، وعسير، وبجدة) بدراسة منفصلة عن وسط شبه الجزيرة العربية، خلال الحقبة التاريخية المبكرة التي نحن بصددھا، ذلك لأنها كانت تحتل خلال هذه الحقبة امتداداً طبعياً لبادية مكة والطائف. على ضوء الشواهد التاريخية.

فهامة الحجاز، وحصان المسرة (عسير) وأرديتها، وبجدة، ابتداء من مكة والطائف حتى العالم الطبيعية التي سبق الإشارة إليها في صدر هذا البحث، تقطنها قبائل لها في ذاك الوقت مطلق الاستقلالية على أرضها، وتسيطر بدھا عليها وكأنھا إمارة قائمة بذاتها، ويعقد رؤساء القبائل المجالس فيما بينهم، ويدخلون في ولاء مع حورائهم، أو مع من شاوروا من غيرهم، للمناصرة وعدم الاعتداء^(١) وھر في حقيقته شبيه بما يتخذ حالياً في العصر الحديث بين الدول.

وكانت مكة منذ عهد اسماعيل — عليه السلام — قد شرفت باحتضانها الحرم الشريف، واحتلت جانباً مرموقاً في نفوس العرب، ومع أن الوثنية قد انتشرت فيهم، لكنهم كانوا يقدون كل عام ليطوفوا بالبيت العتيق، ونالت قريش بولايتها البيت ورعاية الحجيج، شرفاً رفيعاً^(٢).

(١) د. إبراهيم بيضون، للسفر السابق، ص ٣١.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة ١٠٩١.

ولما كانت مكة براد خير ذى زرع فقد وهب الله أهلها عوضاً عن ذلك، الرزق في التجارة، فخرجوا فيها لهما براعة، واشتهر أمر تجارة قريش في بلاد العرب وغورها، وجعلت تجوب وسط بلاد العرب وشماله وجنوبه، ووطئت أقدامهم أرض فارس والروم والحيشة، وفلسطين، ومصر^(١)، وذلك منذ عهد قصي بن كلاب، الذي كان قد تزوج حبى بنت حليل الخزاعي، واسود من غزاة الولاية على البيت^(٢) وكانت أم قصي بن كلاب، هي فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل، من أزد المسراة، وهي أيضاً أم أعيه زهرة بن كلاب^(٣) كانت التجارة هي البديل لمواجهة تصحر الأرض، وقلة المزروعات، وقد نجحت قريش في القيام بتلك المهمة بنجاح ملحوظاً، في الوقت الذي أصيبت فيه طرق المواصلات البحرية، والبرية، قدرتها على نقل البضائع التي تحتاجها دول الغرب من الشرق، أو بالعكس، وذلك بسبب الحروب المتواصلة بين الفرس والروم، ودخول الحيشة جنوب الجزيرة^(٤).

وأصبحت مكة وما في حوزتها من مدن وبادى مفتقى القسادم من الشمال والجنوب والوسط، وبما ساعد على غر التجارة وأزدها وجرود

^(١) د. إبراهيم بيضون، المصدر السابق، ص ٥٣.

^(٢) الأزرقي، المصدر السابق ١٠٥/١.

^(٣) الأزرقي، المصدر السابق ١٠٤/١، والبدع والتاريخ للشنقي ١٢٤/٤، ٥/٥، وابن الأثير ٢٤/٢.

^(٤) د. إبراهيم بيضون، المصدر السابق، ص ٣١.

أسواق في المنطقة، يند إليها التجار من كل أحياء بلاد العرب، وبخاصة تلك التي كانت تعقد في الأشهر الحرم، كمسوق عكاظ.

كما كان من أشهر تلك الأسواق: سوق بجة، وكانت بأسفل مكة لبني كنانة، وسوق حياشة، وكانت للأزد وكنانة في السراة، وسوق ذي الجباز، وكانت لمذيل بالقرب من عرفه^(١) وسوق لجران، وسوق الجريب بتهامة^(٢) كما أسهمت المرافق التي كانت على ساحل البحر الأحمر في ازدهار تلك التجارة يرمز ذلك، بنقلها إلى الحبشة، وبلدان الساحل الأفريقي، وكان من أشهر تلك المرافئ، مرفأ الشعبة^(٣) قبل أن تتخذ جدة مرفأ رئيساً للمنطقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -^(٤)

وإذا أردنا تحديد الاتجاه العام للمنطوق التجارية المتشعبة من مكة شمالاً أو جنوباً، فسنجد أن طريق القوافل في اتجاهها جنوباً، كان يمثل امتداداً شبه طبيعي لنفوذ مكة، حيث يمر بقبائل تربطها بها صلة قرابة، أو تحالفات، وفي نفس الوقت فإن تلك القبائل تُكنّ لقريش درجة لا بأس بها من التوقير والتبجيل^(٥) فكانت التجارة تمر بأرض قبائل المنطقة، فيحافظون

(١) د. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص ٢٩٢، وشقاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لدى الدين محمد بن أحمد القاسي ٢/٢٨٢.

(٢) للمفاتيح، حفة جزيرة العرب، ص ٢٢٢، ٢٢٤٨.

(٣) تقع الشعبة جنوب مكة، وتبعد عنها مسافة مئتين، أي حوالي ٢٤ كيلو متر تقريباً.

(٤) الأزرقي، المصدر السابق ١/ ١٥٧.

(٥) د. إبراهيم رضون، المصدر السابق، ص ٦٥.

عليها، ويبيعونها، أو يشربون منها ما قهملوه، أو يحملونها ما لديهم من
سلع، دون كراء، لبيعوه لهم في الأسواق^(١) وغالباً ما كانت القافلة تسلك
في طريقها إلى صنعاء مثلاً: تهامة الحجاز، حيث الآبار والعيون، ثم تمرج
على السراة، ثم إلى بطن السراة شرقاً، فإلى قبالة ويثسه وحرش، ثم إلى
صعدة وصنعاء، أو عند وبقية المدن التجارية الشهيرة^(٢) وكان للمكيين
وكلاء في البلدان الرئيسية التي يمرّون بها في المنطقة كنبالة، وحرش،
وبحمران^(٣).

وكانت تتوزع في المنطقة — تهامة الحجاز، والسراة، وبحمران،
والبوادي — قبائل شتى لكن يجمعها ولاء أو تحالف، كبطون من قريش،
وقبائل: كنانة، وأسد بن خزاعة، وهذيل، وهوازن، وقبائل الأزد، يهطونها
العديدة: بنو بارق، وبنو العتيك، وبنو ضهيل، وبنو الحمير، وبنو الحنو،
وبنو عدنان، وقرن، وماسحة، وطب، وشمالة، وبارق، وغامد، وزهران،
ودوس، وألح^(٤) وغيرهم كثيرون، وأيضاً أبناء العمومة مجتمع وبجيلة، فمن
بجيلة: بنو قيسر، وبنو أحس، وبنو قتيان، وبنو واقد، وجشم، وكان منهم
الصحابي جرير بن عبد الله بن حابر، البجلي^(٥)، الذي قدم على الرسول

^(١) الطولي ٣٦٨/٢، وطبقات ابن سعد، ج ١، ص ٧٨.

^(٢) دافريهيم يثون، المصدر السابق، ص ٦٦، ٦٥.

^(٣) هـ، السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

^(٤) جبهة أنساب العرب لابن حزم، ص ٤٧٣، ٤٧٤.

^(٥) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٢/٥.

ﷺ سُئِلَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لَأَسْلِمَ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ
الرَّسُولَ ﷺ، كَسَاهَهُ، وَقَالَ: إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمَ فَآكِرْمُوهُ، وَرَوَى عَنْهُ
أَنَّهُ قَالَ: مَا حُجِّتُنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ أُسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُنِي إِلَّا تَبَسُّمًا^(١)
وَكَانَ جَرِيرَ جَمِيلٍ وَضِيءَ الْوَجْهِ، حَتَّى قَالَ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: جَرِيرٌ يُوسِفُ هَذِهِ الْأَمَةِ، وَقَدَّمَهُ عُمَرُ رَئِيسًا عَلَى جَمِيعِ بَحِيلَةٍ فِي
حُرُوبِ الْعِرَاقِ، وَكَانَ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ^(٢) وَسَوْفَ نَأْتِي عَلَى
جُيُوشِهِ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ فِيمَا بَعْدَ.

أَمَّا يَطْلُونُ خُثَمٌ: فَبَنُو نَاهِسَ، وَشَهْرَانَ، وَرَاشِدَ، وَمِنْ فُرُوعِ شَهْرَانَ
بَنُو عُثَمِيسَ، رَهْطُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عَمَيْسَ، زَوْجِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالثِّي
رَافَقَتْهُ فِي الْحَجَرَةِ إِلَى الْخَبِثَةِ، وَأَعْطَاهَا سُلَيْمَى بِنْتُ عَمَيْسَ زَوْجَ حَمُوزَةَ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا^(٣).

كَمَا كَانَ بِالْمَنْطِقَةِ قَبَائِلَ حُكْمِ آلِ عَبْدِ الْجَدِّ مِنْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَمِنْ
بَنِي نَهْدٍ، وَجَرَمٍ، وَبِامٍ، وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَوَادِعَةَ، وَحَاشِدَ وَيَطْلُونَ
مِنْ عَنَزِ بْنِ رَيْعَةَ^(٤) وَغَيْرَهُمْ كَثِيرُونَ يَجْمَعُهُمْ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ رَوَابِطُ
قُرْبَى وَمَصَاهِرَةٍ، وَوَلَاءٍ، وَتَحَالُفَاتٍ وَتَهْوِي أَفْئِدَتُهُمْ لِلْحَرَمِ، وَيَقْرُونَ لِلذِّكْرِ
بِغُرُفِ مَكَّةَ، وَيَحْمِلُونَ قُرَيْشَ لَوْلَايَتِهَا الْبَيْتَ، وَيُؤَادُّونَهَا وَلَا يَرُومُونَهَا بِشَرٍّ

^(١) رواه البخاري، ورواه ابن حجر في ترجمة جرير في الإصابة ٢٣٢/٥.

^(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٣٢/٥.

^(٣) جوهرة أنساب العرب، ص ٣٩٠، ٣٩١.

^(٤) للمدائني، صلة جزيرة العرب، ص ٢٥٣-٢٦٢، ٣٥٥.

إلا فيما ندر، وربما يظهر ذلك بصورة واضحة في حادث الفيل، الذى وافق وقوعه العام الذى وُتدَّ فيه الرسول ﷺ^(١)، ونالت به قريش شرفاً على شرف.

فقد وجد أبرهة الأشجيم، بعد أن استقر له الأمر في اليمن، أن العرب يصحرون في كل موسم إلى الكعبة بعكسة، وأنهم يوفرونها، فبنى كنيسة في صنعاء ليحول حج العرب إليها، وأطلق عليها اسم "القليس"، ويقال: إنه لم يُرَ مثلها في زمانها، لكثرة ما أنفق في بنائها، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك كنيسة لم يُرَ مثلها، ولست بعته حتى أصرف إليها حاج العرب^(٢) ولما فرغ من بنائها بعث البعض يسيرون في أحياء العرب يدعونهم ليحجوا إلى البيت الذى بناه أبرهة، فانطلق أحدهم حتى نزل بأرض كنانة في تهامة، وبلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، فبعثوا له رجلاً من هذيل يقال له: عروة بن حياض اللاتى، فرماه بسهم فقتله^(٣) فغضب أبرهة عندما بلغه ذلك، ثم ما لبث أن ذهب رجل من النساء^(٤) من قُليش من مالك من كنانة، متسللاً إلى "القليس" وتغرّط فيه، ولما عرف أبرهة سأل عمن فعل ذلك قالوا له: إنه رجل من العرب، من أهل البيت

(١) في كتاب البدء والتاريخ ١٣١/٤: ولد النبي ﷺ بعد قتلوم فيل عيسى ليلة، وكان مولده يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من ربيع الأول، وقيل: لأربع عشر يوماً، وكان ذلك يوافق عام ٨٨٢ للهجرة النبوية الأولى، وعام ٤٤٤

من ملك أبرشروانه وعام ٢١٦ من تاريخ العرب الذى أوله حجة الفيل.

(٢) ابن الأثير ٤٤٤/١، والطبرى ١٣٠/٢، والأزرقى، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، وسيرة ابن هشام ٤٥/١.

(٣) الطبرى ١٣١/٢.

(٤) فسلة: هم الذين كانوا يؤمنون الأشهر الحرم عن مواعيد، حاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الغنائم.

الذي تحججه العرب بمكة، فاشطاط غضباً، وآلى على نفسه أن يهدم الكعبة. وأمر بالتهيؤ والمسير إليها، وتحدثت العرب بحسره وعزمه وذلك عام ٥٧٠م تقريباً. ورأوا أن جهاده ومنعه من الإقدام على ما عزم عليه هو حق عليهم، فكان أول من خرج إليه رجل من بيوتات اليمن يقال له: ذو نقر، ومعه بعض من أهله ومن تجمع إليه من العرب، وواجه أبرهة عقب خروجه من صنعاء، لكن أبرهة تغلب عليه^(١) ثم اتجه أبرهة صوب مكة، متخلاً الأدلاء الذين يسلكون به أسهل الطرق والمسالك، حتى إذا نزل بأرض خثعم، وكانت في ذاك الوقت بأعراس نجد، جنوب بيشة، وظهر تبال^(٢) فقتل نفيل بن حبيب اللخمي، مجموعاً من قبائل المنطقة، التي ثارت حفيظتها على أبرهة، واشتبك معه في قتالٍ غير متكافئ الكفتين، فتغلب أبرهة، وأخذ نفيل أسيراً، وجعله دليلاً له في بلاد العرب^(٣) ثم انطلق حتى وصل الطائف، ومنها نزل إلى المُقَصِّص^(٤) ومات عنده أبو رُقَّال دليلاً في الطريق مذ خرج من صنعاء. ثم بعث الكتاب تقيراً على مكة، فسأقت ضمن ما سأقت إبلاً لعبد المطلب بن هاشم. تتجاوز مائتي بعير، وكان عبد المطلب ورؤساء قريش، وكثانة، وعزاعة، وهذيل قد هموا بحاربة أبرهة، لكنهم تراجعوا وقالوا لا طاقة لنا بحربه، ثم ذهب وفد منهم، فيهم

^(١) ابن الأثير ٤٤٣/١، والأزرقي ص ١٤١.

^(٢) معجم ما استعجم ٩٠/١، وحقبة جزيرة العرب ص ٢٥٨.

^(٣) الطبري ١٣٢/٢، وابن الأثير ٤٤٣/١، والأزرقي ١٤٣/١، وسيرة ابن هشام ٤٨/١، وقصص الأنبياء المسمى:

"مركب نفيل" للهيدي، أحمد بن حمد، الطبعة ص ٣٩٧.

^(٤) للمصنف: يعني عند رمي الجمرات، والجمرات الكبرى موضع قبر أبي رغال، كما يقال.

عبد المطلب بن هاشم لمفاوضة أبرهة في الرجوع عن بلعهم، وجرهم، ولكنه أبى، فسأله عبد المطلب إياه .. وقال له - عندما تعجب أبرهة من سؤاله -: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه .. هذا بيت الله، والله يجمعه. ثم عادوا إلى مكة على أن يزكوا له .. وقام عبد المطلب يطوف بالبيت، ثم أمسك بحلقة باب الكعبة وقال:

يارب إن المرء يمنع رحد	له فامنع جلاؤك
لأَيُّلُوسٍ سُلَيْمٍ	ومخاطم فَنُوراً عَالِك
إن كنت تاركهم وقيت	لَنُورٍ فَاثَرٌ ما بدا لَك
ولكن فعلت فإني	أمرتُ بِه فعالك ^(١)

ثم مالبث أن نزل بأبرهة ما نزل من هلاك، هو وحيشه .. بما أرسله الله عليه من جند مهيأة على صورة طير أبييل^(٢) ولعظيم شأن هذا الحدث ولدى حفظ الله لبيته من أي عابث به، أنزل الله في كتابه سورة الفيل للعبارة، والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

^(١) هذه الأبيات وغيرها وردت في كثير من المراجع الأصلية، كالطبري، وابن الأثير، وسيرة ابن هشام، وبلدغ الأرب، والأزرقى وغيرها، وكذلك وقائع تلك الأحداث، بما فيه اختلاف في بعض الروايات، ولورودها بتصرف.

^(٢) ابن الأثير ٤٤٤/١، وقطري ١٣٢/٢، والأزرقى ص ١٤٥، والأوائل لابن هلال العسكري ٥٨/١.

وبتحليل ومقالو هذا الحادث نلاحظ الآتي :

أن العرب على اختلاف غلهم ومعتقداتهم كانوا يُجسّدون البيت الحرام، وأن قتلهم داعية أبرهة فيهم بالهجرة إلى "القليس"، وتمسك كل من ذي نجر الجُمُيْرِي، ونُقَيْل الحنَمِي، عن التفت حولهما من العرب دليل هذا الاجلال.

- أنه حين سأل عن يجرأ وفعل ما فعل في القليس، قالوا له: إنه رجل من العرب ممن يعظمون البيت الذي بمكة، فقال: لن أنتهي حتى أهدمه^(١) فهذا الحوار يعطى مؤشراً بأن هناك طائفة من العرب لم تكن تخضع لرتاسسته، ولاتدين له بالولاء والطاعة، وأن أرضهم التي يقيمون عليها خارجة عن نفوذه، وأنه لم يكن يدري عنها شيئاً، رغم أنه كان قد أقام فجرة بتهامة اليمن، واتخذ مدينة "المبند"^(٢) قاعدة له لعل نراعه وحروبه مع أرباط قتال جيش اليمن السابق، ولما تغلب على أرباط ذهب إلى صنعاء، واتخذها قاعدة لحكمه، وكونه اتخذ أدلاء من العرب، فهذا يؤكد أنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، وأنها لم تكن تدين له بالطاعة، وكانت خارجة عن دائرة نفوذه وسيطرته، وأنه لم يفرض هيمنته

(١) هذا الحوار، وغيره من تفاصيل الحدث ورد في تراجم السابقة، وفي الصفحات المشار إليها أو فيها بحثنا للوضع إليه من أراء.

(٢) مدينة "المبند" بجهة اليمن، شرقي مدينة تريم بمسافة قرسعين تقريباً، وكانت فيما سبق تعد قاعدة إقليم تهامة اليمن، وبعد فجرة تحولت الشهرة إلى عدن فأصبحت القاعدة.

إلا على الأجزاء التي كانت خاضعة لتفوذ الحكام السابقين الذين تغلب عليهم، وأنه سار في حملته هذه سير الغزاة لجيرانهم.

ولما يقول الدكتور صالح العيسى: "إن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصاري، فهو لا يستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره يتحصّر في اليمن، وهي البلاد التي يحكمها، ولا يمتد نفوذه إلى غيرها من المناطق، فمكة لا تقتطع من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الديني لا علاقة للنصاري به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها، فضلاً عن أن هناك عدة يورت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر استيلاء مكة منها، فلماذا تستاء من القليس" ^(١) ونضيف بأن ما أثار حفيظة ذلك الذي ذهب إلى القليس، وتفوّط فيها، هو ما أذاعه أبرهة من أنه بناها ليحوّل حج العرب إليها، ويحث متادين في أحياء العرب بذلك، بينما هؤلاء العرب لا يخضعون لنفوذه ولا سيطرته .. ولولا ذلك لما أثرت الحفائظ، فقد كانت بتحصن كنيسة قبل، وهذا، ولم تبت أن أحداً أساء إليها، أو إلى أهلها بشيء. وكان يطلق عليها أحياناً "كعبة بجران" ^(٢) . وقد وردت بهذا المسمى في شعر الأعشى ^(٣) .

^(١) انظر محاضرات في تاريخ العرب ٢٦٠/١ للدكتور صالح أحمد العلي.

^(٢) القرويني، أخبار البلاد وقياد ص ١١٢٦.

^(٣) الألفاني للأصفهاني ١٢٥/١٠.

- أن عبد للطلب بن هاشم حين خرج إلى أبرهة بالمقَمَس، خرج معه عمرو بن نفثة بن عدي من كتانة، وهو يومئذ سيد كتانة، وحويلد بن وائلة الحُدَلِي، سيد هذيل ففاوضوا أبرهة في الرجوع من عومه، وعرضوا عليه إعطائه ثلث أموال تهامة، مما يخرج من نتاج أرضها، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، لكنه أبى^(١) وهذا حليل واضح على أن أرض تهامة الحجاز لم تكن خاضعة له، وليست ضمن نفوذه، وإلا فكيف يعرضون عليه نتاج أرض يسط نفوذه عليها؟ ففيه عندئذ إشارة له وسخرية به.

- كما نلاحظ أن ابنه يكسوم، الذي خلفه في الحكم، لم يحاول إعادة الكرة، ولو من قبيل العمل على إعادة سمعة أبيه، وتأكيد هيبتهم في نفوس العرب، ولم يرد له أى أثر في المنطقة، كرد فعل لما وقع لأبيه، مع أن حكمه استمر عشرين عاماً، كانت غابة في الظلم والفساد، وكذلك أخوه مسروق الذي تولى الحكم بعده، لكن منطلقتنا ظلت بعيدة عن أى نفوذ حبشي أو غيرة، كما هو شأنها في السابق. كما لم تتأثر بعقيدتهم المسيحية وإنما ظلوا يمارسون عقيدتهم الشركية التي جاء الإسلام وهم عليها.

^(١) فقهري، ١٣٤/٢، والأزدقي ١٤٥/١.

وحتى بحران التي كان الحادث الذي وقع فيها سبباً في مجى
الحبشة إلى اليمن، غللت بميدة عن هيمنة الأبحاش فقد حكمها
خو ثعلبان، الذي استجد بالحبشة^(١) .

ويرجع البعض دوافع أبرهة للقيام بمحمله هذه إلى دوافع سياسية
يهدف التحريك لمحاربة الفرس، بإيصاد من الروم، أو بأسر من يماشى
الحبشة^(٢) ويُردُّ بأن طريق أبرهة إلى فارس كان أقرب لو أنه عبر الخليج،
بدلاً من قطعه ببلاد العرب من جنوبها إلى شمالها الشرقي، وتعرض نفسه
وحيشه لمخاطر الصحراء، كما يعلل البعض الدوافع بأنها كانت اقتصادية
بغرض ضرب تجارة قريش، والاستيلاء على عسل التجارة السرى الموازى
للبحر الأحمر^(٣) وتُردُّ هذه المقولة بأنه كان بمقدوره منع تجارة قريش من
دخول اليمن، أو التدخل لمنعها من الوصول إلى أرض الحبشة، لكن ذلك
لم يحدث، فقد استمرت علاقتهم مع الحبشة وملكها متوطنة بالاحترام
والتقدير، وازدهرت قبيل الإسلام .. وكان كثير من الصحابة رؤادها في
الجاهلية. واستمرت علاقة رؤساء القبائل في وسط شبه الجزيرة، ببيوتات
إخوانهم من أهل اليمن، وطيلة، وليس أدل على ذلك من حساب وفود
العرب لشعبة سيف بن ذى يزن بعودة الملوك إليه، فقد خرج وفد قريش
وعلى رأسه عبد المطلب، ووفد من ثقيف، ووفد من عجم هوازن .. وهم

(١) للمؤلف لابن عبيد، ص ٦٣٧.

(٢) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٧/٤.

(٣) د. صالح أحمد العلي، المصادر السابق ٢٦٠-٢٦١، ود. محمد بن حنون، المصادر السابق ص ٩٩.

بنو نصر، وجشم، وسعد بن بكر - ووفد من عدوان، وفهم، ووفد من الأزد، وفد من غطفان، وفد من جيم، وفد من أسد، وفد من قبائل قضاعة^(١) وغيرهم. وهذا دليل على حب قبائل وسط الجزيرة العربية لبيوتات اليمن وحكامها، ذلك الحب غير المشروب بالخمرة والسيطرة.

وبما تمحدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين حين يخلطون الوقائع التاريخية بحثاً عن أسبابها يرجعون المصائب فيها إلى أسبابها الطبيعية، أو المعلوم إلى علته العادية، دون النظر إلى عوارق العادات، وهم بذلك يعمرون في خطأ لإغفالهم الجانب الأساسي في تفسير حركة الكون، فمدارك الإنسان مهما ارتقت قاصرة عن الفهم والإحاطة بكافة أسراره، فهناك عوارق للعادات المألوفة لدى البشر، وهي أبعد من مدارك الإنسان، ويعجز العقل عن إيجاد تفسير لها، وعندئذ يتخفى عليه أن يردّها إلى القدرة والحكمة الإلهية التي تُسَمّر الكون، لأنها من صنعه سبحانه وتعالى، وتفرق ما تصرده النبل والفقر من تأثير الأسباب في مصيبتها .. نقول ذلك لأن البعض قد ربط ما أصاب أبرهة بالطير الأبييل، بظهور وباء الحصبة والجذري، وانتشاره في بعض البلدان: كيلوز عام ٥٤٤م، والقسطنطينية عام ٥٦٩م، وأن المجاعة المفضية التي حملتها الطير، كانت عبارة عن نوع من الطين المحتلط بخرات وملحة، حملتها الطير من منطقة مجاورة - أي

(١) الأزد ١٤٩.

مصابة برباء الجندري - إلى مكان جيش أبرهة، ثم تساقطت عليهم تلك الحجارة^(١).

وهذا القول في مضمونه يعني أن ردة أبرهة عن البيت، ومن ثم هلاكه، ليس معجزة إلهية، وإنما بسبب طبيعي!!، وهو رأى لقيمة له، لكن خطره في قلبه حوّن تحليله لبيان ضعفه ووهنه، ودعوتها تتسائل: لماذا طارت تلك الطيور للتكاثر، وأقبلت من مسافات بعيدة، حاملة تلك الحصاة الملوثة برباء الجندري، ولم تسقط من أرجلها إلا على أم رأس أبرهة وجيشه؟ بينما أهل مكة جميعاً قد تركوا بيوتهم، وخرجوا في الشغب ورؤوس الجبال، ينظرون ماذا يفعل أبرهة بالبيت العتيق، ويلهمهم الأمن بآمان الله، منذ دخرة إبراهيم الخليل عليه السلام^(٢)، ولماذا لم يضل أحد هذه الطيور طريقه ويلهب إلى بعض أهل مكة - وهم على مقربة - فيرمي عليه ما يحمله، فيصاب مثلهما أصيب أبرهة وجيشه، ثم تنقل الأخبار والروايات ذلك؟ بل لماذا ذهب أثر تلك الجرثومة من الحصاة بمجرد سقوطها، ولم يستمر عالقاً فيها إلى أن أقبلت قريش تتفقد المكان وتنظر مخلفات المهزوم، فتصيب كل من وطئها بقدمه، وينتشر الوباء فيهم؟ .. لماذا .. ولماذا .. لاشك أنه رأى سقيم، ومثله من يهرج نجاة موسى عليه

^(١) انظر د. السيد عبد العزيز سالم، لتصدر السابق ص ١٤٢، فيما نقله عن الأستاذ يوست أحمد في كتابه الحمل والنهج للطبرج في القاهرة عام ١٩٣٧ م.

^(٢) وذلك في قوله تعالى: "وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا" سورة البقرة آية ١٢٥.

السلام، وغروجه إلى الشاطئ المقابل، وهلاك فرعون، بعملية المد والجزر في البحار! وغير ذلك.

وأما كان فإن تلك الحادثة قد زادت البيت هيبة وإجلالاً في نفوس العرب، ورفعت من شأن قريش، حتى أطلق عليهم: أهل الله، وأهل حرم الله^(١) ولا ريب أن هذا كله كان تمهيداً وإرهاصاً لأن يُبعث النبي ﷺ، منهم فيجسّد بالإسلام الذي أحضره الله به العرب كافة وجعلهم لعسوة متحابين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى معلومة تعتبر على جانب من الأهمية، ربما ترفع الإيهام أو الخطأ الذي يقع فيه البعض، وهي أن جسم الكعبة يتكون من أربعة حدران، وأربعة أركان، كل ركن يقع في جهة من الجهات الأربع - الشرق والغرب، والشمال والجنوب - ولها واجهة وهي التي بها باب الكعبة والملتزم، ولتقابل لهذه الجهة يعتبر الخلف لها.

يقول الأزرقي نقلاً عن ابن اسحاق: إن الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما بنى البيت جعل طوله في السماء (أي الارتفاع إلى أعلا تسعة أذرع، وعرضه (أي البيت) اثنين وثلاثين ذراعاً، من الركن الأسود (الأسعد) إلى الركن الشامي، من وجهه^(٢) (أي من وجه البيت) ومن هذا يتضح أن للكعبة وجهاً، وهو الذي به بابها والملتزم وأمامه مقام إبراهيم،

(١) ابن الأثير ١/٤٥١، والأزرقي ١/١٥٢، والأرنؤل ١/٦١.

(٢) أخبار مكة ١/٦٤، وهداه قفره، القاسي ١/١١١، وأيضاً: حسين عبد الله بسلامه، تاريخ الكعبة ص ٤١.

وما يقابله هو الخلف، ولها يمن: وهو الجدار فيما بين الحجر الأسعد حتى الركن اليماني، ولها شمال: وهو الجدار المقابل للملاصق لحجر اسماعيل، وهذا بالثقريب، لأن المقابل لليمن هو الركن اليماني، والمقابل للشام هو الركن الشامي.

وقد تعارف العرب قديماً، وربما منذ عهد الخليل ابراهيم - عليه السلام - على إطلاق اسم اليمن على كل مايقع جهة يمن الكعبة، والشام على كل مايقع جهة شمالها .. وذلك بدلاً من أن يقولوا يمناً وشمالاً، فكانوا يقولون: يَمَنًا وَشَامًا.

يقول الأزرقي: لما انتهى ابراهيم - عليه السلام - من بناء الكعبة أسره الله أن يؤذَنَ في الناس بالحج، فقال: يا رب ما يبلغ صوتي؟ قال الله سبحانه: أَذُنٌ وَعَنَى الْبِلَاحُ، فعلا للمقام (أي مقام ابراهيم) وأدخل أصبعه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمناً (أي جهة اليمن) وشمالاً (أي جهة الشام) مؤذناً في الناس بالحج ..^(١) فكانوا يقولون لكل من اتجه جنوباً: ذهب إلى اليمن، حتى لو كان متطهراً وجهته، وغاية شعابه، هي أرض تهامة الحجاز، والسراة، ونجران .. وكذلك الحال بالنسبة لمن اتجه شمالاً، وبهذا أيضاً يعلل بعض المؤرخون إطلاق اسم اليمن عليها، لكونها تقع يمن الكعبة^(٢) وشاح

(١) أخبار مكة ١/٦٧.

(٢) انظر مراسد الاصلاح للبلادي ١/١٤٨٣، ولم يصب يقرئ المسوى في قوله إن الكعبة ليس لها يمن ولا شام، انظر ١/٤٤٧.

هذا التعارف بين المؤرخين في كتاباتهم من أن اليمن اسم جهة، حتى أنهم كانوا يطلقونه على أجزاء الأرض التي تقطنها القبيلة الواحدة، إذا ما تعرضت إلى فروع، والماز كل فرع بجهة من الأرض، فيقولون مثلاً: آل فلان تيمانوا، وآل فلان تشاموا .. أى جهة اليمن، وجهة الشام، بدلاً من كلمتي: جنوب، وشمال. يقول الهمداني، عند وصفه بلد وادعة التحلية: ... وادى عَرْد، وادى بجران، فيلى جبل شوك .. والسدى تشام في هذه البلاد، وخالف: شاكر الخنجر ..^(١) ويقول القزويني، عند حديثه عن تفرق الأزد عند انهيار سد مأرب: كانوا عشرة أبطن، ستة منهم تيمانوا .. وأربعة تشاموا^(٢) بدلاً من أن يقول شمالاً وجنوباً ومسوف أن الذين تيمانوا لم يقيموا جميعهم بأرض اليمن، وإنما ذهب فريق إلى عمان، وأيضاً الذين تشاموا لم يذهبوا إلى الشام جميعهم، وإنما منهم الأزد الذين أقاموا بالسرقة، والأرس والخزرج اللذين اعتزلوا يثرب، وطى الذين أقاموا بجبلى أجا وسلمى وغيرهم، وما يقوله ما قاله يهود يثرب لمحمد بن مسلمة قبيل البشة، من أنه يمض نبى من قبل اليمن^(٣) . فمن قبل اليمن، أى من جهة اليمن بالنسبة ليثرب، وأنه يأتي بالتحقيق، فمكة المكرمة التي يمض النبى ﷺ منها هى في جهة اليمن بالنسبة لأهل يثرب، ومن المؤكد أنه ليس

^(١) حفة جزيرة العرب ص ٢٥٠، ويظهر أيضاً اليمن اختصاراً ص ١٧٥، فقد جاء فيه: .. يقال عدلان الشام للاحوار من عدلان التي سكن المغرب.

^(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١، وأيضاً انظر مرادفات الاصطلاح للبغدادى ١/٤٨٣.

^(٣) انظر لغاتى للواقدي ١/٣٦٧.

مقبودهم حين قالوا ذلك لمحمد بن مسلمة، هو أن النبي المتظفر سيعت
من أرض اليمن نفسها.

من هذا يتضح المراد من قولهم: ذهب إلى اليمن، أنه ليس بالضرورة
أن تكون قلماه وطلعت أرض اليمن. وإنما اتجه صوبها فقط .. فإن رغبنا
تحرى ذلك تيمنا عطلى اللهب، فإن وجدناه دخل إحدى بلداتها، أو
التقى بإحدى القبائل المتوطنة بها عرفنا أنه دخل أرضها ..

ومن الأسلوب الذى شاع استعماله بين العرب أنهم كانوا يطلقون
عبارة "أهل اليمن"، أو اليمنية على القبائل التى تعود في نسبها إلى
قحطان، بصرف النظر عن تواجدهم على أرض اليمن نفسها، أو غيرها
من البقاع في شبه الجزيرة العربية، ومن يتتبع حركة الفترحات الإسلامية
يلحظ أن المؤرخين عند تلويحهم لها، يستعملون هذه العبارة لوجود قبائل
من أهل اليمن في الشام، والعراق، وخراسان، ومصر وغيرها .. وقد جاء
في عهد رسول الله ﷺ إلى صاحب أيلة - على حدود الشام - عندما قدم
إلى الرسول ﷺ بتيوك، ليعلن إسلامه، فكتب له كتاب صلح جاء فيه: ..
هذا أمان من الله ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن روية، وأهل أيلة،
أساقفتهم، وسائرهم .. ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن^(١) ،
أي القبائل المقيمة تلك البلاد، والى تعود في نسبها إلى قحطان ..
وقحطان كانت مواطنهم الأصلية هي بلاد اليمن.

^(١) المربع الثانية ١٥٢/٢.

كما نلاحظ أن البعض من أبناء عدنان كان يخاطب الأنصار — الأوس والخزرج —: أنتم يا بني ثعلبة^(١)، وليس ذلك من قبيل الاستهجان بهم، وإنما من قبيل التكريم، وهذا لا يعنى بالتأكيد إضافة البقاع التي انتقلوا إليها في هجرتهم للتالية إلى أرضهم الأصلية، وهي اليمن .. بقدر ما فيه إشارة إلى الموطن الأصلي لهم ..

وعموماً فعلينا تتبع ما حوته قدامى المؤرخين المتصفين الذين نشطوا في تدوين تاريخ الإسلام منذ انشقاق قمره، بمنهج الإسناد عن الرواة، عند ذكرهم الأخبار، وبالأسلوب الذي شاع بين العرب، أو تعرفوا عليه، ثم تتبع حريصات الحوادث، وحركة مسيرتها، بمعين النظر لتحليلها، وإفراجها في كليات، حتى لا تقع في وهم نبنى عليه نتائج عاطفية، أو نرسل القول بغير طيل.

وعلى كل فإن الملامح والشواهد في عصر ما قبل الإسلام تؤكد ارتباط قبائل المنطقة بمكة، وهو بالتأكيد ليس ارتباط سيطرة وهيمنة، وإنما ارتباط ولاء ووحى ووجداني للبيت العتيق، بالإضافة إلى المصالح المتبادلة في التجارة وغيرها. ولقد تؤكد هذا الارتباط في ظل الإسلام.

^(١) ثعلبة - ينتح القاف وسكون الياء - هي أم الأوس والخزرج بنى حارثة بن ثعلبة.

الباب الثالث

حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام

١- موقف القبائل العربية من الإسلام :

كان يجتمع وسط الجزيرة العربية - سواء أهل الدر أو الزبير - يسوده غالباً التشاحن والتنافر، والقتل والنهب، ويستزع إلى عديم الخضوع إلى أية سلطة مدنية تكون قيداً على تعصباته، فيما عدا سلطة قوى المكائنة والرياسة فيهم من بني أبيهم، بالإضافة إلى تفشي الوثنية فيه، وتساوت دواعي العصبية في الحس، وفي غيره، وتجمعت فيه محاسن الفضائل وأضدادها، ولعل أبلغ وصف لحالة العرب في ذلك الوقت هو ما وصفهم به جعفر بن أبي طالب، حين طلب منه النجاشي ملك الحبشة، أن يحدثه عن الدين الذي فارقوا من أجله دين آبائهم وأبائهم، فقال جعفر - وقد أجمع على تصدقه فيما ساءه وسره - أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأثي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، ويأكل القوي من الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئاً، فخلعنا ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بمصدق الحديث، وأداء الأمانات، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وبهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة، والصيام .. وعدد عليه

أمور الإسلام .. ثم قال: فعدنا علينا قومنا فمذبذبوا، وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك^(١)

ومع أنه كانت هناك إرهابيات توحى بقرب ظهور نبي، يمد الناس إلى الخليفة السجدة، دين الخليل إبراهيم - عليه السلام - وكان أهل الكتاب في ثوب لمبعضه، ويظنون كل الظن أنه منهم، فلما جاء من العرب حقوا عليه وعليهم، وناصروه العدا، إلا قليلاً منهم، وكذلك كان شأن حكماء العرب الذين ضاقت صدورهم بالوثنية، ونفذت بصورتهم إلى ما هو أسمى وأجل، كانوا يتطلعون إلى هاد يهدي الناس إلى عبادة الإله الحق، وذلك مثل ورقة بن نوفل ابن عم حفصة أم المؤمنين، وزيد بن عمرو بن نوفل، ابن عم عمر بن الخطاب، وأمية بن أبي الصلت، والبعض حرم على نفسه الخمر كعبد المطلب بن هاشم، وابنه أبي طالب^(٢) والوليد بن المغيرة، وقيس بن عاصم التميمي، وغيرهم، من ذوي النظرة الناقبة.

وكان من المتظفر أن تكون قبيلة قريش أول القبائل إيماناً واتباعاً لما جاء به محمد ﷺ ولو بدافع العصبية التي انتشرت في نفوسهم، فنجحت بهم عن الحق أحياناً. لكنه دين بما يشتمل عليه من عقيدة، وعبادة،

^(١) التكميل لابن الأثير ٨٠/٢، والطبري ٣٢٩/٢، والسيرة الخلية ٣١/٢.

^(٢) السيرة الخلية ١٨٤/١، والأوكل لأبي هلال العسكري ٨٣/١، والجمهرة ص ١٥٠.

وتشريع يصلح للبشرية جمعاء لا مجال فيه للعصبية، والعاطفة، والقرابة، والرحم، إلا بحق .. ولذا خاطب الله نبيه بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾^(٢) وتحدث فيه المسؤولية الفردية ﴿كُلُّ نَفْسٍ عَمَّا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾^(٣) كما تحدثت أيضاً المسؤولية الجماعية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)

وفى قول الرسول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته^(٥)

عادته قبيلة قريش عما لم تعاده قبيلة أخرى، ولا ريب أن هذا كان لحكمة أرادها الله سبحانه، وربما يكون منها القبض على العصبية الجاهلية، التي تكون لغو الحق، فيما لو ناصرته قريش، مؤمنها ومشركها، من البداية، فهل كان يصمد المشركون من قريش أمام العرب؟ فغالب الظن أنهم كانوا لا يصمدون مهما تقاربت أوضاع القريش، ولكان موقفهم مثل المشافقين. أما المؤمنون منهم فقد أثبت التاريخ أنهم كانوا صادقين في إيمانهم، وفلوه بأرواحهم وأرلادهم وأموالهم، وتغير هنا عنصر الولاء إلى ما هو أسمى وأجل.

^(١) سورة القصص، آية : ٥٦ .

^(٢) سورة آل عمران، آية : ٢٠ .

^(٣) سورة النذر، آية : ٣٨ .

^(٤) سورة آل عمران، آية : ١٠٣ .

^(٥) رواه مسلم .

لما بُعث النبي ﷺ ، ظل ثلاث سنين يدعو سرّاً، ثم أمره الله بتبليغ الرسالة، والدعوة، بلا قتال^(١) فلما اشتد إلذاؤهم بضعفاء المسلمين جاءه جماعة من الصحابة، منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص. فقالوا: يا رسول الله كنا في عزٍّ ومنعةٍ ونحن مشركون، فلما آتانا صرنا أذلة، فأذن لنا يا رسول الله في قتالهم؟ فقال لهم: إني لم أؤمر بقتالهم، كُفوا أيديكم عنهم، واصبروا فسيجعل الله لكم جزاءً^(٢) ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا: إلى أين؟ قال: لو خرجتم إلى الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه^(٣) فهاجروا إلى الحبشة مرتين.

وازداد سفهاء قريش في إيلاء الرسول ﷺ، ومن بقي بمكة من ضعفاء المسلمين، ودفعت الحمية بعض بني هاشم ممن لم يسلموا للنفاق عن محمد ﷺ، حتى أن حمزة بن عبد المطلب كان سبب إسلامه أن أخذته الحمية عندما علم أن أبا جهل قد آذى محمداً في بعض المسرات أذى شديداً، فأنطلق إليه مسرعاً، وراه جالساً بالمتندي مع بعض رؤساء قريش،

(١) نزل قول الله تعالى: "فليدع بما توبن" لإظهار الدعوة، ثم نزل قوله سبحانه: "فأعرض عنهم" أي لا تقاظهم
 إن أتوك أو ظالموك، ومن معك .

(٢) سورة الحاقة ٢٤/٢.

(٣) التكاثر لابن الأثير، ٧/٧٦، والسورة الحاقة، ٢/٢، والطوى، ٢/٣٢٨.

فَضْرِبَ رَأْسَهُ بِالْقَوْسِ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مَكْرُورَةً، وَقَالَ
اَنْشِئْتُمُ، وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ، فَارْجِدْ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ ۱۹ .

وَقَامَتِ بَنُو عَجْزُومَ تَنَاصَرُوا أَبَا جَهْلٍ عَلَى حِمْرَةٍ، لَكِنْ أَبَا جَهْلٍ - وَقَدْ
خَشِيَ مِنْ فِرْقَةِ حِمْرِهِ - قَالَ: دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ فَإِنِّي قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبْأً
قَبِيحاً. ثُمَّ انْتَفَحَ حِمْرَةٌ إِلَى الرَّسُولِ فَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ^(١) وَظَلَّ بِجِوَارِ الرَّسُولِ
يَحْمِيهِ. وَقَطَاعَتُ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، لَا يَمُرُّونَهُمْ، وَلَا يَتَعَارَفُونَ مِنْهُمْ، وَلَا
يَنْكَحِرُونَهُمْ وَلَا يَنْكَحِرُونَ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْعِيرُ تَنْزُلُ مَكَّةَ بِالتَّجَارَةِ، فَيُخْرِجُ
أَحَدُ بَنِي هَاشِمٍ إِلَيْهَا، فَلَا يَبْعُونَهُ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِنْ سَاعَرُوا فَنَفِخَةُ وَزِيَادَةُ
كَبِيرَةٌ فِي مَنَ السَّلَاحِ^(٢) ثُمَّ تَوَفَّى عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَقَبِلَهُ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ، قَبْلَ
لِخْجَرَةِ ثَلَاثِ سَنَوَيْنِ^(٣) وَذَهَبَ إِلَى تَقْلِيفِ الْبَطَالِفِ يَتَمَسَّ مِنْهُمْ النَّصْرَةَ
لِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ^(٤) وَكَانَ يَمْرُضُ نَفْسَهُ فِي الْمُرَاسِمِ عَلَى
الْقِبَالِ، الَّتِي تَأْتِي مَكَّةَ لِلْحَجِّ، وَلِخُضُورِ عِكَاظِ. عَلَيْهِ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِيُطْلَغَ
رِسَالَتُهُ بِهِ، فَأَتَى أَحَدَ بَطُونِ كِنْدَةَ الَّتِي قَدِمَتْ إِلَى مَكَّةَ فِي مَوْسَمِ الْحَسَجِ،
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى نَعْرَتِهِ فَأَبْرَأَ وَأَتَى إِلَى بَطْنِ سِنِ بْنِ كَلْبٍ، يُقَالُ لَهُمْ
بَنُو عَيْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَى بَطْنِ سِنِ بْنِ حَنْفَةَ
فَأَعْرَضُوا، وَإِلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: "أَرَأَيْتَ إِنْ غَشَى تَابِعُكَ،

(١) التَّكْمِيلُ لِابْنِ الْأَثَرِ، ٨٢/٢ .

(٢) السُّنَنُ لِلْبَيْهَقِيِّ ٢٥/٢، ٢٦، وَابْنُ الْأَثَرِ ٨٧/٢ - ٩٠ .

(٣) ابْنُ الْأَثَرِ ٩٠/٢ .

(٤) ابْنُ الْأَثَرِ ٩١/٢ .

فأظهره الله على من عاتقك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: أفتهدى غورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغورنا؟ لاحاجة لنا بأمرك^(١) وأتى بنى عيس، وبنى سُلَيم وبنى مُحارب من فزارة، وبنى مرة، وعذرة، وقضاة، وغيرهم، فكان بعضهم يقول له: ألك، وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وقال له بطن من بنى شيان بن ثعلبة من بكر بن وائل، وكانوا يقيمون في أرض السواد بالعراق، حاضمين للحيرة، فمن لا ينجح على كسرى، ولكن تأخذك لتفعل في بلاد العرب بالقرب من سواد العراق، وتنصرك مما يلي مياه وأرض العرب، دون مياه كسرى، فنحن لا نجح عليه.^(٢)

ويبدو أنه كان للعرب قاعدة متبعة في عملية الجوار، فليس كل القبائل يجر بعضها على بعض، وإذا دخلت قبيلة أو عشيرة في أرض قبيلة أخرى وحالقتها، فإن الخليفة لا يجر على مخالقتها، لأنها تحضر دويلة فلا تكف يد الأميلة، ولذا نلاحظ أن بنى شيان شرطوا في حمايتهم له ﷺ، أنهم لا يجرّون على كسرى في الأرض إلى يمين عليهما، وتخضع لنفوذهم، وهي سواد العراق، أما ما عدّها من بلاد العرب فهم يجرّونه ويضمونه من أيّ من القبائل العربية. وفي هذا أيضا تأكيد لما سبق أن قلناه إن أرض العرب، وبالأخص وسط شبه الجزيرة لم تخضع لسلطة أيّ من تلك الممالك أو غورها.

^(١) ابن الأثير، ١٣/٢.

^(٢) السيرة الحلبية ١٥٤/٢، ١٧٥.

ومما يؤكد قاعدة الجوار هذه أن الرسول ﷺ عندما كان في الطائف وأراد العودة إلى مكة بحث إلى سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وهو قرشي ذو مكانة وثناء بمكة، أن يحججه حين دخوله مكة، فأجابه: إن بني عامر - عشيرة سهيل - لا يجوز على بني كعب. وكانت بنو كعب لها بطون عديدة، منهم بنو عدي رهط عمر بن الخطاب، فبعث الرسول ﷺ إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، فأجاره.^(١)

ولما أراد الله إظهار دينه، وإنجاز وعده، خرج النبي ﷺ في موسم الحج كعادته، يعرض دعوته ونفسه على وفود القبائل، فلقي رهطاً من الخنوزج، يعرض عليهم الدعوة، فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي تحدث عنه اليهود. فأمنوا وصدقوا وعادوا إلى يثرب يبشرون به، حتى فشا الإسلام فيها، فلما كان الموسم التالي قدم وفد أكسور، وجلسوا إليه وآمنوا، وعاملوه على نصرته وموازنته، واستأذنه ضعفاء المسلمين في الحجرة إلى يثرب، فمكث أياماً لا يأذن لهم، ثم قال لهم: لقد أريتم دار هجرتكم، أريتم أرضاً سبعة ذات نخل يسين لاثنتين - أي حرتان - ولو كانت السراة - جبال السراة - أرض نخل وسبعة لقلت هي، هي .. ثم قال لهم في اليوم التالي: أخرجت يثرب هجرتكم، إنها يثرب، من أراد أن

^(١) سورة النحل ٦٢/٢، والجمهرة، ص ١١٥

يُخرج فليُخرج لإرسالاً .. — أي متتابعين^(١) — ثم تابعهم الرسول ﷺ مهاجراً إليها، بعد حوالي ثلاثة أشهر من بيعة العقبة الثانية مع الانتصار^(٢).

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة فقد آزرتهما القوة مثلة في فريضة الجهاد، لأعلاء كلمة الله. وللصاف المقهورين، الذين اضهدوا، وعُدُّوا وسُلبت منهم أموالهم، وأخرجوا من ديارهم بغزو ذنوب اقربوه إلا أن قالوا ربنا الله. ولم استعردنا في الحديث عن الذين عُدُّوا حتى ارتسوا، والذين ساءوا بحلال التعذيب، والذين قُسرَ بينهم وبين زوجاتهم إبان المحبرة، والذين أُهدوا بعد المحبرة مكَّيَّين بالأغلال، لطال بنا الحديث .. لكننا نود أن نؤكد على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يشيع خصومه عنه تلك المقولة الباطلة، فلقد أقام الرسول ﷺ يدعو أهل مكة، ومن يند إليها من قبائل العرب ثلاث عشرة سنة^(٣) وأزر السيفُ الدعوة عشر سنين، بل كانت الدعوة سابقة له في كل المواطن إلى استل فيها من عمله، وكتب التاريخ شاهدة بما عمله من رصاها الرسول ﷺ لأمراء الجيوش والسرايا .

(١) ابن الأثير ، ٩٥/٢ ، وقصة الخلية ، ١٨٠ / ٢ .

(٢) السيرة الحلبية ، ١٨٨/٢ ، وفي شفاء الغرام ٣٢٩/٢ ، نقلًا عن صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري " من أتى قال : ولدت في لقاء أبي مهاجر من مكة إلى أرض، بها غل ، غلب وحس أنها الهامة ، لو هجر ، فلما هي للجنة يارب .. " .

(٣) ابن الأثير ، ١٠٨/٢ ، والسيرة الحلبية ، ١٥٢/٢ .

وعلى كل فإن الدعوة الإسلامية في مرحلة ما قبل الهجرة أخذت تنمو نموها الطبيعي رغم المعاناة التي لقيها الرسول ﷺ، وما نزل بأصحابه من سفاهة قريش، ليكون ذلك قبلة للمصلحين في كل عصر.

أما الهجرة نفسها فكانت بداية الانتصارات التي حققها الله للمسلمين، حيث بدأت مؤامرة المشركين، وتنبؤهم قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة بالفشل، وأصبحت يثرب أول عاصمة للدولة الإسلامية، ونزل القرآن الكريم مُنِّحت أهل مكة إخراجهم الرسول، وعدم موازرتة: ﴿إِلَّا تَصْرِوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾^(١) وقال الرسول ﷺ: "لما أخرج من مكة أما والله إنى لأخرج منك، وإنى أعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولو لا أن أهلك أخرجونى منك ما أخرجت"^(٢) ولما قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا قادرين على الانتصار عن ظلمهم، أذن الله لهم بامتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وإعلاء كلمة الله، وتأمين الدعوة: ﴿أُذِّنْ لِلَّذِينَ يقاتلون بِأَنَّهُمْ عُلِّمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٣) ومن ثم كانت للزواجات مع قريش ومن والاهما، أو تحزب معها، وحى وليس القتال في كثير من المراتب، وأصبح لأهم لقريش، ولاشغل لها إلا القضاء على الدعوة. حتى قال الرسول ﷺ، حين أراد أداء العمرة في السنة السادسة من الهجرة، ومنعه قريش من دخول مكة: يابح قريش قد

(١) سورة هود، آية ٤٠ -

(٢) روى الحديث عدة أسانيد في كتب السنة، انظر أخبار مكة للأزرقي، ١٠٢/٢ -

(٣) سورة الحج، آية ٣٩ -

أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أراهم، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وأقرسوا.^(١)

وعلى ضوء سير الأحداث فيما بعد المحصورة نلاحظ أن موطن بعض القبائل على خريطة الواقع كانت بالصورة التالية تقريباً، وبخاصة مكة وما حولها التي تحتل منطقة هراستا امتداداً لها:

قبيلة قريش^(٢) بكافة بطونها تقسم بمكة، فيما حدا فرع من بني خزوم كان يقيم في تهامة جنوب الطائف، وفرع آخر يقيم ناحية بيشة وتيالة^(٣) وكان يقيم بمكة وأحوازها بطون من خزاعة وكنانة، كما كانت جُلُّ بطون كنانة، وكذا بطون خزاعة تتوزع على الساحل ابتداء من جنوب بيشة ورضوى، ثم امتداداً إلى الجنوب بتهامة المحاذية حتى أم ححدم^(٤) وقد أسلمت بطون من كنانة وخزاعة قبل فتح مكة، ومعظم الذين لم يسلموا منها قبل الفتح كانوا يحيلون للرسول ﷺ، ويتعاطفون مع المسلمين، ولذا عندما اجتمعت قريش في دار الندوة^(٥) ليتشاوروا في

(١) ابن الأثير، ٢٠٠/٢.

(٢) كل من كان من ولد نهر (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة من مضر، فهو قريش، ولما ما تفرع من أولاد أخوة نهر، أو أبناء عمومته وأحفاده فليسوا من قريش، وإنما من كنانة. انظر المحمرة ص ١٢، ١٨٠ وقيل غير ذلك.

(٣) سيرة حمزة العرب للهيداني، ص ٢٥٣، ٢٥٨.

(٤) انظر الهيداني، ص ٥٨، ١٦٥، ١٣٠، والسيرة الحلبية، ٥٥٣/٢.

(٥) دار الندوة كان قد بناها قسي بن كلاب، الجد الأعلى للرسول ﷺ، لتجتمع فيها قريش للمشورة في كل أمر ذي شأن.

أمر محمد ﷺ، ليلة الحجرة، قالوا: لا يدخلن أحد معكم في المشورة من أهل تهامة لأن هراهم مع محمد^(١) وعند عقد صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة، دخلت خزاعة مع رسول الله ﷺ في الحلف، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة مع قريش - فقريش فرع من كنانة - وهذان البطنان من خزاعة ركنتا كاتبا يقيمان في مكة وأحوزاهما، وكانت بينهما عداوة قديمة، ثم ما لبثت بنو بكر أن عدت على خزاعة، وقامت قريش بمساعدة بنى بكر سرّاً، فكان ذلك نقطباً منهما للعهد، وسبباً في فتح مكة عام ٨ هـ، حيث خرج سالم بن عمرو الخزاعي إلى المدينة مستنجداً بالرسول ﷺ، ووقف أمامه وهو جالس بالمسجد، قالوا:

يارب إني ناشد محمداً	حلف أينما رأيه الأكلدا
إن قريشاً أعطفرك للرعدا	وتقضوا ميثاقك للوكدا
هم يبتزوا بالزهر شجدا	وقتلونا ركعاً وشجداً ^(٢)

فقال النبي ﷺ: تصيرت يا عمرو بن سالم، وأطلع عمرو بن سالم الرسول ﷺ على تفاصيل ما حدث، كما أطلعته أيضاً على عقد الحلف

^(١) السورة الحادية، ١٨٩/٢، ٧٠٠.

^(٢) رويت هذه الأبيات في بعض المصادر فيها زيادات، و انظر السورة الحادية ١٨٩/٢، و ابن الأثير ٧٤٠/٢، و البداية و النهاية لابن كثير ٣١٠/٤.

السابق الذي كانت خزاعة قد عقدته مع جده عبد المطلب بن هاشم . فطلب منه الرسول ﷺ أن يصرود إلى مكة ، ويخفي أنه أتى إلى المدينة ، وقال : اللهم عذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبتقها في بلادها^(١) وكان من كثرة من تزعم الأحابيش^(٢) وهي مجموعة قبائل متفرقة ، تحالفت مع قريش ، كما كان من بطون كثرة التي أسلمت مبكراً بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، منهم بطون غفار رهط أبي ذر الغفاري ، الذي قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ، ثم رجع إلى قومه وأخذ يدعو للإسلام فأسلم على يديه بعض قومه ، وعندما بلغهم محنة الرسول ﷺ إلى المدينة أنطلقوا إليه ، واسلمت عشيرتهم ، وكانت مواطنهم بين رضى وبنع ، بحاورين لقبيلة جهينة في مواطنها بنع ورايح .

ومن القبائل التي تقطن مواطن تحير منطقتنا - المحنية بهذه الدراسة - امتداداً طبيعياً لها ، قبيلة هوازن ، وهي بطون عديدة ، منها ثقيف والأحلاف أهل الطائف ، ومنهم سعد بن بكر ، الذين استرضع فيهم النبي ﷺ ، وكانوا ببادية الطائف ، ومنهم بنو نصر بن معاوية عشرة سالك بن عوف النصرى ، قائد هوازن يوم حنين ، وبنو حشم رهط ثريد بن الصمة ،

^(١) تفسير الخليل ، ١٠/٢ ، وتاريخ ابن خلدون ، ٤١/٢ ، وابن الأثير ، ٢٣٩/٢ ، والبلدية والديلمية ٣٧٨/٤ .

^(٢) بعض المؤرخين الحديثين . فهم خطأ أنها جالية حديثة كانت تقيم بحكة ، استدلوا على ذلك من اسمها بينما الاسم أطلق عليها لكونها تعقدت يوماً بحوار جبل بحكة يقال له : حاشة ، وقيل : من التميمي أي التميمي ، وهي بطون من كثرة ، وحنبل ، وهرازن وغيرها . أنظر الأرقس ١١٥/١ ، والمهجرة ، ص ١٨٨ ، والسيرة الخليلية ، ١٨٩/٢ ، ٦٩٥ .

الشاعر الفارس المشهور، ومنهم عثمان بن أبي العاص، الذي ولاه الرسول ﷺ إمارة الطائف، وكانت له جهود ومشاركات في فتوح فارس، وإليه ينسب شط عثمان باليمرة، وكانت أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس، ومنهم بنو عامر بن صعصعة أحد أئمة أئمة بني هلال بن عامر، الذين منهم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، التي يقال لها أم المساكين، وأختها لأبها أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الحنظلية، التي تزوجها الرسول ﷺ، بعد وفاة أختها زينب، كما كانت منهم لياحة الكبرى، أم خالد بن الوليد، وأختها لأبها لياحة الصغرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وإخوته، فهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير، وهما أيضاً أختان من الأب لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وكانت عمتهن صفية بنت حزن هي أم أبي سفيان ابن حرب^(١)، وغير هؤلاء من بطون هوازن العنيدة، وقد توطنوا الطائف وأحوازها، وبعض بواديها، وبادية مكة، وأمتدت مواطنهم حتى تربة شرقاً، وجنوباً بالقرب من جمرث، وجاوروا بطون الأزد، وخثعم، وغساند وبارق، وزهران^(٢) وقد أوردت كتب السير والمغازي أن عمر بن الخطاب قاد سرية في السنة السابعة الهجرية إلى عجم هرازم في تربة^(٣) غير أن تلك المنطقة لم تكن وقتاً على بطون هرازم، إنما تخللتها بطون من قريش، وعتر الأزد وغيرهم^(٤) وكانت منازل هذيل فيما حول مكة، جهة يلملم ويطن

(١) انظر فيما سبق: المجلد ٢٧٢-٢٧٤، والسيرة الحلبية ٤٠٩/٣، والطبري ١٦٧/٣، ١٦٨.

(٢) ليلقي، ص ٢٥٨ - ٢٦٢، والسيرة الحلبية ١٤٦/١، ومعجم ما استعجم ٨٧/١.

(٣) الطبري ٢١/٣، وابن الأثير ٢٢٦/٢، والمغازي للوقدي، ص ٧٢٢، والسيرة الحلبية ١٩١/٣.

(٤) ليلقي، ص ١٤٨، ٢٥٢، ٢٥٥.

عرة، وعرة، ونخل، وأوطس، وجبي غزوان، ويسوم، أعلى جبل شلق متصل بالطائف وتسكنه القردة في أعاليه^(١)، وقدماً نظراً أعرابي فرأى القردة في علو بعيد منه، تقلب نفسها هنا وهناك، فقال متعجباً: الله أعلم من جعلها جبل يسوم^(٢)، وتعمبه جاء من كيفية إرتفاعها هذا الجبل الشامخ، تُرى إلى أي مدى يبلغ عجب هذا الأعرابي، لو عرفت أن هذا الجبل أصبح مهداً بقوة عزيمة الرجال في عصرنا الحاضر، حتى إرتفعه السيارات؟ نستطرد بعد ذلك إلى موقف قبائل المنطقة المعنية بالدراسة من الإسلام.

٢- موقف قبائل المنطقة من الإسلام :

سبق أن تناولنا في صدر هذا البحث^(٣) بالسرد معظم قبائل منطقة (جباران وعسير وجحزان) على وجه التقريب، وإنما قلنا على وجه التقريب لعدة اعتبارات، منها أن منطقتنا في الوقت المتقدم تاريخياً - والذي نحن بصدد ذكر وقائع وأحداثه - لم تكن فيه وحدة إدارياً كما هو شأنها في الوقت الحاضر، فيطون القبائل المذكورة قد تتوزع فيها ثم تمتد إلى ما جاورها من أراضي، وهذا يعني أن التداخلات في مواطن القبائل في ذاك

(١) يبدو أنه جبل الهدي حالياً، الذي ما زالت به القردة، ولم يغلب على ملوه الشاهق.

(٢) البصرة من ١٩٦ - ١٩٨، والمذابي، من ٣٢٣ وأسماء جبال تهامة لغرام، من ٤٣. وأثار قبيلاد للترويحي، ص ٨٩.

(٣) انظر ص ٤٦-٣٤ من هذا البحث .

الوقت أمر وارد، ومنها أنه حدثت تغلغللات فى مواطن بعض القبائل ببلاد العرب بصفة عامة إبان الفتوحات الإسلامية، ونزحت بطون عديدة إلى البلدان المفتوحة ثم استقروا فيها. وحين نزوحهم شغرت مواطنهم فى بلاد العرب، فشغلتها بطون أخرى من بنى أبيهم، أو من غيرهم، لذا فإن الفترة التى نحن بصدد ذكر وقائعها، أعقبها نزوح وهجرات، واستيطان، ومن المجازفة أن يقال إن كل القبائل ظلت فى موطنها منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وعلى نفس مساحة الأرض التى كانت تشغلها فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى أن مساحات شاسعة من الصحارى والوديان لم يكن يسكنها أحد، وهى أرض سوات من أحيائها تملكها.

لكن الحقيقة المؤكدة أن الأرض نفسها ثابتة لا تنسرح ولا تسرح، ومستقرة فى موضعها تدور مع الكرة الأرضية، حيث دارت، وهى راسخة فى مكانها بجبالها، وسهولها، ووديانها، ومياهها وغير ذلك من معالم الطبيعة، والتغير إن حدث إنما يأتى من قاطنيتها، وإلا فماين هم العرب البائدة، أول من قطعها؟

كما سبق أن أشرنا إلى أن قبائل المنطقة المعنية بالدراسة، وإن كانوا مستقلين إدارياً فى تعريف شعوبهم على مواطن إقامتهم، وغير محاضرين لأية هيمنة، شأنهم فى ذلك شأن كافة قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا يرتبطون وجدائياً بحكمة المكرمة، لكونها شُرقت بوجود البيت العتيق فيها، والذى يعظمه العرب على كافة ملحمهم، وبأقوله فى الموسم كل عام للحج، فقد كان الحج من بقايا مله إبراهيم — عليه

السلام...^(١) وقد حافظ العرب على أدائه بشعائر ومناسك معينة حتى جاء الإسلام، واحتلت الكعبة مكانة رفيعة من نفوسهم، وليس أدل على ذلك من تصدى أحد زعماء القبائل - كما سبق أن قلنا - وهو نفيل بن حبيب الخثعمي، لأبرهة الأشرم، حين مروره في طريقه إلى مكة فقاد جموعاً من بطون شهران، وناعمي، والأزد، وغيرهم، وقاتل أبرهة بالقرب من تبالة^(٢) كما كانت قبائل المنطقة تُكنى لقريش السود، لأنهم أهل الله، وعُتِبَ به، ويستتفكون أن يصدر منهم ما يُشين، ولهذا عقدت قريش حلف الفضول، لنصرة المظلوم، ومنع المظالم في الحرم، وذلك عندما أتى رجل من زيد، وظلمه العاص بن وائل السهمي، في سلعة باعها منه، فقاموا مع الربيعي حتى نال حقه، وقدم آخر من قبيلة بارق، وثالث من خثعم، ففعلوا في الحرم، فقام أهل حلف الفضول معهما حتى أسودا حقهما^(٣) وتمثل حسن العلاقات فيما بين قبائل المنطقة وقريش في تسهيلات سرور قوافل التجارة القرشية بأرض قبائل المنطقة، وتناول السلع فيما بينهم، وقيام بعض أهل المنطقة كمندوبين لها في التجارة، بمحدث بيشة، وجرش، ونجران^(٤).

(١) السورة الحلية، ٤٧٩/٢.

(٢) سبق أن تعرضنا لذلك، انظر صفحة ٨٠ وما بعدها من هذا البحث، وانظر أيضاً الأزرقي ١/٤٢٢، وقطيري،

١٣١/٢، ولين الأثر ٤١/٢.

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاغي، ص ١٢، ١٣، و السورة الحلية ٣١٥/١.

(٤) دكتور السيد عبد العزيز سالم بالمصدر السابق ص ٣٠٥.

كما كان الإقدام على المصاهرات والزواج له أثره البالغ في توطيد العلاقات، فمعيبة النسب بالمصاهرة لا تقل شأنًا في معظم الأحوال عن معيبة الدم، فنلاحظ أن قبائل المنطقة قد وقع بينها وبين قريش مصاهرات من قديم. فقد ذكر المؤرخون أن إحدى الفواطم والعواتك اللاتى ولدن الرسول ﷺ كانت من الأزده، فأُم قصي بن كلاب الجد الأعلى للرسول ﷺ هي فاطمية بنت سعد بن سيل من آزد شترة^(١) وأيضاً: فإن عاتكة أم النضر بن كنانة، هي عاتكة بنت مر من الأزده، وكانت أمها أيضاً اسمها عاتكة بنت الأزده بن الفوث^(٢) وتزوج سعد العشرة من أسماء بنت أبي بكر بن مناة بن كنانة من مضر، وكان له منها، ومن غيرها، عشرة أبناء أكبرهم الحكم الذى به كان يكنى، وكان قد ذهب بهم إلى الحج فسألوه من هؤلاء؟ قال: هم عشوتي، فسعى سعد العشرة^(٣) وكان موطنه مع أخيه مراد (جابر) بتهامة اليمن، فلما تكاثروا نزح منهم من نزح إلى أرض تهامة الحجاز، بجوار أحوالهم من كنانة، وكان منهم فيما بعد آل الحكم ابن سعد العشرة، اللذين حكموا منطقة حازان في بعض الفترات التاريخية اللاحقة، وتزوج أحد أبنائهم وهو: عبد الله بن سعد بن جابر بن عمرو الحكمي، من آمنه بنت عفان أخت الخليفة عثمان بن عفان^(٤) وتزوج أبر أزهر اللوسى، من قبيلة دوس رهط أبي هريرة، من أخت هشام بن المغيرة

(١) ابن الأثير، ٣٤/٦، والبدو والتاريخ، ٥/٥، والأردني، ١٠٤/١.

(٢) ابن الجوزي، ٣٥/٦.

(٣) المعهرة، ص ٢٠٧، والبدو والتاريخ للمقدسي، ١٢٠/٤.

(٤) المعهرة، ص ٤٠٩.

المعزومي، القرشي، كما تزوج عثمان بن عفان أم عمر بنت جندب بن عمرو الدوسي^(١) وتزوج عبد الله بن الحارث بن سحيرة بن نصر من زهران من أم رومان بنت عامر بن عمرو من كنانة، فولدت له: الطفيل بن عبد الله، ثم خلفه عليها، أبو بكر الصديق، فولدت له أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأخاها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فالطفيل أخوهما من الأم وكان أسن منهما^(٢). وكانت تخضع بنى عمومة بهيلة، لها بطون عديدة منها شهران الذين منهم بنو عُميس عشيرة أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب وأم أبياته، وأختها سلمى بنت عُميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وأم ابنته الوحيدة لماعة^(٣) وغير ذلك من زيجات ومصاهرات أضفت جرأً من الشؤد وأسهمت في ترطيب العلاقات بين قبائل المنطقة وأهل مكة، وأشاعت الأمان إلى حد ما، فأصبحوا يتنقلون من مكان إلى آخر دون خفارة لتحارثهم، ويرتادون الأسواق التي كانت تقام في عير الأشهر الحرم^(٤) دون خوف، فمثلاً كانت ترجد سوق حُباشة بتهامة لقبائل الأزد وبارق ودوس وغيرها من القبائل، وتقام فيما بين وادي حنليّ وغابيل، على مسافة ست ليالٍ من مكة، وتقام في غير الأشهر الحرم وهي آخر سوق حرّيت من أسواق الجاهلية، وكان ذلك في عهد النبوة العباسية فقد كان ولاية مكة بعد الإسلام يرسلون إليها والياً معه الحراس للحفاظ على الأمن

(١) المعزومة ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) المعزومة، ص ١٣٧، ٣٨٣.

(٣) المعزومة، ص ٣٩١، و لطيفات لابن عباد، ص ٨.

(٤) الأزدية، ١/١٩٦.

فيها، وفي الطريق المؤدية إليها ، فلما كانت ولاية داوود بن عيسى بن موسى لمكة عام ١٩٧ هـ، بعث ولياً إليها ومعه بعض الجنود، فقتلت الأزد والى السوق من قبل داوود أمير مكة، فأشار عليه فقهاء مكة فى ذلك الوقت بتخريبها وإغلاقها^(١).

وكان النبى ﷺ يعمل بالتجارة قبل البعثة، وكان شريكاً فى التجارة لقيس بن المسائب، وقيل: لأبيه المسائب بن يزيد بن أبى المسائب الميمنى، ولما قدم عليه المسائب يوم فتح مكة، قال له النبى ﷺ: مرحباً بأخى وشريكى، كان لا يندارى ولا يمارى (أى لا يماطل أو يخاصم شريكه، فى بيعه وشراؤه) وقيل إن حكيم بن حزام اشترى وقتها من الرسول ﷺ، بزراً من بزّ تهملة، كان قد اشتراه الرسول من سوق حُباشة وقدم به إلى مكة، فلما رآه حديبة عند ابن عمها حكيم بن حزام - ولم يكن الرسول قد تزوجها بعد - أرسلت خادمها ميسرة إلى الرسول فذهب معه إلى سوق حباشة واشترى لها بزّاً، وحمله إليها ميسرة^(٢) وعرفت فيه الأمانة يومها، فعرض عليه الذهب تجارتهما إلى الشام، واتى صبحه فيها أيضاً ميسرة، ثم تزوجها الرسول ﷺ بعد عودته من تجارة الشام بفقر ٦٠ للة^(٣).

(١) الأوزنى ، ١٩٢/١ .

(٢) السيرة الحلبية ، ١/ ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ومعجم البلدان ، ٢/ ٢١٠ .

(٣) السيرة الحلبية ، ١/ ٢٢٨ .

ونلاحظ أن بعض الأفراد قدموا مكة عندما علموا ببعث الرسول ﷺ وأسلموا وعادوا إلى مواطنهم، بعد أن طلب منهم الرسول العودة عموماً عليهم من أذى قريش، وذلك قبل الهجرة، على أن يرافوه بالمكان الذي يهاجر إليه عند سماعهم به^(١) من هؤلاء: سواد بن قارب الدوسي، كان يتكهن في الجاهلية، فأتاه ربه من الجن وأخبره بمبعث الرسول ﷺ، فقدم مكة قبل الهجرة، وأسلم، ثم أخبره النبي عما سمعه من ربه، فسر به النبي ﷺ وقال له: أفلحت بأسواد^(٢) وقدم ضماد الأزدي وقيل خالد بن ضماد الأزدي^(٣)، من أرد شنوعة - وكان يُرقى من مس الجن - عندما بلغه قول سفيان قريش: إن محمداً مسه الجن، فقدم مكة قبل الهجرة وجلس إلى الرسول ﷺ، وقال: يا محمد إنني أرقى من الريح (أي الجن) وإن الله يسمي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال له الرسول ﷺ: "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه قرآنا هدى للمتقين." فقال ضماد: أعد علي كلماتك هذه، فأعادها الرسول ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هذه، هات يدك أبائك على الإسلام، فبايعه الرسول وقال له: وعلى قومك يا ضماد، قال: وعلى

^(١) وكان من الذين قدموا مكة قبل الهجرة وأسلموا، وطلب منهم الرسول العودة إلى موطنه، أبو ذر الغفاري،

أنظر السيرة الحلبية ٤٠١/١.

^(٢) السيرة الحلبية، ٣٢٢/١.

^(٣) مجموعة الوثائق السياسية للمهد البيهقي، والحلقة الرابعة، للدكتور / محمد حميد الله، ص ١٩٥.

قومي يا رسول الله^(١) ثم انتقلت قائماً فتعرض له أبو جهل، فمنعه بعض رؤساء قريش قائلين له: أتريد هلاكنا، إن قومه عمر بأرضهم تجارتنا.

وقدم مكة الطفيل بن عمرو الدوسي، وكان شريفاً في قومه دوس، فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من الجلوس إلى محمد، أو سماع ما يقول، واكثروا عليه في النصيح لأنهم عخشوا إن اتبعه مثل هذا بما له من رقاسة في عشرته، يتبعه الكافة منهم، يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ثم غدوت إلى الكعبة، فوجدت الرسول قائماً يصلي، فسمعت منه كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني من سماع ما يقوله، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، وتبعته، وسمعت منه القرآن، بعد أن أهدرته خور قومه معي، فما سمعت قط خيراً من ذلك. فاسلمت، ثم قلت: يا رسول الله إنني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم أدعهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً، فقال: اللهم أجعل له آية، فخرجت حتى إذا كنت في ثبة في ليلة كانت مظلمة - خرج نور من بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظلموا أنها مثقلة، فتحول النور من رأسي إلى سوطي، فجعل الناس يراؤون ذلك النور كأنه قنديل معلق نسي سوطي، وعُرف الطفيل

(١) السورة الحلية ، ٣٩/٢ .

بنى الفور^(١)، ولما عاد الطفيل إلى أرض قومه دوس، جعل يدعو قومه إلى الإسلام، ولما بلغهم حجرة الرسول إلى المدينة قدم وفد دوس من ثمانين رجلاً مسلماً يقودهم الطفيل، ومنهم أبو هريرة^(٢) وتوافق وصولهم للمدينة مع وصول وفد الأشعرين، وفيهم أبو موسى الأشعري، قادمين عن طريق الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، ومن معه من مهاجري الحبشة، فوافقوا المدينة والرسول يحاصر خيبر سنة ٧ هـ، فبيتوا ليلتهم بالمدينة، ثم انطلقوا جميعاً منها بعد صلاة الفجر إلى خيبر، فسر الرسول ﷺ بقولهم واشركهم في غنائم خيبر، وقال: والله ما أخرى بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر، أم يقدم جعفر؟^(٣)

ولما أراد الرسول ﷺ المسير إلى الطائف بعد حنين وفتح مكة، بعث الطفيل بن عمرو النوسي إلى هدم صنم ذي الكفين يبلد دوس^(٤) وأن يأتي بمن أسلم من قومه، ويوافيه بالطائف، فانتطلق مسرعاً، فهزم الصنم، ثم قدم ومعه أربعمائة من رجاله قومه، وبعض مسلمي القبائل المجاورة، ووافى رسول الله ﷺ بعد مقدمه بمواقفه بالطائف بأربعة أيام،

^(١) البلية والتهاية لابن كثير ٧٨/٥ و الترمذ للمدنية ١٩٢/٢ - ١٩٥ ، وقيل إن الذي أنشاه له حصانه هو :

حياء بن بشر الأشجلى ، وفي حديث رواه البخاري ، وقيل هو : أسيد بن حضير الأنصاري
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٩٩/١ ، و يجوز أن يكون قد وقع ذلك لهم جميعاً .

^(٢) السيرة الحلبية ، ٦٩/٢ ، ٧٥٨ ، والمهجرة ص ٣٨٢ ، ١٢٧ ، والمغازي للواقدي ص ٦٨٣

^(٣) السيرة الحلبية ٧٥٥/٢ - ٧٥٨ ، والبلية وتهيئة لابن كثير ، ٧٩/٥ .

^(٤) أورد الأستاذ رشدي صالح ملخص ، عثقت كتاب أسير مكة للكرزلي ، تعليقات مقبلة عن منسني ، في
نقطة ، و ذي كفين ، ما لا مزيد عليه هنا ، انظر : ٣٧٤/١ - ٣٧٩ ، و المغازي ص ٨٧٠ .

فلما رأهم الرسول ﷺ، سُرَّ، وقال: يامعشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال
الطفيل ومن معه: من كان يحملها في الجاهلية وهو النعمان بن الزرارة
اللهمي، فقال النبي ﷺ: أميتم، وحملها النعمان يوم الطائف.^(١)

وقدم الطفيل ومعه دجاجة ومنجنيق، ونصبت يوم الطائف، وقيل إن
الذي قدم بها يزيد بن زمة، ويقال خالد بن سعيد بن العاص، قدم بها
من جرش، ويقال إن الذي صنعها ونصبها يوم الطائف هو مسلمان
الفارسي كما وقد على الرسول ﷺ سعد بن مسالك الأزدى، وعقد له
الرسول راية على قومه، استمرت معه حتى شهد بها فتح مصر مع عمرو
ابن العاص^(٢)، وقدم للمدينة في السنة العاشرة جرير بن عبد الله البجلي،
وكان الرسول ﷺ، قال لأصحابه: يطلع عليكم من هذا الفج (أي هذه
الناحية مشيراً إليه) من غير ذي عن (أي من غير قبائل جهة اليمن)^(٣)،
على وجهه مسحةٌ ثلثو، فطلع جرير، على راحته، ومعه مائة وخمسون
من قومه، فتلوا، فأسلموا وبايعوا، يقول جرير: فبسط الرسول ﷺ يده،
فبايعني، وقال: عسى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم
الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتصحح المسلم، وتطيع السوالى وإن
كان عبداً حبشياً. قلت: نعم، فبايعني، ثم جعل الرسول ﷺ يسأله عما

(١) البصرة ص ٣٨٢، و البخاري ص ٩٢٢، و قد ورد له: النعمان بن الزرارة اللهمي، و قيل: النعمان بن
زراع حريف الأزد.

(٢) البخاري للثوري، ص ٩٢٧.

(٣) كتاب " نظام الحكومة البرية، للمسي الوهابي الإطرية " للشيخ عبد الحي الكاظمي، ١/ ٣٧.

ورأوه، فقال: يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأخان في مساجدكم ومساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم، التي كانت تعبد، قال: فما فعل ذا الخلصة - وهو منكم لبجلة والأزد وحشم - قال: هو على حاله قد بقي، والله شريخ منه إن شاء الله، فيخبر رسول الله ﷺ إلى حدم ذي الخلصة، فأتطلق فما أطال الغيبة حتى رجع، فقال له الرسول ﷺ: خدمته؟ قال: نعم، والذي يمكك بالحق، وأخذت ما عليه وأحرقت بالنار، فتركته كما يسوء من يهوى هواه، وما صلنا عنه أحد^(١) وكان قدم إلى المدينة في أعقاب جرير، قيس بن أبي غرزة الأحمسي، بطن من بجيلة، ومعه مائتان وخمسون رجلاً من أحبس، فقال الرسول ﷺ: من أنتم؟ قالوا نحن أحبس الله. فقال: وأنتم اليوم لله، وأمر الرسول بلال أن يعطى ركب بجيلة، وأن يبدأ بالأحمسين، فلما أمر الرسول جرير بالذهاب لحدم ذي الخلصة، قال جرير يا رسول الله: إني لا أبيت على الخيل، قال جرير: فمضى الرسول يده ومسح على صدرى، وقال: اللهم اجعله هادياً مهتدياً، يقول جرير: فما وقعت بعداً أبداً. ثم قاد زهاء مائتين من خيل أحبس وأطلق فهدم الخلصة وعاد. فبإسك رسول في رجال وخيل أحبس^(٢) ودعا لهم.

وكان جرير قد قاتل بعض رجال من حشم يمد خدم ذا الخلصة، فقدم منهم وقد قطع بن زجرى، وأنس بن شريك، إلى المدينة، واعتبرا

^(١) طبقات ابن سعد ٣/١٧٤، والأزرقي ١/٣٨٠، والطبري ٣/١٥٨، والبدية والنهاية لابن كثير ٥/٨٨ - ٩٠.
^(٢) طبقات ابن سعد ١/٣٨٢، ٣٨٤، والبدية والنهاية لابن كثير ٤/٢٢٢.

إسلامهم وطاعتهم، وقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله،
فأكتب لنا كتاباً تتبع ما فيه، فكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، شهد فيه جرير
ابن عبد الله، ومن حضر من الصحابة. ^(١)

وقدم وفد الأزدي، فيهم سرور بن عبد الله الأزدي، أزد شتوعة، في
بضعة عشر رجلاً، فأسلموا وأمره الرسول ﷺ على قومه، فقد كان
أفضلهم، ثم أمره الرسول أن يهاجم قومه من يليه ممن لم يسلموا من
القبائل، فخرج حتى نزل جرش، وكانت مدينة حصينة، دخلها بعض
بطون متفرقة من القبائل وأغلقوها عليهم، وتحصنوا بها، فحاصروهم شهراً،
فاستعصت عليه، ثم تحدى عنها إلى جبل يقال له: شكر، فظنوا أنه انهزم،
فخرجوا في طلبه، فصاف جيشه، وعطف عليهم، وأعمل فيهم السيف،
وقتل منهم عدداً، وأخذ يحيلهم، وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين قبل
وصول سرور إليهم، لينبها إلى المدينة، فيظفرا ويكلسا الرسول ﷺ في
شأن إسلام أهل جرش، ويبدوا أنهما تابعا في إعلان إسلام قومهما،
وأخذ العهد لهم من الرسول، مع أنهما أسلما عقب وصولهما المدينة،
فكانتا ذات يوم مجلس الرسول ﷺ عصراً، فسأل الرسول ﷺ، من
مجلسه بأي بلاد شكر هذا؟ فقام الجرشيان، وقالوا: يا رسول الله،

^(١) طبقات ابن سعد، ٣/٤٨١، قيل كان هناك جماعة من الصحابة قد خلصوا الناس طوعاً وحسن هبة منهم: العباس
ابن عبد المطلب، وولده الفضل بن العباس، وقام بن العباس وجرير بن عبد الله الجلي، وقيس بن سعد بن
عبد، والأشعث بن قيس الكندي، وعدي بن حاتم الطائي، وزيد الجلي بن مهلهل الطائي.
انظر: الكامل للمبرد، ٣/٩١، والبدية والنهاية لابن كثير، ٩١/٥.

ببلادنا جبل يقال له: كُشُر، فقال: إنه ليس بكُشُر، ولكنه شُكْر، قالوا: فما له يارسول الله؟ قال: إن بُدِنَ الله لُتَحَرَ حنله الآن، فلم يفهم الرجلان معنى قول الرسول، فسألا أبا بكر وعثمان بن عفان وكانا على مقربة منهما بالجلس، فقالا لهما: إنه يتعنى لكما قومكما، قوما إلى الرسول فاسألاه أن يدعوا الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه وسألاه، فقال: اللهم ارفع عن قومهما، واهدمهم. ثم خرج الرجلان مسرعين إلى قومهما، فوجدوا أن حُرْدَ بن عبد الله أصاب قومهما في اليوم والساعة التي أخبرهما فيها رسول الله، فأنهيا لقومهما ما أعلمهما به الرسول، فأسلموا جميعاً، وخرج منهم وفد إلى المدينة، فلما وقفوا على الرسول ﷺ قال لهم: مرحبا بكم^(١) أحسن الناس وجوهاً وأصدق لقاءه، وأطيب كلاماً، وأعظم أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم: سرور - وهو الشعار الذي اختاره حُرْدَ بن عبد الله - فطلبوا من الرسول أن يحميهم فلم يمس حول قريتهم جرحي، على أعلام معلومة، للفرس، والراحلة، وللثورة التي تشو الأرض، وتكون حمى لهم ومرعى، ومن رحمة غروهم فهو سحت، وكتب لهم بذلك كتاباً^(٢) ويحتو أهل جرش بهذا الطلب الجماعي، أول

(١) كلمة "مرحباً" يقال إن العرب لم تكن تستعملها، إلا نادراً، ثم استعملوها بعد أن تكررت قريشاً من لرسول ﷺ، السورة الحليّة ٢٥١/٣ -

(٢) الطبري ١٣٠/٣، ١٢١، وطبقات ابن سعد، ٣٣٧/١، ٣٣٨، و سورة ابن هشام ٢٣٤/٢ والإصابة، ١٨٧/٢، تجميد أعيان الصحابة للذهبي ٢٦٤/١، و مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٤٧ -

بلد تم تحديده بحدود معلومة في بداية تكريم الدولة الإسلامية بمسد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، على ما نعتقد.

وذكر ابن كثير^(١) أن وفداً من الأزد، سبعة نفر، فيهم سويد بن الحارث الأزدى قدموا على رسول الله ﷺ، فلما دخلوا وسلموا على الرسول أعجب بما رأى من سميتهم وزينتهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فتبسم النبي وقال: إن لكل قوم حقيقة، فما حقيقة إيمانكم، وقولكم؟ قالوا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رُسُلُك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا يا رسول الله أن نعمل بها، وخمس تخلفنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً.. وبعد أن عدوها على مسامع الرسول ﷺ، قال لهم حكماء علماء.. وأثنى عليهم ثم أوصاهم بوصايا خمس وأكرم وفادتهم.

وقدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان عام ١٠هـ، وكانوا عشرة رجال، نزلوا ببيتع الغرق، فلبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى الرسول ﷺ فسلموا عليه، ثم أقرروا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم الرسول ﷺ مثلما يجيز الوفود، وعادوا إلى بلادهم.^(٢)

(١) انظر كتابه و النهاية ، ١٠٦/٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ٣٤٥/١ .

كما قدم وفد بارق على الرسول ﷺ بالمدينة، فأسلموا، وباعوا، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق، لا تهرؤ حمارهم، ولا ترعى بلائعهم في مربع، ولا تصيدوا إلا بمسالة من بارق، ومن مرّ بهم من المسلمين في عرك أو حديق فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أيعت حمارهم فلا ين السيل اللقاط، يوسع يطله من غير أن يقتشم (أى يخته ويقتلعه ليحملة معه) (١).

وفد على رسول الله ﷺ، بالمدينة خالد بن ضماد الأزدي، وكتب له كتاباً جاء فيه: أن له ما أسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله، لا يشرك به شيئاً، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعصم شهر رمضان، ويحج البيت، ولا يأوى عدواً، ولا يرتاب، وعلى أن يتصح لله وللرسوله، وعلى أن يحب أحباء الله، ويهض أعداء الله، وعلى محمد النبي أن يمنع مما يمنعه من نفسه وماله وأهله، وأن لخالد الأزدي فصة الله، وفصة محمد النبي إن وفى بهذا (٢) وكان ضماد أبو خالد قد وفد قبل على النبي. كما وفد على الرسول ﷺ جنادة الأزدي، وقومه، فكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً جاء فيه: إن

(١) طبقات ابن سعد ، ٢٨١/١ ، ٣٥٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ، ٢٦٧/١ ، ويؤيد أن خالد وفد على رسول الله ﷺ مرتين : إسلامهما قبل الهجرة ، وإلتارعه بعدها .

بجنادة وقومه ومن اتبعه، عهد الله، ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وذمة محمد بن عبد الله^(١).

وعام الفتح بعث الرسول ﷺ إلى أبي طليان الأزدي من غامد كتاباً يدعو به ويدعو قومه إلى الإسلام، فأجابته في نفر من قومه بمكة عام ٨ هـ بعد فتحها، وكان مع أبي طليان من قومه: مخنف، وعبد الله، وزهير بن سليم، وعبد شمس بن زهير، وحذنب بن كعب، وكتب النبي ﷺ لأبي طليان كتاباً، وكانت له صحبة، وأدرك عهد عمر بن الخطاب وكان صاحب راية قومه يوم القادسية^(٢).

وكان الرسول ﷺ قد كتب كتاباً لمن جاء من غمهم مع جرير بن عبد الله البجلي، عندما ذهب لمسلم بنم ذي الخلصة، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله للتحتم من حاضر يمشة، وبأدبها، أن كل دم أصيتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً، في يده حرمت من حصار أو عزاز، (أي ما سهل ولأن من الأرض أو ما صلب منها) تستقيه السماء، أو يرويه النقي فركى (أي نما) حماراً في غير أزمق، ولا حطمة، فله نضره وأكله، وعليهم في كل سبع العشر، وفي كل غريب نصف العشر^(٣) كما كتب الرسول ﷺ كتاباً لبطن من باهلة كان في

^(١) طبقات ابن سعد ، ١/ ٢٧٠ .

^(٢) طبقات ابن سعد ، ١/ ٢٨٠ .

^(٣) طبقات ابن سعد ، ١/ ٢٨٦ ، و مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٢٤٢ .

بيشة^(١) ووفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عقب الحجر، الحارث بن عمرو من بني طيب من الأزد، وكان بنو ليهب ويتو أسد بن حريمه أعيف العرب^(٢) في زجر الطير، وتقصى الأنس، والأشباه وقوة الفراسة، وغلل الحارث ملازماً للرسول ﷺ قيل هو الذي حمل كتاب النبي إلى ملك بصرى بالشام، فلما نزل أرض موتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي، ولما عرف أنه يحمل كتاباً من رسول الله ﷺ، وأنه أحد الرسل الذين بعث بهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، قتله، ولم يقتل من حمل كتب النبي سواه، ولما بلغ ذلك النبي اشتد عليه الأمر، وتدب الناس للحجوج إلى موتة عام ٨هـ^(٣) وكان ذلك قبل فتح مكة.

وكان من بارق، من الأزد: عمرو بن أبي الجمعد البارقي، الذي صاحب الرسول ﷺ وروى حديث: " الخليل معقود في نواصيها الخير"^(٤) كما كان من حامد: مخنف بن سليم بن الحارث، والنجاش بن المرقع بن سعد بن الحارث، وأبو زئب زهير بن عوف، أحد من شهدوا على الوليد

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٤٤.

(٢) المعجم، ص ٣٧٦.

(٣) للذاري، ص ٧٥.

(٤) طبقات ابن خليفه، ص ١١٢.

ابن عقبة بأنه شرب وسكر^(١) ومن غامد صخر الغامدي له صحة روى حديث الرسول ﷺ: "بورك لأمتي في بُكُورِها"^(٢) وغورهم .

كما وفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عبد الجند بن ربيعة بن حجر الحكمي، من بني الحكم بن سعد العشرة^(٣) وكان لعبد الجند صحة ررواية^(٤) ومن بني الحكم أبو موسى الحكمي محدث^(٥) ومنهم عبد الله بن سعد بن جابر الحكمي، كانت تحته آمنه بنت عفان أخت الخليفة عثمان ابن عفان، وولدت له محمد بن عبد الله^(٦) كما كان من رجالهم عبيد ابن خليل الحكمي^(٧) وأبو عقبة الجراح بن عبد المطلب الحكمي، الذي كان والياً على مراسان، ر البصرة، من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، عام ٩٩هـ، ثم والياً على أرمينية من قبل هشام بن عبد الملك عام

^(١) طبقات ابن خلدون، ص ١١٣، و الجمعة، ص ٢٧٨ .

^(٢) طبقات ابن خلدون، ص ١١٣ .

^(٣) سمي بسعد العشرة، قيل: لأنه حضر الموسم في الحج قبل الإسلام و حوله بنوه العشرة، فسئل من هؤلاء؟

فقال: هم عشيرتي، وقيل: لأنه كان يركب حوله من بني من سبه ثلاثة فارس، انظر الجمعة،

ص ٤٠٥، وقصة للحضر في أخبار البشر، لابن الوردي، ج ١ ص ١٤٣ .

^(٤) كتاب الأنساب للسعدي، ١٨٣/٤ .

^(٥) الطبقات لخلد، ص ٧٣ .

^(٦) الجمعة، ص ٤٠٩ .

^(٧) الأنساب للسعدي، ١٨٣/٤ .

١٢٢هـ^(١) وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي، الذي أرسله حبيد الملك بن مروان في ألفين من أهل الشام مدحاً إلى الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال شبيب الحروري عندما هاجم الكوفة عام ٧٧ هـ، ثم لقتال ابن الأشعث عام ٨٢هـ^(٢).

وعلى كل فقد كان موطنهم يبدأ من جنوب أم حندم بتهامة الحجاز، ويمتد جنوباً حتى حدود ولاية قسوة بن مسيك المرادي بتهامة اليمن، ويحاورهم جنوباً بطون من قبيلة عكك، ورواقد من قبيص، وبنو عقيل ابن كعب بن عامر، ويحاذيهم شرقاً بطون من حاشد وكيكل والأزد وغيرهم من القبائل التي لا تمنع لأية سلطة عليهم قبل الإسلام، وسوف تتضح الصورة أكثر عند التعرض للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ بالباب الرابع من هذا البحث .

وخلاصة هذا السرد للوقائع أنه منذ البشة والوفود من أبناء المنطقة تدرى، وتبحث الخطى، مسراء كانوا أم شرداً أو جماعات، نحو الرسول ﷺ، تعلن إسلامها، وطاعتها، وانقيادها، ومن الوفود من ظل يحوار الرسول ﷺ، ومنهم من عاد لموطنه يدعو إلى الإسلام، حتى إذا كان فتح مكة عام ٨هـ، ومن ثم إسلام أهلها وأهل الطائف، إلا ودخلت جميع البرادي

^(١) وكان والياً للحسن بن علي، فاشهر المعروف بأبي تومر، و قيل : بل هو منهم وليس من سرائي الجراح الحكمي، انظر : شب عثمان و قحطان للسرد، ص ٢٩، و الحميرة، ص ٤٠٨، والأكساب للسعدي

٤٨١/٤، والنظر للطوي، ٥٥٧/٦، و ٥٥٩، و ٧٥-٢٠/٧.

^(٢) الطوي، ٢٥٩/٦، و ٢٧٧، والقبيلة والنهاية، ٤٦-٢/٩.

والأحواز المحيطة بهما ممن لم يكن أسلم منهم من قبل، دخلوا في حظيرة الإسلام جميعاً، وضمهم ترتيب إداري واحد، تحدث عنه في موضعه كما سبق أن قلنا. وننتقل الآن إلى منطقة بجران، نتعرف وقائع الأحداث فيها منذ ظهور الإسلام .

نجران :

اكتسبت نجران شهرة تاريخية بحادث الأحلود الذي ورد ذكره في القرآن الكريم^(١) وسبق أن تحدثنا عنه^(٢)، وحملت المنطقة اسم أحد أشهر أوديتها الستة وهو وادي نجران^(٣) الذي ينفقها من الشرق إلى الغرب، وتقع عليه أشهر بلدانها، والتي كانت ماعدتها في ذلك الوقت (نجران) وبحوارها بلدة (رعاش أو الحصن) موطن نصارى نجران فقد جاء ذكرها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى نصارى نجران، حيث قال: إلى أهالي رعاش كلهم...^(٤) وكانت محاطة بسور ميسج، ولذا كان يطلق عليها الحصن، وكان بداخلها مبنى الكيسة، وتلاحظ أنه يوم فتح مكة هرب إلى نجران كلا من هيرة بن أبي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبيري^(٥)، ولم

(١) سورة الفجر.

(٢) انظر ص ٥٢-٥٦، من هذا البحث.

(٣) في بلاد حيرة لواء حمرة، ص ١٦٧، وتقول كان هناك نهر يقال له : البهروان بيت عليه تلك الكيسة المشهورة، أو كما يقال حنها : كمة نجران، وأما بيت من قبة تتكون من ثلاثة جلد آدم، وأنه لم يكن يأتيها خائف إلا أمن، ولا جائع إلا شبع، وكان عبد المسيح بن فارس بن معلى، الملقب، يبنى من هذا شهر عشرة آلاف دينار كل عام، ولذا فقد كان شياً، ولم ينسب إلا إلى ترونها بريد بن عبد الملك، فورث هذا الخراء الأثافي، ١٣٥/١٠ وما بعدها.

(٤) كتاب الأموال لابن زهير، ٢٧٩/١، ومعجم ما استعجم للبكري، ٦٦٠/٢.

(٥) كان هيرة بن وهب متروجا من أم هانئ بنت أبي طالب، وأُخبت منه حطة وهانئ، وكان هو وابن الزبيري بهمران بهمرسا الرسول ﷺ، وللسلمين فأنابهم يوم الفتح، فلما حلما بذلك فرأ إلى نجران وحميان بهاء فحبب أم هانئ إلى هيرة كي يعود بعد أن استأنت له من النبي ﷺ، فلم يعد، ثم ما لبث أن مات ---

بأماننا من الخوف - كما يقول الوراقدي - حتى دحلا حصن بخران، فقبيل
لهما ما وراءهما؟ قالوا: أما غريش فقد قتلت، ودخل محمد مكة، ونحن
والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بنو الحارث بن كعب
يصلحون ما رث من حصنهم وجمعوا ما شئتهم في الحصن^(١) وكان يقيم
بمنطقة بخران في ذلك الوقت بطون من قبائل مختلفة منها:

- بطون من بنى الحارث بن كعب بن عمرو من مذحج وأشهرهم
بنو عبد المنان بن عمرو بن الديان، وكانت لبنى الحارث سطوة ومنا،
أصحاب زرع وتجارة، وكانت لهم مع غريمهم وقائع مشهورة لهم الغلبة في
معظمها ولذا فإن الرسول ﷺ سأل وفدهم حين قدم بإسلامهم: ثم كنتم
تغلبون من قبل من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: استحياء، لم تكن تغلب
أحدًا، قال: بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا: كنا يا رسول الله
بجتماع ولا تفرق، ولا نبداً أحدًا بظلم قال: صدقتم، وأمر عليهم فیس بن
الحصن ذی الفضة^(٢) وكان يقصدهم الشعراء فيمدحونهم لينالوا
جوائزهم، وقد مدحهم الأعشى قائلا:

== مفركا وأما ابن الأثير فيكتب له حسان بن ثابت شعرا يصفه فيه على اللوم، والوصول في الإسلام
ضاد، وأسلم، واستلزم للرسول عليه السلام، ولهم على ما كان منه بالهجرة، ص ١٦٥ وابن الأثير ٢/٢٥٠.

^(١) للهازي للوراقدي، ص ٨٤٧، والطبري ٣/١٣، وابن الأثير، ٢/٢٥٠، واليهجرة، ص ١٤١، ١٦٥.

^(٢) ص ٢٥٠، الفضة، لفظة كانت تعبره في حلقه حين يكتسب، وكان فارسا بن نوى للربيع، أي الذين كانوا
يأخذون ريع الغنمة التي يفتنها قومه في حروبهم مع غريمهم، حضرها أم لم يحضر هذا أنظر سورة زين هاشم
٢٤١/١.

فكعبة نجران حنم^(١) عليه لك حتى تناسي بأبراهيمها

نزور يزيد وعبد المسيح وقبلاً همو عمو أربابها

ونظراً لاعتهم هذه فلم يخضعوا لهيمنة أحد، والكعبة التي عنها الأعرشى هي البيعة أو الكنيسة التي بنوها في نجران^(٢)، وقيل لزيد بن الصمة وكان فارس هوازن، وله معهم وقائع مشهورة: أيهمو بنو الحارث ابن كعب من هذالك؟ وقد قتلوا أباك خالداً؟^(٣) فقال: إن القرم حمرة مذحج، وهم أكفاء حنم - أي قبيلة زيد - ولا يحمل بي حملاًهم، ولكنه لم يلبث أن عابهم بشعر، فرد عليه عبد الله بن السدان بشعر مماثل ليس فيه كثير عجب^(٤)، منهم الربيع بن زياد بن عبد اللذان وإلى خراسان عام ٥١ هجرية في عهد معاوية^(٥).

- بطن من بني يام بن أصبى بن رافع من حاشد من همدان وتفرعت منهم بطون عديدة، وكانوا يتصفون بالقوة والمنعة، وكان منهم رجال صانعون: كزيد بن الحارث الياصم، وابن عمه طلحة بن مطرف الذهلي الياصم، وكان أحدهما من شيعة علي بن أبي طالب، والثاني

(١) تاريخ ابن عسكون، ٥٧/٢، والأخاني، ١٣٥/١٠.

(٢) قيل إن الذي قطره من أجرة زيد هو عبد الله بن الصمة، وليس معلناً.

(٣) الأخاني، ١٥/٩، ١٦.

(٤) قصوى، ٢٨٥/٥.

عثمانيا من اتباع معاوية، وكانا يلتقيان فلم تحدث من أحدهما للأخر كلمة خشنة إلى أن ماتا^(١)

- قبيلة نهد بن زيد بن ليث، من قضاعة، وكان منهم حظظة بن نهد، الذي كان يعد من أشرف العرب في الجاهلية، وكانت له منزلة يعكاف في مواسم العرب، وكان يجاورهم في منازلهم بنجران بنو عمومته من حرم، ثم وقع بينهم خلاف وتباعد، فلحق نهد وحالفت بني الحارث، ونزحت حرم إلى زيد ببلادهم وحالفتهم، ثم ما لبث أن وقعت حرب بين بني الحارث بن كعب وبين زيد، وكانت الواقعة فيها على زيد، فعادت حرم مرة ثانية إلى بني عمومته نهد، وأقاموا معهم بنجران حتى ظهر الإسلام^(٢) وكانت مواطنهم بنجران تصل في جنوبها الغربي بأرض بني عقيل بن عامر، وأرض خثعم^(٣) بالقرب من تبالة، ومما لوحظ أنه في عمرة الحديبية عام ٦ هـ والرسول ﷺ مقيم على أبواب مكة، وقد منعته فريش من دخولها لأداء العمرة، والرسول تروح وتعود بينه وبين فريش، لقي بعض الصحابة جماعة من رعاة الشاة وأنعم، يسوقون قطعاً ضخماء، فاستوقفوهم وسألوهم من أين؟ قالوا: من بني نهد نستبيع مواقع الفيث نزعى الشاة والإبل، فاشتري منهم الصحابة بعض ما كان معهم من لبن وغيره، وأخبروا الرسول ﷺ بأمرهم، فأذن لأصحابه أن يأكلوا مما

(١) الممهرة، ص ٢٩٤.

(٢) معجم ما استعجم، للبكري ١/٣٢، ٤٣، ونسخة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الأثير) ١/١٢٠.

(٣) الأغاني، ١/١٤١.

اشترؤهم منهم^(١)، ونزحت منهم بطون عديدة إبان الفتوحات الإسلامية، واستوطنوا الشام والعراق، وخراسان، وإفريقيا، والأندلس، منهم قسورة ابن معلل النهدي ولى سجستان لبنى أمية، ومنهم المحدث عثمان النهدي، الذي أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره وأدى الزكاة لعماله ثلاث سنين ثم قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب وشهد الترمك، والقادية، وغيرها، وتوفي وعمره مئة وثلاثون عاماً^(٢).

أما بنو جرم فأقبل وقد منهم على رسول الله ﷺ بالمدينة عام ٩ هـ يتقدمه سلمة بن قيس الجرسي، والأصقع بن شريح الجرسي، وهوذة بن عمرو بن يزيد الجرسي، فأعلنوا إسلامهم، وإسلام من وراءهم من قورهم، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً على ما أسلموا عليه من أرضهم^(٣).

ونلاحظ أن الراوى عن وفد قبيلة جرهم يعطينا صورة واقعية عن بعض ما كان يدور في المنطقة إبان البعثة النبوية وعن مدى ارتباطها وتأثيرها بما يحدث وسط بلاد العرب، وبالأخص مكة المكرمة. يقول عمرو ابن سلمة بن قيس الجرسي: كنا بحضرة ماء يمر الناس عليه، وكنا نساظم: ما هنا الأمر الذي حدث في مكة؟ فيقولون: رجل زعم أنه نبي الله، وأن الله أرسله، وأن الله أوصى إليه كذا .. وكذا. ففعلت لا أسمع شيئاً مما

(١) المقاربي ص ٥٧٥، وقسوة محلية، ٧١٦/٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ٢١٢/٩، والبداهة، ص ٤٤٦-٤٤٧.

(٣) الطبقات لابن سعد، ٣٣٥/١، ٣٣٦.

يُتلونه من القرآن إلا حفظته، كأنما يُفَرِّق في صدرى بغراء حتى جمعت وحفظت قرآنا ككسوراء، وكانت العرب إذ ذاك تُعاب وتُلَوَّم لركبها حين آباؤها إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فيقولون: انتظروا فإن ظهر والتصر على قومه فهو صادق، وهو نبى، فلما جاؤنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبى بإسلام حين وعشورتنا مع رؤساء القبيلة، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه، قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقاً، إنه يأمركم بكذا .. وكذا، وينهاكم عن كذا .. وكذا، وأن تُصلُّوا كذا .. وكذا .. وليؤمكم أكثركم قرآناً. فظفروا فلم يجدوا أحداً أكثر قرآناً منى، للذى كنت أحفظه من الركبان العابرين بحيثما قدموني بين أيديهم فصليت بهم وأننا أصغرهم^(١)

وكانت أرض نهد وأرض جرم مجاورة لأرض بنى عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر، وذهب وفد عقيل بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وبعد إعلان إسلامهم، قدموا للرسول ﷺ ما ثبت أن هناك واد فى حوزتهم، وهو وادى المقيق، وكان به نخل ومياه، وقيل معدن، فكتبه الرسول ﷺ لهم فى كتابهم^(٢)، وكان هناك عقيق آخر، ماء لبنى جعدة وجرم، فخاصموا فيه إلى النبى ﷺ، مع بنى عقيل فقضى به لبنى جرم^(٣) وهو ماء

(١) الطبقات لابن سعد، ١/٣٣٧.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٦٣، وطبقات ابن سعد، ١/٣٠٢، ٣٠١.

(٣) معجم البلدان يافوت الحموى، ج ٤، ص ١٣٩، واللبصرة ص ٤٥١.

فى أرض بنى عامر، كما جاء فى الإصابة^(١) فقال أسماء بن رباب بن معاوية الجرمى، يخاطب عشيرته من جرم :

وإني أعز حرم كما قد علمتم إذا جمعت عند النبي الجامع

فإن أنتم لم تقصروا بقضائكم فإني بما قال النبي لقانع

كما كان بنجران بطن من شاكرا ومساها^(٢)، والذين تنصروا كانوا من أفراد هذا القبائل ومن غيرهم، كما كانت بها طائفة حربية تعمل فى صناعة الجلود، والنسيج وغيره مما اشتهرت به بنجران. ويسود أن معظم قبائل منطقة بنجران كانت تضمهم لحالفات فيما بينهم.

وكانت تربطهم بقرىش علاقات تجارية، بالإضافة إلى ترددهم على مكة فى مواسم الحج ممن لم يتنصروا منهم، وكانوا هم الأغلبية من أبناء المنطقة، أما الذين تنصروا فقد بلغهم خبر بعثة رسول الله ﷺ من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فالظاهر أنهم كانوا يهودون عليها لأنه تجمعهم ديانة واحدة، فقدم وفد منهم إلى مكة قبل الهجرة، وسألوا عن رسول الله ﷺ، فوجدوه جالسا حول الكعبة، فجلسوا إليه، وأخذوا يسألونه، ثم قرأ عليهم القرآن، فسألت أعينهم من الدمع، ويقال إنه نزل فى شأنهم قوله

(١) الإصابة: ج ١، ص ٤٣٩، ترجمة أسماء بن رباب، وفى نسخة البلبان أن قال هذا البيت هم معاوية بن عبد البرى بن فراع الجرمى، وإنما فى الإصابة أن قالهما هو أسماء بن رباب، بقاها بعد الراء.

(٢) المسمى، ص ٢٢٩.

تمالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) فقد عرفوا أنه الموصوف فى كتابهم، لكنهم قاموا وقالوا: ننظر ونرى، فلما قاموا من حول الرسول ﷺ إصغرتهم نقر من قريش، فقالوا لهم عبيكم الله من ركب، بشكم من وراءكم من أهل دينكم ترائدون الأصابع لهم، لتأتوهم أنفوس الرجال، فلم تطمئن بحالكم عنده حتى كدتم تفرقون دينكم، وتصدقوه فيما قال ١٩ لا نعظم ركبا أقل وأحق عقلا منكم. فقالوا لهم: لا يهاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أئتم عليه^(٢).

لكن للمرء أن يسأله إذا كان أصحمة ملك الحبشة قد تعاطف مع المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده، وحماهم من قريش عندما بحثت تطلب ردهم إليها فامتنع، وازداد عطفه عليهم، وفى بعض الروايات يقال إنه أسلم^(٣)، أفلم يكن من الأول بنصارى مجران أن يبيعوا الرسول ويدخلوا فى حظيرة الإسلام؟ خاصة وأن النبي الذى يتفقرونه جاء من بين العرب وأن غالبيتهم عرب مثله. أمضى بهم أن يدعموه، ويسارعوا فى تأييد ما جاء به، لكن يبدو أن الرهبانية قد فعلت فعلها فيهم، ورائت على أبصارهم غشاوة العصبية لعقيدتهم^(٤) أو عثروا على مناصبهم مثل غيرهم

^(١) سورة التوبة، آية ٨٣.

^(٢) سورة الحاقة، ٣٨/٢.

^(٣) ابن الأثير، ٢١٢/٢.

^(٤) تاج المروسى للزبيدي، يقول أنه كان بالهبة (الكنيسة) أساقفة متبرون، أى تهربوا، ٦٥٥/٢.

ممن لم يسلموا لهذا السبب.. لكن الحقيقة أنه أسلم منهم أناس، وحتى الذين لم يسلموا ظلوا مرادعين ومسلمين، ولم ينصرفوا غالباً - في تيار النزاع بين المسلمين وعصوميه كما فعل اليهود من بنى قينقاع، وبني النضير، وقريظة، وخيبر. ولذا نلاحظ أن جيوش المسلمين التي وجهت إلى المنطقة لم ترغمهم على الدخول في الإسلام، مثلما أرغمت القبائل جرانيهم التي تدين بالوثنية على الدخول في الإسلام، وإنما حورتهم بين الإسلام، أو دفع الجزية إن استمروا على نصرانيتهم، وهو مبدأ إسلامي في غاية العدل والإنصاف بالنسبة لمعاملة أهل الكتاب بصفة عامة، ثم وقد منهم وفد على النبي ﷺ، بالمدينة في السنة العاشرة من الهجرة. وقيل كان لهم فيما بعد إتصال بالأسود العنسي^(١)

واختلف في عدد الوفد^(٢) ولما قدموا المدينة، دخلوا المسجد وجلسوا إلى الرسول ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا:

قد كنا مسلمين قبلك، فقال لهم: كلنتم، بكنتمكم من الإسلام ثلاث: عبادة الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن الله ولد.

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الفزاري، ص ١٦٣، طبعة قطر.

(٢) فمن قال لهم كانوا أربعة عشر، فطوائف لابن سعد ١/٣٥٧، ومن قال لهم كانوا سبعين، فسيرة الخليفة، ٢٣٥/٢، ٢٣٦.

وجلسوا يصاورون الرسول، حتى هُتِمَ عباثتهم، ففراجعوا وطلبوا
 للمراعاة والمصلح، فصالحهم، وكتب لهم بذلك كتابا للمصلح جاء فيه :
 عليهم دفع جزية ألفى حلة منها ألف تنفع في رجب، وألف في صفر^(١)،
 وكل حلة أوقية (أى قيمتها أوقية من فضة)، وعليهم مشواة (أى ضيافة)
 رسلى عشرين يوما فلتكون ذلك، وعليهم عارية^٢ ثلاثون درعاً، وثلاثون
 فرساً، وثلاثون بعيراً، إذا كان باليمن كيد (للمسلمين) وما هلك مما
 أماروا رسلى من دروع، أو غيل أو ركاب فهو ضمان على رسلى حتى
 يودوه إليهم ولنجحان (أى النعمان منهم) وحافسيتهم جوار الله، وذمة
 محمد النبى ﷺ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، ورجالهم
 وشاهدهم، ويجمعهم وصلواتهم، لا يُغَيَّرُ أسقف عن أسقفته، ولا راهباً عن
 رهبانته، ولا واقفاً عن وقفانته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير
 ليس ربا (أى لا يتعاملوا بالربا) ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقاً
 فيبنيهم النصف، غير ظالمين، ولا مظلومين لنجحان، ومن أكل ربا من ذى
 قبل، فلعنتى منه بريئة.

وشهد على هذه الصحيفة كل من أبى سفيان بن حرب وغيلان بن
 عمرو، ومالك بن عوف النصرى، والأقرع بن حابس، والمستورد بن

(١) من كل حاتم : أى بالغ، حلة واحدة فى العام كما هو الشأن فى معاملة أهل القلعة بالشامق الأخرى كالبصرة،
 ومكان والبحرين.

عمر، والمشيورة بن شعبة، وعامر مول أبي بكر الصديق^(١)، وكان وفدهم يتقدمه من رؤساء نصارى بخران كسل من الهاقب، وهو عبدالمسيح بن دارس بن عربي بن مغير، من كشيعة، وكان يحضر أميرهم ومصاحب مشورتهم وكذلك السيد أبو الحارث بن علقمة، قيل إنه من بكر وال^(٢) وهو أسقفهم وحبرهم، وأخوه كرز بن علقمة، وبشير بن معاوية بن علقمة النحراني وغيرهم، وكانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ قبل عودتهم أن يبعث معهم رجلا أمينا يحكم بينهم في بعض الأمور، ويقض الجزية، ومن ثم يعود. فقال لهم: سأبعث معكم أمينا، أي أمين؟ ونادى أبا عبيدة بن الجراح وقال لهم: هذا أمين هذه الأمة، ثم لحقهم أبو عبيدة بعد رحيلهم^(٣)، فكان هو أول من قبض الجزية من نصارى بخران.

وفي طريق عودتهم كان الأسقف أبو الحارث يركب دابة فحشرت به فذكر أخوه بشير - الذي كان يسير على مقربة منه - النبي ﷺ بمسوء وهو يزرع الدابة، فزجره أخوه الأسقف قائلا: لقد ذكرت نبيا مرسلا بمسوء، فقال بشير في عجب: لا حرم، والله لا أحمل عن طائفي حتى ألحق به، وأتبعه، ثم ضرب وجه دابته نحو المدينة فأسلم، وظل ملازما للرسول

(١) الطبقات لابن سعد ٢/٢٨٨، ٣٥٧، والطبقات ٣/١٢٩، وابن الأثير ٢/٢٩٣، وقسوة الحلية ٢/٢٣٥-٢٣٦، وكتاب "الأكرال" لعبد بن زعوية ٢/٤٤٩، والأمم والذين لابن سلام ٣/٣٩، ولبنيهاة ولبنيهاة لابن كثير ٦٠/٦٥.

(٢) تاريخ بن عسكوت ٥٧/٢، وفيه: أبو حارثة، بدلا من أبي الحارث.

(٣) الإصابة لابن حجر ٢/٢٥٢، ترجمة أبي عبيدة، وقيل: ذهب مع وفد غير نصارى بخران، والظاهر: فذهب في أنساب القرشيين لمؤلف الذين بن كشيعة، من ٤٤٦، وسيرة ابن هشام ٢/٢١٩، والوفاء للإمامة ٢/٣٩٢.

ﷺ بالمدينة، يجاهد حتى استشهد في أحد المعارك^(١) وما أن استقر الوفد بنجران قليلاً، حتى عاد العاقب عبدالمسيح، والأسقف أبو حنث إلى المدينة، فأسلما وحسن إسلامهما^(٢) وعادا إلى موطنهما نجران ليكرنا ضمن الدعوة إلى الإسلام.

ثم أقام نصارى نجران على ما كتب لهم به النسي ﷺ حتى قبضه الله، ولما ولي أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - جدد لهم عهدهم، وفي بداية عهد عمر رضي الله عنه، أصابوا رباء، وكان في عهدهم شرط ألا يأكلوا الرباء، فأجلاهم عمر عن نجران^(٣)، وقيل كانوا قد تكاثروا وتحاسدوا فيما بينهم، فأتوا عمر بن الخطاب وطلبوا منه أن يجلبهم عن نجران إلى موقع آخر، وكان عمر قد خافهم على المسلمين بالمنطقة، فافتتمها فرصة وأجلاهم، أو وافق على إجلاهم، ولكنهم ما لبثوا أن نلموا وأرادوا أن يرحلوا، وأتوا عمر يطلبون منه أن يستقبلهم من طلبهم الجلاء فأبى عمر^(٤)، وقيل أخرجهم لخديث روى عن رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه أنه قال : لن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلماً، وفي رواية : لأخرجن

^(١) طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٢١٥/١.

^(٢) طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٤، ١٩٢/٢. وابن خلدون، ٥٧/٢.

^(٣) السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٤/٢.

^(٤) ابن الأثير، ٣٥٨/١، وكتاب "الأموال" لحمد بن زهير، ٢٧٦/١.

اليهود، والنصارى من الحجاز، وفي رواية أخرى : لا يجتمع فيه دينان^(١)، ويقول البعض إن مقعد الرسول ﷺ إخراجهم من الحجاز بدليل الرواية التي تنص على ذلك، وليس من جميع بلاد العرب، ولذا فإن عمر أجلاهم عن الحجاز فقط، فأحلى بقية اليهود الذين كانوا بخيبر، وفدك، و النصارى من بجران لأن بجران تعد آخر مناطق الحجاز ولم يجلهم عن تيماء، وهي من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، ولم يجل آخرين في مناطق أخرى من بلاد العرب^(٢)، وقد جرت مناقشات في القرن الثاني عشر الهجري بين فقهاء الزيدية حول مسألة إقامة اليهود في اليمن، وكان من رأى بعضهم أن قول الرسول ﷺ لا يمسرى على اليمن^(٣)، ولعل هذا يؤكد ما سبق أن قلناه عن بجران من كونها مرتبطة بالحجاز وجزء منه.

وقد كتب لهم عمر كتابا عند خلافتهم يوصى بهم من نزلوا لديه من أمراء الشام والعراق، وفي المكان الذي يودون النزول فيه، وأن يسعوا عليهم الأرض التي يريدونها وكان قد عوضهم أثمان أرضهم ويوتهم وكل ما تركوه، وما لم يستطعوا حمله معهم^(٤)، وهذا يعني أن بلادهم وأرضهم التي عوضهم عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أصبحت ملكا

(١) أنظر : أبو جود، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وكتاب الأسرار لابن سلام، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) أنظر : السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٦٧، ١٦٨، وابن الأثير ٢/٢٩٢.

(٣) كتاب اليمن قبل الإسلام، م.ب. يوزوفسكي، ترجمة الشيبلي، ص ٢٤١.

(٤) كتاب الأسرار للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، والسيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبقات لابن سعد ١/٣٥٨.

للدولة يستثمرها لصالح الدولة، كما استثمرت أراضي بنى لنقاع والنضير، وقرىظة، ثم عجير فى عهد الرسول ﷺ .

وعلى كل فإن هذا هو موقف نصارى بجران، أما موقف القبائل أو بالأحرى موقف أهل الحضر والبادية وهم الغالبية الغالبة نى بجران فقد كان للإسلام معهم موقف آخر، أى لا صلح ولا دفع حزية كالنصارى أو اليهود، وإنما كانوا مثل بقية العرب، فى بلاد العرب خاصة، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ودعونا ننظر تتابع الأحداث وترايعها فى خلال فترة تكوين الدولة فى عهد الرسول ﷺ.

كان بنو الحارث بن كعب لهم صولة ومنعة فى الجاهلية، ودخلوا فى تحالفات مع القبائل الأخرى بجران، كبنى نهد وجرم^(١)، وغيرهم، فاردادوا بذلك قوة ومنعة، وربما يكون إحساسهم بقوتهم دفعهم إلى التباطؤ فى الدخول إلى الإسلام، وليس مثل القبائل المجاورة لهم فى الشمال الغربى، خثعم، والأزد، ومجيلة، وغيرها، فقد كانت هيار بنى نهد ويام، وجرم، وهى قبائل معظمها بجرانية تجاور ديار خثعم، وغيرها فى الجنوب من بيضة وتباله^(٢)، وهذه أسلمت، وتباطأ بنو الحارث بن كعب ومن

(١) الطبقات لابن سعد، ٢٦٨/١، وابن الأثير ٦٣٣/١، والبيان والنهاية لابن كثير ١١٠/٥-١١٢. وأيضاً معجم المستعرب للبكري ٤٣/١، ونزحت بطون عديدة من نهد خلال الفتوحات.

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٥٣، ٣٥٢. سافر فيه أيام وطن بجران، يتردد ويتابع منها ناحية الحجاز إلى حدود زيد ونهد من ناحية حارة، وملاج، وسمان، قبل ما يصل إلى عليف دكم من أهل حرنة.

حالفهم بنجران، مما دعا الرسول ﷺ إلى أن يبحث لهم خالد بن الوليد يتوود أربعمائة من للمسلمين إليهم فى شهر ربيع الأول عام ١٠هـ^(١)

وأمر الرسول ﷺ خالدا، إذا نزل بساحتهم أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، قبل أن يقاتلهم، فإن استجابوا للإسلام قبله منهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم بلادهم فبث الركبان يضربون فى كل وجه، يدعوون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وستة نبيه ﷺ وبذلك دخل أهل بجران جميعا فى الإسلام، حاضرتهم، وباديتهم، - فيما عدا أهل الذمة، النصرى - وكتب خالد بذلك للرسول ﷺ يعلمه بإسلامهم وطاعتهم، فكتب له الرسول ﷺ أن يقبل إلى المدينة، وليقبل معه وفدهم^(٢) وكان خالد خلال إقامته بنجران يعلم أهلها الدين ويفقههم هو ومن معه من الصحابة بأمر الإسلام، وكان يث الركبان والذهاة إلى القبائل اليمنية المجاورة، وبالأخص قبيلة ملحج، التى كانت تقيم فيما بين معدة ومنعاء فى الجنوب الشرقى من تلك المنطقة، وملحج يطون وأقحاذ عديدة، منهم من كان أسلم ومنهم من هو متباعظ، فبعث إليهم خالد الذهاة فلم يستجيبوا، ويسلو أنه أفاد

^(١) طبقات ابن سعد، ٣٣٩/١، وقيل ذهب إليهم فى جمادى الأولى، سورة ابن هشام، ٢٣٩/٤، ويقول علق مسودة ابن هشام فى تعليقه على بجران: إنها بلد بن اليمن وهجر. أى أنها ليست من اليمن.

^(٢) سورة ابن هشام، ٢٣٩/٤، والطبقات، ٣٣٩/١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، وقطرى، ١٢٩/٣، وبيعة المحافل وبيعة الأمثال، لابن عيسى العامرى، ٧٦، ٧٥/٢، وقيلغيا والنهاية ١١١/٥.

الرسول ﷺ عرّف هؤلاء المتباطلين، لكى يأخذ له يقتلهم .. لأن مهمته التى حددتها له الرسول ﷺ، هى قتال يجران، ولأن خالد استمر بجحران حوالى ستة أشهر، فإن الرسول ﷺ، أراد أن يوكل مهمة قتال مذحج وغيرها من القبائل التى لم تسلم بعد بأرض اليمن إلى قائد آخر غير الذى طالبت غيبتها، فأوكل تلك المهمة إلى علي بن أبى طالب بدلا من خالد وطلب من خالد أن يقدم يوفد من أهل جحران الذين أسلموا، وكانت تعليمات الرسول، إلى علي بن أبى طالب أن ينهب أولا إلى جحران ليقابل خالد ويقبض منه خمس ما معه من الغنائم، وما يقبضه من زكاة ممن أسلموا أو حرية من النصارى، وأن يحرق جند خالد فى البقاء معه أو العودة مع خالد، ومن أراد منهم الإستمرار فى الجهاد فيضم إلى من معه من جند، وكان مع عليّ حين خرج من المدينة ثلاثمائة جندي^(١) كما كان ضمن التوجيهات النبوية لعليّ ألا يقتلهم إذا نزل بساحتهم حتى يسألوه، فإن قاتلوه فلا يقتلهم حتى يقتلوا منه قتيلا، وأن يبدأ بدعوتهم إلى الإسلام وأن يحرض على إسلامهم دون قتال، وقال له: لأن يهدي الله على يدك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت^(٢) فانطلق إليهم علي بن أبى طالب وكما يقول أهل السير والمغازى، كانت غيابه أول عيل دخلت تلك البلاد ... أى أرض اليمن ... وبدأتها أرض مذحج^(٣) بين

^(١) نسخة الخليل وخية الأمان، لابن عيسى العامري، ٧٨/٢، وسيرة ابن هشام، ٢٠١/٤-٢٠٥.

^(٢) المغازى للواقدي، ص ١٧٠٩، والطبقات لابن سعد، ١٦٩/١.

^(٣) أنظر لسيرة الخليل ٢٢٤/٣، والمغازى للواقدي، ص ١٠٧٩، وطبقات ابن سعد، ١٦٩/٢.

صعدة وصنعاء المجاورة لنجران ويقول البراء بن عازب، وكان ممن عَقِبَ مع علي، أي انتقل من جيش خالد إلى جيش علي، أي أنه كان قبلُ في نجران يقول: فلما انتهينا إلى لوائيل اليمس بأرض مذحج^(١)، وهذا قول صريح في أن أرض مذحج هي أول اليمن وليس قبلها شيء .. وكان هذا الجيش هو الجيش الوحيد الذي دخل أرض اليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، وقد حدثت معه بعض مناوشات يسيرة من بعض مذحج، ثم أسلموا، فتقدم إلى أرض همدان فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وكانت بطون من همدان ومذحج وغيرهم أسلموا قبل ذلك. فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ^(٢) ثم وافى رسول الله بمكة في حجة الوداع ليوذي معه الفريضة، وخلف على الجيش أحد القواد وهو عائد، أما خالد بن الوليد فقد عاد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب، منتصف شوال عام ١٠ هـ، وكان الوفد يتقدمه كل من: قيس بن الحصين ذي الفُصّة، وكان من ذوى الشأن والمكانة، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب وقف يوماً يخطب للناس في خلافته، وتحدث عن موضوع تحديد الصداق - أي تحديد مهر النساء - فقال في حديثه: لا تردد امرأة في صلتها عن كذا .. وكذا .. ونحو

^(١) الطبري، ١٣١/٣، وتاريخ ابن عسكون، ٥٥/٦، وفيه فلما بلغ علي بن أبي طالب لوائيل اليمس (هكذا)، وانتظر

أيضا لما جرى للولدي ص ١٠٧٩، والطبقات لابن سعد، ١٦٩/٦.

^(٢) ابن الأثير، ٣٠٠/٢، والطبري، ١٤٨/٣، والسيرة الجديدة، ٢٢٤/٣.

كانت بنت ذى القصة^(١)، كما كان ضمن الوفد يزيد بن عبد المطلب، وكان بنو عبد المطلب هم أولو الأمر فى بنى الحارث بن كعب بنجران فى ذلك الوقت، ومن الوفد أيضا أخوه يزيد بن عبد المطلب، يزيد بن الحنظل، وعبد الله بن قرداد الزيدى، وشداد بن عبد الله الضبابى وعمرو بن هبيل الله الضبابى، وعند قلوبهم الملبسة أنزلهم خالد بن الوليد لديه حتى استراحوا وأصلحوا من هذامهم، ثم صحبهم إلى رسول الله ﷺ فسلموا وأعلنوا إسلامهم ومبايعتهم، تقول بعض الروايات إن الرسول قال لهم بعد أن سلموا، أنتم الذين إذا زُجِرُوا استَقْبَلُوا، قالوا لم على سبيل التقرُّيح لئلا يظنهم فى الانضمام إلى الإسلام حتى وطأهم الحنظل^(٢)، ثم أخذ الرسول ﷺ يتحدث معهم عن حروبهم فى الجاهلية، وكيف كانوا يغلبون على من حاربهم، وهو دليل على قوة بأسهم فى الجاهلية، وكانوا قبيل الإسلام وقعت بينهم وبين كلفة حرب أسروا خلالها الأشعث بن قيس الكندى. فاختلى بثلاثة آلاف بعير، وكانت تعد أكبر فدية دفعت لعربى حتى ذلك الوقت^(٣)، وبعد أن أكرمهم الرسول ﷺ وأهداهم كما يهدى الوفود، أمر عليهم قيس بن الحصين وعادوا إلى نجران أو آخر شوال عام ١٠ هـ، ثم بعث الرسول ﷺ خلفهم عمرو بن حزم الأنصارى ليفقههم فى الدين

(١) أنظر : بهجة الخافض وبهجة الأمثال، لأبى بكر العائلى، ٧٥/٢، وتظهر أن جملة عمر هذه هى نفس امروئت فيها المرأة القرشية على قوله فى تحديد للهور، مستقلة بكتاب الله، مما جعل عمر يقول: أمسايت امرأة وأعطيت عمر، أو قال : كل نفس أفتت منك يا عمر، أنظر كتاب "مناقب أمير المؤمنين عمر لابن الجوزى" ص ١٤٩.

(٢) سورة ابن هشام ٢٢٩/٤-٢٤١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، وبهجة الخافض، ص ٧٦.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ١٢٦.

ويأخذ منهم صدقاتهم وزكاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهداً وأمره فيه بأمره، ويقول عنه بن خلدون: إنه كتاب وقع في السرور مروباً واعتمله الفقهاء في الاستدلالات، وفيه أسس كثير من الأحكام الفقهية^(١)، وكان قيس بن الحصين يعتبر أميراً على بني الحارث بن كعب فقط، ويبدو أنه كان لكل قبيلة أمير، والجميع يخضعون لرئاسة عمرو بن حزم لأن هذا هو الملاحظ في المناطق الأخرى.

المهم أن عمرو بن حزم استمر ولياً على منطقة بجران بكاملها في عهد الرسول ﷺ مع أنه كان يقدم إليها بعض الصحابة، إما لحمل باقي الصدقة إلى المدينة، أو لتعليم الناس أمور دينهم، ثم يعودون عند انتهاء مهمتهم إلى المدينة مثل أبي سفيان بن حرب الذي أرسله النبي ﷺ ليفقهه الناس في أمور دينهم ويؤمهم في الصلاة، وراشد بن عبد ربه السلمى للنظر في قضايا الناس، وقال شعرا وهو بنجران جاء فيه^(٢):

صباح القلب من سلمى وأقصر شأنه وردت عليه ما نفتته فمأخوذ
فألقت عصاها واستقر بها النسوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(١) تاريخ بن خلدون، ٥٣/٢، ٥٤، وبعثة الخليل، ٧٦/٢، والوثائق الإدارية للكتابي، ١/١٦٨، وسيرة ابن هشام، ١٩٠/٤، ٢٤١، وجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، للدكتور محمد حميد الله، ص ٢٧٢.

(٢) الفتوح الفرید لابن خلدون، ٥١/٢، ونسب ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٩/١٠، البيت الثاني للـ معتر بن أوس الباري، وقيل: إن أبا سفيان بن حرب أرسل أميراً على بجران في عهد أبي بكر الصديق.

ويبدو أن القبائل في المنطقة كانت بحاجة إلى من يساعد عمرو بن حزم الأنصاري في بداية عمله، وبعد أن استقرت الأمور، عاد أبو سفهان وابن السلمي إلى المدينة، وبقي ابن حزم وهو الوالي المقيم بالمنطقة، واستمر كذلك حتى فتنة العنسي، ثم ذهب إلى المدينة عند وفاة الرسول ثم ذهب إلى العراق حين اقتضت الظروف، والتوسع في الفتوحات تراجعه في تلك الميادين فاستدعاه أبو بكر الصديق للنهاب مندبا لخالد بن الوليد، وكان قد خلفه والياً على بخران، جرير بن عبد الله البجلي، ولما استدعي أيضا إلى العراق خلفه عسى ولاية بخران يعلى بن أمية^(١) الذي أشرف على إجلاء نصاري بخران، يأمر من عمر^(٢)، وقيل: ذهب عمرو بن حزم إلى العراق أوامر عهد أبو بكر، وبقي مع المنسي بن حارثة عندما تركهم خالد واتجه إلى الشام^(٣).

ومن ينسب إلى بخران المنسي هي من أعمال مكة، كما يقول اليربوعي: بشر بن واقع النجرائي، أبو الأسباط، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، قيل يوم الحرة، لأنه ولد بها في حياة الرسول ﷺ وقت أن كان أبوه والياً عليها، وعبيدة بن العباس بن الربيع النجرائي^(٤).

(١) يعلى بن أمية: هو يعلى بن أمية بن أبي حبيشة بن حمام بن الحارث، الحنظلي، القنسي، نسب أحيانا إلى أمية: مليه بنت جابر، عمه حبة بن قزوان بن عمار لثاوي، الذي احتضن البصرة، وقيل: أخت حبة، وقد نسب إليها يعلى، قيل بن مية، وهو صحابي جليل، له دور بارز في حروب الردة بالمنطقة، بالمهمرة ص ٢١٣، ٢٢٩، وابن الأثير، ٤٠/٢.

(٢) كتاب "الأموال" لحمد بن زهير، ٢٧٩/١.

(٣) الأمير الطوال للديوري، ص ١١٢.

(٤) تاج المروس لليربوعي، ٥٥٦/٢.

ويتضح من هذا العرض أن نصارى بخران أسلم بعضهم وأقام البعض الآخر على نصرانيته، وأعطى لهم الرسول ﷺ عهداً لأمانهم في ظل الإسلام بشروط نص عليها في العهد مقابل دفع جزية، أما القبائل العربية في بخران، وهم الغالية فأسلم بعضها مبكراً، وأسلم الباقي منهم على يد عwald بن الوليد، ثم أقام بينهم فترة يفقههم في أمر الدين، وفي الوقت نفسه بث الدعاة والركبان إلى القبائل المجاورة من بطون ملحق بأرض اليمن. ولما كانت مهمته هي بخران فقط، فقد أرسل الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب إلى أرض اليمن، فبدأ يبطون ملحق، وكسنت عيله أول خيل وطقت أرض اليمن كما يقول المؤرخون.

٣- موقف الملوك والحكام من الإسلام :

عند ظهور الإسلام كانت هناك قوتان عظيمتان تحيطان ببلاد العرب أو بالأحرى بوسط شبه الجزيرة العربية من الشمال، هما دولة الروم البيزنطية، ودولة الفرس الساسانية، وقد استحكمت التنافس والصراع بينهما وتوزعت هيمنتها على كثير من الأمم والشعوب، حيث نجد أن الحيشة كانت تربطها بدولة الروم التوافق في العقيدة، وما يتبع ذلك من الأمور الاقتصادية والسياسية، كما كانت تخضع للروم وتسلم بلوازمها كل الممالك والإمارات التي كانت تخضع للشام وفلسطين ومصر وغيرها حيث كانت شعوبهم تدين بالنصرانية.

أما دولة الفرس الساسانية فقد امتدت رقعتها إلى كثير من شعوب شرق آسيا كما امتد نفوذها إلى جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أن استعان بهم سيف بن ذي يزن الحميري عام ٥٧٥م لطرد الحيشة من اليمن^(١)، واستمر نفوذهم فيها حتى ظهور الإسلام.

ولأن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة عامة للناس كافة وليست مقصورة على العرب وحدهم أو الجزيرة العربية دون سواها فقد كان من كمالات الرسالة أن يبلغها لسرؤوس الأشهاد، عربهم وعجمهم، حتى لا

^(١) القيس المضروب، ص ٤٠٨.

يكون للناس على الله حجة بعد البلاغ، ومقتضيات التبليغ.. ولأن رؤوس القوم وسرورات الرجال، هم الرعاة والحكام وأولو البأس والرأى فيهم، فقد بعث الرسول ﷺ كتاباً إلى هؤلاء حَمَلُهم فيها تِمة عدم إسلامهم وعدم إسلام رعاياهم، لأنهم تبعاً لهم قبولاً أو رفضاً، وكما يقال : الناس على دين ملوكهم، أى تابعون لهم فيما يدينون به، وفى كل ما يفعلونه.

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة من الحديبية عام ٦ هـ بعد عقد هدنة مع قريش لعشر سنوات، ونهيات الأسباب لمخاطبة هؤلاء الملوك والحكام وإبلاغهم ما أمره الله بإبلاغه. اختار ستة من أصحابه كل منهم يتكلم لغة القوم الذين بعث إليهم، ويخرجوا من المدينة فى وقت واحد أوائل العام السابغ المجرى، وقيل يومها للرسول ﷺ إن الملوك لا تقرأ كتاباً إلا إذا كان عتوماً فاتخذ عاتماً منذ ذلك اليوم^(١) يوقع به على كافة مكاتباته.

خرج عمرو بن أمية الضمرى حاملاً كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة، وكان يسلمون المهاجرون ما زالوا هناك، جعفر بن أبى طالب ومن كان معه من المهاجرين، فيقال: إن النجاشى عندما قرأ الكتاب أسلم وبعث بإسلامه مع جعفر وعمرو بن أمية الضمرى، وبقيّة المهاجرين الذين عادوا من الحبشة، ووافوا الرسول ﷺ بخير، هم وفد الأشعرين والدوميين فقسم لهم أسهما من مخام

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٥٨/١، والسيرة الحلبية ٣/٢٨١، والطبرى ٢/٦٥٢، وثلثه لابن خلدون ص ٢٢٠.

خير^(١)، وقيل لم يسلم النجاشي^(٢)، وعلى كل فإن موقفه يعتبر موقف المسالم
الموادع، ولذا نلاحظ أنه لم توجه له الجيوش مثلما وجهت إلى الروم والفرس.

وخرج حجة بن خليفة الكلبي يحمل كتابا إلى قيصر الروم، وكان
على مقربة من مدينة حمص بالشام، لأنه كان قد نذر إن نصره الله على
الفرس، الذين كانوا يحتلون جزءا من بلاده، أن يمشى حافي القدمين من
القسطنطينية عاصمة ملكه إلى بيت المقدس بفلسطين، فكان وقتها ينفذ
نذره، وشاح خبر مسيوه ذاك، فأمر الرسول ﷺ حجة أن يرفع الكتاب إلى
حاكم بصرى، وهو بدوره يرفعه إلى قيصر، فنفعه إليه وهو بمحمص فقرأه
قيصر واستدعى حجة وجعل يسأله عن أشياء من أسرار الإسلام، ومن
خصائص الرسول ﷺ. ثم بعث من يبحثون في بلاده عن أحد من العرب
فجاءوه بأبي سفيان بن حرب، وكان في بحارة بالشام، ولم يكن أبو
سفيان قد أسلم بعد فجعل قيصر يسأل وأبو سفيان يجيب، ويصدق فيما
يقول، غافلة أن يتهم بالكذب أمام قيصر .. ثم سأل بطارقة الروم وغيرهم
حتى يثق من نبرة الرسول محمد ﷺ ولكنه عاف إن أظهر إسلامه ألا

(١) طبقات ابن سعد، ٢٥٨/١، ٢٥٩، والسيرة الحلبية، ٢٩٢/٣-٢٩٥.

(٢) السيرة الحلبية، ٢٩٤/٣، قتلا عن ابن حزم، وانظر أيضا الملعب الثانية ١٤١/٢، وفيه أن النجاشي الذي هاجر
في عهد المسلمين إلى الحبشة (وهو أسحمة) هو الذي أسلم، وبعث - بإسلامه إلى الرسول ﷺ وهو الذي
زوجه أم المؤمنين حبة بنت أبي سفيان، وصلى عليه الرسول ﷺ عند وفاته، أما الذي بعث إليه عمرو
الضمري فلم يسلم.

يتبعه رؤساء الروم، وأن يخلعوه فسأثر ملكه على الإسلام^(١)، فضاغ منه ملكه الذى استأثر به، ثم ما فتئ أن انضوى ملكه تحت راية الإسلام.

وانطلق حاطب بن أبى بلتعة اللخمي حاملا كتابا إلى المقوقس عظيم القبط عصره، وكان يقسم فى ذلك الوقت بالأسكندرية، ويوجد حاكم عسكري روماني يقيم بالقاهرة، بالحصن الذى اقتحمه عمرو بن العاص عند فتحه مصر، فكان بها حاكم للأمور الدينية وآخر عسكري، ومتولى الأمور الدينية أولى بالخطابة فى مثل تلك الأمور، وقد تسلم المقوقس الخطاب وقرأه، وأكرم حاطب، ثم بعث معه يهدية إلى رسول الله ﷺ وجاريين إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ولما عاد حاطب وأخبر الرسول ﷺ بما فعل معه المقوقس، قال الرسول ﷺ حسن الخبيث ملكه، ولا يقاء لملكه^(٢)، وقد كان.

وحمل عبدا لله بن حذافة السهمي خطابها إلى كسرى يدعو فيه إلى الإسلام فلما قرئ عليه أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مرق ملكه ١. ثم إن كسرى كتب إلى بساذن حامله على اليمس أن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتاني بخبره، فبعث بساذن كاتبه (قهرمانه) بابويه، ورجلا من الفرس يقال له: خرخرسة.

^(١) ابن الأثير، ٢١١/٢، والسيرة الخليفة، ٢٨٣/٣-٢٩١، ويطهرى، ٦٤٥/٢، والبلدانية والنهاية لابن كثير ٢٩٢/٢-٢٩٨، وابن خلدون، ٣٦/٢.

^(٢) طبقات ابن سعد، ٦٦٠/١ وابن الأثير، ٢١١/٢، والسيرة الخليفة، ٢٩٥/٢-٣٠٠، والبلدانية والنهاية لابن كثير، ٢٠٣/٤، وفيه أن اسمه: حرج بن ميناء وكان من أهل مصر الأقطاط. وانتظر أيضا لقرايب اللدنية ١٤٣/٢.

وكتب معهما كتابا، ولوحى كاتبه بأن يراقب أحول الرسول ﷺ وأقواله ويتحرى مدى صدقه ويخبره بذلك عند عودته، فلما قدم المدينة قابل الرسول ﷺ ثم طلب منهما الذهاب والعودة إليه غداً، فلما كان في الغد دعهما وأخبرهما بأن الأخير أتاه من السماء، بأن الله سلط عليه ابنه فقتله في يوم كذا.. وساعة كذا.. من شهر كذا.. وقال لهما ارجعا إلى من أرسلكما وأخبراه بذلك، وإني أدعوكما وأدعوه إلى الإسلام فلما عادا إلى اليمن وأخبرا باذان بذلك، إذا باليريد يأتي من مارس إلى اليمن يحمل كتاباً من شرويه بن كسرى إلى باذان يفيد فيه بأنه قتل أباه لسوء سلوكه، ويطلب منه أن يأخذ البيعة بالولاء والطاعة له ممن لديه من أبناء فارس. فعرف باذان عندئذ صدق الرسول ﷺ، فبعث بإسلامه إلى الرسول ﷺ هو ومعاونوه من أبناء الفرس^(١)، وقيل أن حادثة مقتل شرويه لأبيه أبريز، كانت في العام التاسع الهجري في نفس الوقت الذي حده من قبل رسول الله ﷺ وعنها أسلم باذان^(٢)، وعلى هذا يكون إسلام باذان أم في العام التاسع وليس في السابع الهجري، وعندما بعث باذان بإسلامه إلى الرسول ﷺ أقره الرسول ﷺ على الولاية باليمن جميعها كما كان.

وخرج شجاع بن وهب الأسدي يحمل كتاباً إلى الحارث بن أبي ضرر الغساني، فأتاه بغوطة دمشق، وهو مشغول بالإعداد لاستقبال قيصر

(١) تاريخ الطبري، ٦٥٤/٢، وابن الأثير، ٢١٣/٢، والسيرة الحلبية، ٢٩١/٣، والبلدية والنهاية، ٢٩٩/٤-٣٠٢.

وطبقات ابن سعد، ٢٥٩/١، وتاريخ ابن خلوف، ٣٩/٢.

(٢) الأعيان الطوال للديوري، ص ١٠٧.

الروم في مسوره من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فقد كان أحد ملوك العرب الخاضعين لنفوذ الروم، فلما قرأ الكتاب، أخذته حية الجاهلية، وتوعد بإرسال جيش إلى المدينة، وأمر بإعداد العدة، ثم كتب إلى قيصر يخبره بحور الكتاب وحامله ومن أرسله، وتصادف أن كان حية الكلبى لدى قيصر حاملاً كتاب رسول الله ﷺ إليه، فكتب قيصر إلى الحارث ألا يسر إلى المدينة، وأن يدع هذا الأمر، فلما جاءه خطاب قيصر تغورت معاملته إلى الأفضل بالنسبة لشجاع بن وهب، وأكرمه، ولما عاد شجاع ابن وهب وأخبر الرسول ﷺ بما حدث قال : باد ملكه^(١). ثم ما لبث أن توفي الحارث قبل أن يسرى زوال ملكه من يدى أبنائه من بعده.

وذهب سليط بن عمرو العامري.. وهو أحد الستة الذين خرجوا من المدينة في وقت واحد.. إلى هوفة بن علي الحنفي باليمامة حاملاً كتاباً من رسول الله ﷺ يدعو فيه إلى الإسلام، فلما نزل عليه حيّاه وحباه، ولما قرأ الكتاب تردد ثم كتب كتاباً إلى رسول الله ﷺ يطلب فيه أن يجعل له شيئاً. فقال الرسول ﷺ: هلما بلغ ذلك: باد، وباد ما في يديه، فتوفي عام الفتح ٨هـ دون أن يسلم^(٢).

وبعث الرسول ﷺ عقب فتح مكة كتباً إلى غير هؤلاء من الملوك والأمراء وذوى الشأن في جزيرة العرب وإلى رؤساء القبائل والبطون والمشائير يدعوهم إلى الإسلام، ممن لم يكتروا قد أسلموا بعد. فكان من

(١) طبقات ابن سعد، ٢/١، ٢٦١، والسيرة الحلبية، ٣/٣٠٤، ٣٠٥، والطبري، ٢/٦٥٢.

(٢) طبقات ابن سعد، ١/٣٦٣، والسيرة الحلبية، ٣/٣٠٣، والطبري، ٢/٦٤٥.

هؤلاء: جعفر وعبيد ابنا الجلندي الأردنيين، بعمان، وكان جعفر وهو الحاكم فذهب لما عمرو بن العاص في ذي القعدة عام ٨ هـ .. فأسلما وأسلمت رعيتهما، كما ذهب العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، العبدي بالبحرين^(١) فأسلم، وتبعه في إسلامه العديد من أهل المنطقة، وكانت بها طائفة من أهل الكتاب، أخذت منهم الجزية^(٢) وذهب مع العلاء، أبو هريرة ليعلم الناس، فأقام فترة ثم عاد.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور الحموي، وإلى ذي عمرو فأسلما، وأسلمت ضريبة بنت أبرهة، امرأة ذي الكلاع، وتوفي رسول الله ﷺ وجرير بن عبد الله البجلي عندهم باليمن، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول ﷺ فخرج جرير عائلاً إلى المدينة^(٣).

كما كتب الرسول ﷺ إلى عدة من أهل اليمن، أمراء المناطق والمخاليف، ورؤساء القبائل والعشائر فاستجابوا، وأعلنوا إسلامهم، ووفدت وفودهم إلى المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وكتب لهم كتباً يقر بعضهم فيها على ما في أيديهم، ويرى بعضهم الإمارة على أحد المناطق أو المخاليف، أو الإمارة على قبائلهم وعشائرهم، ورتب الولايات فيها،

(١) أي منطقة الإحساء حالياً، وما يدخل في حيزها. فقد كانت تسمى قلها : البحرين.

(٢) طبقات ابن سعد، ٢٦٢/١، والطبري، ٦٤٦/٢ و ٢٩/٣، ٩٩٠.

(٣) طبقات ابن سعد، ٢٦٥/١.

وحدد لكل ولاية أمراً، إلى غير ذلك من الترتيبات الإدارية، وهو موجود
بكتب التاريخ^(١).

ونستخلص من ذلك أن بعض الملوك والحكام وصى الشأن أسلم،
وبعضهم تردد، ومنهم من أخذته الضرور فأودى به ضروره إلى الهلاك،
وكانت الدولتان العظيمتان قد أنهكتها الحروب وامتشيت فيهما الفساد،
فكان ذلك عمهيدا لأفول مجملتهما، ويزوغ شمس الإسلام على ربوعهما،
وما كان يجوز أنه من محالكم وشعوب، وصدق قول الرسول ﷺ : بادوا ..
وباد ملكهم..

^(١) ومنها الطليقات لابن سعد، ٢٦٤/١-٢٨٧، وقطري ١٢/٣-١٢٢، وجموعة فوائد للسياسة للمهدي القنوي
والخلاصة الراشدة، ص ٧٠-٧٧، والبدلية والنهاية لابن كثير، ١٢٣-١٢٤/٥

الباب الرابع

الترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

١ - أسس الترتيبات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة العربية :

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها، أن ينظم العرب حياتهم إبان الجاهلية على أسس قبلية، واستوى في ذلك إلى حد بعيد أهل الحضر والبادية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، وهي تتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد، يحملون اسمه اعتزازا به، ويتحمسون لمسؤوليات وواجبات مشتركة تجاه الدفاع عن القبيلة وعن أى من أفرادها، ومن ثم التصدي لأي خطر يداهمهم، ويتقاسمون الثرم والغنم معا، ومن هذا المعنى فإن القبيلة تعتبر هي المظهر الأولي البسيط للدولة.^(١) تحملها بمسوعة من الأعراف والتقاليد، تنظم حياتها بموجها.

وكان ترتيب القبيلة ترتيبا تنازليا يتكون من: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، ثم العشيرة^(٢)، أى أن أكبر تجمع

^(١) من تقدم كتاب الطبقات لخلعة بن عياض، للذكور/ صاع أحمد العلي، ص ٧.

^(٢) الأحكام السلطانية للمؤردى ص ٢٠١، كثر الأسباب ويصح الأما، حد بن إبراهيم الحقل ص ٢٢.

يتمثل في الشعب الذي تنفرع منه عدة قبائل، وأقل تلك التجمعات هي العشيرة وتقابل العائلة في عصرنا الحاضر تقريباً.

جاء الإسلام فأبقى على تشكيلات القبيلة وغط حياتها، التي كانت تحياها طليها كان ذلك يتفق مع مبادئه وتعاليمه، ولهذا نجد أن الله - عز وجل - حين بعث نبيه محمداً ﷺ أمره أن يبدأ بعشيرته وأهله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)

فالأقربون أولى بالمودة والرشد والهداية ثم من يليهم. وهكذا تتسع الدائرة لتشمل كافة القبائل ثم العرب ومن دخل في حوزتهم، ثم لتشمل أبناء آدم جميعاً إلى يوم الدين وهو عمومية الرسالة.

ومنذ هذا الإبلاغ للأهل والعشيرة، صدر عن رسول الله ﷺ كم هائل من الأقوال والأفعال مصاحبة لتنزول القرآن الكريم، توضح كافة الأمور التشريعية من توحيد وعبادات ومعاملات ومكاسم أخلاق، وغير ذلك مما يحفظ الإسلام ويصون المسلمون، ويجعلهم أعزة إن اتبعوها.

كان من بين الأسس التي تعهدها الرسول ﷺ في منتهجه لوضع اللوائح الإدارية لإنشاء الدولة الإسلامية ما يلي:

^(١) سورة الشعراء: آية ٦١٤.

* تغيير مفهوم الولاية في العرف القبلى وغيره، إلى ولاية أسمى وأجل، فى ظل الإسلام، وهى الولاية لله - عز وجل - ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾^(١) ولأن الرسول محمدا ﷺ هو مبعوثه لأهل الأرض فالولاية منوطة بطاعته فى كل ما يتعلق برسالاته، ومن ثم الالتزام بكل ما يأمر به وينهى عنه ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾^(٢) والحث على التفتائى فى الولاء، والطاعة والإتقياد حتى يكون الله ورسوله أحب إلى المسلم من نفسه وماله وولده.. وانتهى بذلك الولاء المطلق لرئيس القبيلة، ولاية رئاسة أخرى لا تكون فى طاعة الله ورسوله^(٣).

فقد جاء فى كتاب رسول الله ﷺ وعهده إلى عمرو بن حزم حين بعثه والياً على بخران: أن ينهى الناس - إن كان بينهم هيج - أن يدعروا أو يتداعروا إلى القبائل والعشائر^(٤) وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن م يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل، فيُخَطَّفُوهُ بالسيف^(٥) حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده^(٦).

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(٢) سورة النساء، آية ٥٩.

(٣) النبوة فى عهد الرسول ﷺ، للدكتور/سليخ أحمد العلي، جلد ١، ص ١٠١.

(٤) أى إذا نادى لنادى للجهاد، أو استصرعوا لأى سبب كان فلا يقولون: يا آل فلان .. وبها آل فلان كما كانوا فى الجاهلية.

(٥) أى فليضربوا بالسيف.

(٦) الجاهلية والجاهلية لأن كثير، ٨٨/٥، وتاريخ ابن خلدون ٥٤/٢.

* أن الإمارة أو الولاية كانت إما عامة أو خاصة، فالعامة ما يقوض فيها الوالى بالنظر فى سائر أعمال الرعية الذين يخضعون لولايته فى كافة الأمور الدينية والدنيوية غالباً.

وذلك كإلى الإقليم أو أى مصر من الأمصار، مثلما كان الوضع عندما توسعت الفتوحات فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية والعباسيين، لكنه فى العهد النبوى لم يتبل أحد من الولاة الإستقلالية التامة لحتمية الرجوع إلى الرسول ﷺ فى الأمور التشريعية التى كانت تعترض الولاة فى أعمالهم اليومية، وكانت تنور بينه ﷺ وبينهم مكاتبات تحمل إليهم توجيهات فيما يجب أن يتعمروه^(١) وكانت كافة الولايات على اتصال دائم ومستمر بالمدينة المنورة. لذا فإن الولاية فى عهده ﷺ كانت ولاية خاصة، إما لإدارة شؤون البلدة، أو القبيلة، أو الإقليم، أو لقيادة الجند عند الإستنفار، أو لتعليم أمور الدين والشرع، أو للقضاء بين الناس، أو لجمع الصدقات وحماية الجزية والخراج، أو غيره^(٢)

* أن رئيس القبيلة كان إذا سبق وتقدم معلناً إسلامه وإسلام من وراءه من قومه، غلب فى موقعه من رئاسة القبيلة وإدارة شئونها، وله ولقبيلته ما أسلموا عليه من أرضهم وما يحوزونه من المنافع الخاصة بهم والأرفاق المشاعة بينهم، وربما عقد له الرسول ﷺ لواء يقود قبيلته تحت

^(١) انظر طهقات ابن سعد ٢٦٥/١-٢٩٠، ومجموعة الوثائق السياسية، للذكور محمد عبد الله، ص ١٧٩.

^(٢) طهقات ابن سعد ٢٦٦/١ وما بعدها، والأحكام السلطانية لماوردى ص ٢٠-٣٧، ١٤٧.

هذا اللواء عند الإستنفار إلى مساحة الجهاد ورعا أيضا عهد إليه بجمع صدقات قومه، وأقطعه، أو أقطع القبيلة أو أحد أفرادها بعض الإقطاعات، وكتب لهم عهدا بذلك. مثما فعل مع خالد بن ضماد الأزدي، وحضادة الأزدي، وأبى ظبيان الغامدي، وقبيلة بلرق^(١) وخثعم وأهل حرض ويطون بنى كعب وغيرهم من شتى القبائل.

* أن مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء القبائل والعشائر كانت تحمل إليهم الدعوة للدخول في الإسلام، وفي الوقت نفسه تحمل لهم بواعث الوغيب في الإقدام والإسراع في أن من استجاب منهم سيظل في موقعه واليا أو أميرا أو رئيسا للقبيلة فمثلا: نجد أن المنذر ابن ساوى حاكم البحرين^(٢) أسلم مبكراً فظل بها والياً إدارياً، وكان بحواره السلام بين الحضرمي للأمر الدينية والإمامة في الصلاة والإشراف على جمع الزكاة وترزيعها^(٣)، فمما توفى المنذر تولى مكانه السلام بين الحضرمي بأمر من الرسول ﷺ وكذلك الشأن بجهنم الجبلندي حاكم عمان، وبإذن في اليمن جميعها، وأمر المناطق والمخاليف، كل استمر في موقعه حين يادر بالدخول في الإسلام، ليندره إدارياً، بينما إذا تردد وتأخر وسبقه آخر تتوافر فيه عناصر القيادة نال تلك الرئاسة لشرف سبقه، فمثلا: حين سبق فروة بن مسيك المرادي نظيراه وأنداده، ولاد رسول الله

^(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٩٦-١٩٨.

^(٢) كانت منطقة الأحساء يطلق عليها في ذلك الوقت البحرين، أما البحرين الحالية فكانت تسمى حيرة نواص.

^(٣) طبقات ابن سعد، ٢٧٦/١.

ﷺ على قبيلة مراد وزيد وبعض مذبح^(١)، مما أوغر صلبور بعض من يرون أنهم أهل لها وأول بها منه، كقيس بن المكشوح المرادي، وربما كان ذلك أحد النواضع لردته ومناصرتة للأسود العنسي^(٢).

* أن كانت المدن والخواضر والبرادى مما اتخذته القبائل مواطن لها كان محدد المعالم لا تعزبه الجهالة، ولا يتداخل بعضه قس ببعض لأهمية معرفة ما يجيب عنه من عشر أو خراج أو جزية، إن كان يتوطنها أحد من أهل الكتاب وظل على دينه، وأنه كانت توجد حصى تقووط بالبلدان ومواطن القبائل أو على مقربة منها، تعد حرما لها، ويحسب على أى فرد حيازته، أو تملكه لأن منفعة للجميع كالمرافق العامة.

فمعروف أن مكة المكرمة لها حرم وضعت على حدوده أنصاب وعلامات قيل: منذ الخليل إبراهيم عليه السلام، وأنها كانت تجدد بين الحين والآخر، وقد جدها الرسول ﷺ عام الفتح، ثم كان يتم تجديدهما كل فترة بعد ذلك^(٣) وجعل الرسول ﷺ للمدينة حرما، وهو ما بين جبلي عر إلى ثور بالقرب من أحد، أو إلى

^(١) طبقات ابن سعد، ١/٣٢٧.

^(٢) لسيرة الخليلي، ٣/٢٥٩، والطبري، ٣/١٣٤، وقيس بن المكشوح (اسم المكشوح : هيرة) فهو : قيس بن هيرة بن عبد يافوت بن سلمة من زاهر من مراد، لولد ثم أسلم، وحسن إسلامه الجمهرة، ص ٤٠٧، وكذلك كان لشأن يعمر بن معد يكرب القريني. وقد أهلكا ذلك صراحة عند الفرقة.

^(٣) كشف الغطاء للقيسي ١/٥٤-٦٦.

أحد، وقيل حرمها على مسافة بريد من كل ناحية من النواحي الأربع، وأن النبي أرسل كعب بن مالك الأنصاري لوضع أعلام على أربع جبال محيطها بالمدينة^(١).

كما جعل الرسول ﷺ، البقيع - وهو غير بقيع الغردق الذي اتخذ مقبرة - حصي للمدينة، وكان يقدر ميل في ستة أميال ترعى فيه خيل المسلمين، واتخذ البيضاء بالقرب من الريلة حصي لإبل الصدقة ولإبله^(٢)، ثم أضاف أبو بكر الصديق في عهده الريلة حصي لإبل الصدقة، وأضاف عمر في عهده حصي بالشرف مثل حصي أبي بكر لإبل الصدقة^(٣)، ونلاحظ أن أهل مدينة جرش طلبوا من الرسول ﷺ - عند وفودهم إليه بإسلامهم - أن يحمي لهم حصي حول قريتهم جرش على أعلام معلومة، فلبى الرسول ﷺ طلبهم وكتب لهم بذلك كتاباً^(٤).

أما المرافق وكان يقل لها: الأرفاق، فهي مقاعد للناس بالأسواق وأندية الشوارع، ومنازل الأسفار على الطرق، وفي القلوات، وحروب إحتياز السابلة في المفاوز والقفار، وما تحويه من آبار وأشجار وغير ذلك مما يعتبر منفعة عامة للجميع ولا يملكها أفراد، فكان على الحاكم حفظها، والقيام برعايتها^(٥).

(١) شعاع الفراء، ٣٣٨، ٣٣٧/٢، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

(٢) المغازي للبخاري، ص ٥٢٨، وحصي البقيع الذي اتخذته الرسول ﷺ، بصدر وادى العتيق على بعد عشرين فرسًا من المدينة. الوائيب الإدارية ٤٤١/١.

(٣) الأحكام السلطانية للملوك، ص ١٨٥.

(٤) سورة ابن هشام، ٢٣٤/٤، والنفوس، ١٣٠/٣، وطبقات ابن سعد، ٢٣٧/١.

(٥) الأحكام السلطانية للملوك، ص ١٨٧.

* أن الإسلام شمل أرض شبه الجزيرة العربية تقريباً، وذلك قبل وفاته الرسول ﷺ، وعلم به القاضي والداني ممن يعيش على ترابها، والمسلمون يعرفون معرفة تامة أرض كل ناحية ومواطن كل قبيلة من حيث حدودها وكونها أرض عشر، أو عراج أو جزية أو غير ذلك مما تورب عليه الأمور التشريعية.

وكانت هناك أراضٍ للمزارعة فمثلاً عند قيام يعلى بن أمية بإحلاء نصارى بجران بأمر من عمر بن الخطاب وتسلمه لأراضيهم وتعويضهم قيمتها، أصبحت هذه الأراضي ملكاً للدولة، فكتب يعلى إلى عمر يسأله عما يصنع فيها، وفي غورها مما هي بهذا الوضع، فكتب له عمر: انظر كل أرض خلأ أهلها عنها، فما كان من أرض ييضاء (أي ليست ملكاً لأحد) تُسقى سبحة (أي بألة أو بغر جهد) أو تسقى السماء (أي دون ألة) فما كان فيها من نخل أو شجر فادفعه إليهم (أي لأهل المنطقة) يقومون عليه ويستقونه، فما أخرج الله من شئ فلعمر وللمسلمين منه الثلثان ولهم الثلث، وما كان منها يسقى بفَرْب (ألة بهذا الاسم) فلهم الثلثان وللعمر ولللمسلمين الثلث، وادفع إليهم ما كان من أرض ييضاء يزرعونها^(١)، فمثل هذه الأراضي احتوتها السجلات، ودونت في دواوين لكي يعرفون مساحتها ومن يقوم على زراعتها، وأين تقع؟ وغير ذلك من معلومات تكون لدى الدولة، ويعرفها من يوكل له الأمر بعد يعلى بن أمية أو حتى

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص ١٦٢.

بعد عمر بن الخطاب، وهو ما تبين له عمر وسجله بذلك الدواوين. وأنه كانت هناك أرض مشاع تغدو إليها البادية في تتبعها لمواقع الغيث والكلأ والمرعى فإذا استوفوا غرضهم عادوا لمضاربهم ومواطنهم الأولى، التي قلما تركوها إلا لظروف قاهرة، ولكون ذلك نادراً، فإن هجرات القبائل كان حدثاً معروفاً يروونه في أحاديثهم وسجلته كتب التاريخ، لأنه غالباً كان بسبب المنازعات والحرب بين القبائل في الجاهلية، فلما جاء الإسلام قضى على المنازعات والمشاحة بين القبائل، ودعا إلى التآلف والمودة، وحدث استقرار في البادية فضلاً عن الحاضرة، ولم تحدث هجرات إلا في سبيل الله، إبان التوسع في الفتوحات الإسلامية. وعلى ضوء هذا الاستقرار الذي منحه الإسلام للحاضرة والبادية تحددت معالم الأرض لكل لتتهدد مقتضيات الشريعة وعدم التدخل في اختصاص السيادة أو الأمراء بكل ناحية.

* مما دعم هذا الاستقرار وساعد على تحديد معالم الأرض تلك الإقطاعات التي كانت يقطعها الرسول ﷺ لوافدين عليه بإسلامهم أو إقرارهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه مما يوحى باستمرار ملكهم لتلك الأرض فيما قبل الإسلام وبعده، أو ملكهم لها ابتداء لكونها كانت مشاعاً، وبذلك ترفع المشاعة عنها فلا يحدث لهم من غورهم مشاحة أو منازعة عليها، وبالتالي تتحدد معالمها، وكان كثير من تلك الوفود يطلبون من الرسول ﷺ أن يكتب لهم بذلك كتاباً أو عهداً مكتوباً يحملونه في عودتهم لمواطنهم، وظلت تلك الكتب والعهود يحتفظ بها الناس سنين

عديدة، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم إعتزازاً بها وبكونها صادرة من الرسول ﷺ إلى الأبناء والأجداد^(١) وتلك الإقطاعات أو العهود للأفراد أو للوفود مشروطة ضمناً بأن تكون حقاً أو ملكاً لغو من يطلبها، أو حتى من المنافع العامة التي يشترك الناس في الإقتفاع بها، فمثلاً: أقطع الرسول ﷺ بلال ابن الحارث للعادن القُبَلِيَّة^(٢) بأرض مزينة بينما امتنع عن إقطاع ما كان فيه منفعة للجميع، وذلك حينما جاء الأبيض بن حُمَالٍ وأخذاً على رسول الله ﷺ وطلب منه أن يقطعه ملح مأرب، فهم أن يقطعه إياه إلا أن الأقرع بن حابس التميمي كان حاضراً بالمجلس فسارع قائلاً: يا رسول الله إني وردت هذا الملح في الجاهلية، وهو بأرض ليس فيها غيره، ومن ورده أخذه (أي أخذ حاجته منه) عندهم توثق الرسول ﷺ عن إمضائه هذا الإقطاع للأبيض بن حمال لأنه بعد منفعة عامة^(٣).

كما امتنع الرسول ﷺ من إعطاء أرض قبيلة لقيلة أخرى، وذلك عندما وفد عليه حريث بن حسان الشيباني بإسلامه هو وقومه، وقد رافقته في سفره امرأة عجوز، هي قبلة بنت غرسة من بنى العنبر، ذهبت إلى الرسول ﷺ تشكو إليه أخاً زوجها الذي أخذ منها أطفالاً بعد وفاة زوجها، فلما وصل إلى المدينة، وضهما مجلس الرسول ﷺ جعلت المرأة

(١) انظر أمثلة تلك الكتب والعهود في كتاب "مجموعه القوانين السياسية للعهد القوي والحلافة الراشدة" ص ١٩١ -

٢٣٥، والطبقات لابن سعد، ٢٦٦/١ - ٢٩٠.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩٨.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩٧.

ثنى على رفيقها في الطريق وعلى شهامته وكرم أخلاقه أمام الرسول ﷺ ثم عرضت شسكوها، وهذا بذلك روعها، ولكنها سمعت رفيقها في الطريق، حرمت الشيباني يطلب من الرسول ﷺ أن يكب له ولقومه جزءاً من الدناءة^(١) قالوا: اكسب بيتنا وبين بنى تمهم بالدناءة لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو محاور، وحس الرسول ﷺ أن يأمر بكتابة ذلك له ولقومه، ففرغت المرأة قائلة: يا رسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك! إنما هذه الدناءة هي مقيد جملي ومرعى غنمي أنا وقومي وهي وطني وداري، ونساء بنى نعيم، وأبنائها وراء ذلك! عندئذ أمر الرسول ﷺ بالإمساك عن الكتابة وقال: صدقت المسكينة، المسلم أعز المسلم، يسعهما الماء والشجر^(٢).

وكان الأشعث بن قيس وغيرهم من كتلة، قد نازعوا وائل بن حجر في وادٍ محضرموت^(٣) فادعوا ملكيتهم له منذ الجاهلية فسأل الرسول ﷺ بعض أنبيال حمير وحضرموت عن حقيقة ذلك، فشهدوا به لوائل بن حجر فكتبه الرسول ﷺ في كتابه لوائل حتى لا يتنازعه فيه أحد^(٤).

(١) صحراء الدناءة معروفة، تقع في الشمال الغربي لحدود نجد من جنوب البصرة حتى الربع الخائل شرقاً.

(٢) طبقات ابن سعد، ٣/١٩٩، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢١٢، والبدلية والنهاية لابن كثير، ٩٦/٥، وفيه: لغارث بدل الحريش.

(٣) هو وادي طيبة المعروف وتوجد حالياً بهذا الاسم.

(٤) طبقات ابن سعد، ٣/٢٨٧، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٠٣، ٣٤٥.

وسأل صخر بن أبي العيلة الأحمسي، من عظم، رسول الله ﷺ بشرا كان ليطن من بني سُلَيْم، تركوه قبل إسلامهم وهربوا خوفاً من أن يطأهم جيش المسلمين فأعطاه له، ثم ماليت بنو سليم أن قلعوا على الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم، ثم طالبوا صخرًا بإعادة البئر لهم فرفض، فشكروه إلى رسول الله ﷺ فبعث إليه، فلما قدم، قال له الرسول: يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، فادفع إليهم ماءهم، قال: نعم يا رسول الله. ودفع لهم البئر^(١) لأن البئر كان يقع في مواطنهم الأصلية التي كانوا قد تركوها وهربوا ثم عانوا إليها بعد إسلامهم، فمن حقهم الأرض بما عليها.

* كان يوحسد في العرب من له علم ودراية بأعمال المساحة والقياسات وتحديد الأراضي والخوة بنوع تربتها، وغر ذلك من الأمور فلما جاء الإسلام وضع هؤلاء خبرتهم في خدمته، فيما كان يعهد لهم القيام به من تلك الأعمال، ومن الصحابة الذين عرفوا بذلك: عتبة بن غزوان، الذي اختار موقع منبئة البصرة وخططها إلى إقطاعات^(٢)، وزيد ابن ثابت وكعب بن مالك، وجبار بن صخر أخو بني سلمة، اللذان عهد إليهما النبي ﷺ وضع علامات لتحديد معالم حرم يشرب على الجبال المحيطة بها^(٣)، وتميم بن أسد الخزاعي الذي عهد إليه الرسول ﷺ بتحديد أنصاب

^(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٣٩٤/٤.

^(٢) البصرة، ص ٢٦١. ولبداية والنهاية، ٥٣/٧.

^(٣) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

الحرم حول مكة المكرمة يوم فتحها عام ٨ هـ^(١) وحذيفة بن اليمان الأزدي، وثمان بن حنيف، اللذان بعثهما الخليفة عمر بن الخطاب في عهده لمسح أرض سواد العراق، فتولى حذيفة مسح تلك الأراضي فيما وراء دجلة وعطيط ما بها من إقطاعات وتولى عثمان مسح ما ترون ذلك، وتخطط ما به من إقطاعات^(٢) وأبو الهيثم بن الهمدان، وسهل بن أبي عيثمة وحياب بن صخر السلمي، وغرزة بن عمرو الياضي، الذين بعثهم عمر إلى فندك وعسير ليقوموا أرضها ويعوضوا أهل الكتاب الذين أجلاهم عنها^(٣) ويعلى بن أمية التميمي الذي أشرف على إجلاء نصاري بحران وتعويضهم عن أراضيهم وعقاراتهم التي تركوها^(٤) وغير هؤلاء كثيرون عملوا على تحديد المواقع والأماكن والبقاع وترسيم الحدود بالمناطق التي كانت بحاجة إلى تحديد،

* كان من اهتمامات الرسول ﷺ، إيجاد نوع من الترتيب الإداري، منذ وفد إليه أهل يثرب في موسم الحج، عكة المكرمة، قبل الهجرة، في بيعة العقبة الأولى وعقب بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء وعرائف على قومهم، ومسؤولون عن

(١) جبريل الأخر لابن سيد الناس، ١٨٠/٢.

(٢) الأحكام السلطانية للمباردي، ص ١٧٤.

(٣) الكليني لابن الأثير، ٢٢٤/٢، والغازي، ص ٧١٨.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٥٩، ١٦٢.

عشائرهم^(١) وكانوا بمثابة حلقة وصل بينه وبينهم، وكانت العرافات فى زمن النبى ﷺ أمر معروف، فكان على كل عشيرة عريف، وكل قبيلة عدة عرفاء يرأسهم رئيس العرفاء، وهو رئيس القبيصة غالباً، واستمر الأسر كذلك إلى أن فرض العطاء فى عهد أسير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنشأ لهذا الغرض الدراوين: ديوان العطاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وغير ذلك^(٢).

فاهتمام النبى ﷺ بتحديد العرفاء فى القبائل، وتحديد موطن كل قبيلة هو لإيجاد نوع من الوتيرة الإدارى المبكر، وكان إهتمامه بذلك أكبر كلما انتشر الإسلام فى البلدان وبين القبائل، فيعين الرؤساء على القبائل والأمراء على البلدان والمناطق، واستتبع ذلك تحديد إسارة كل أمر أو رئيس حتى لا تتدخل الاختصاصات وتحددت بذلك مسؤوليات كل منهم عن إقامة أمور الشرع ووطون الاستقرار بمنطقته.

* كما راعى الإختلاف والتحالفات السابقة بين القبائل طالما كان ذلك لا يتعارض مع تعاليم الإسلام الذى يحث على القرب والالتصاف والمودة والتعاون، فامتد ذلك الارتباط إلى الأرض التى تقسم عليها القبائل بكل ما تشتمل عليه من منافع وتحيز إقليمى، بمعنى أنه لم تنزع من أية قبيلة أرضها أو تجلو عنها لتستقر فى مكان آخر إلا برغبتها، طالما دخلت

(١) الطبرى، ٣٦١/٢، فى الآثار، ٩٩/٢، البداية والنهاية لابن كثير، ج ٢، فتح البقرة، عماد لفران، ص ١٥٩.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٣٠.

الإسلام مالكة لتلك الأرض، واستمرت في طاعته والولاء له. وعمل بالعرف المسائد وأقوال أهل المدن ورؤساء القبائل والعشائر في تحديد بلدانهم ومواطنهم، وأرفاقها والمشاع، من البرادى والصحارى، فإذا حدث تنازع على أرض ماء، تم التقصى عن حقيقة الوضع حتى يتم الوصول إليها مثلما حدث بين الأشعث بن قيس وراىل بن حجر الكندى الذى ذكرناه سابقا.

* أن الأعرابى كان يعتز بانتسابه إلى آباءه وأحداه، أكثر من انتسابه إلى الأراضى والبلدان التى يقيمون عليها بمعنى أنه كان يقال: فلان الأزدى، والأسدى، والشمسى، ولم يقل عنه المكى، أو المدنى أو الصنعائى، إلا فى عصور متأخرة ذلك لأنه كان مرتبطا بإسم القبيلة أكثر من ارتباطه بالأرض التى يقيم عليها، بل إن الأرض كانت هى أيضاً تنسب إلى القبيلة فيقال: أرض قبيلة هوازن وتقيف وأسد وتميم، وغيرها، وهذا يعنى مدلولاً على كثرة الرحال والتنقل من أرض إلى أخرى إلا أن هذا لم يكن يقلل من اهتمامهم بالأرض التى يقيمون عليها ومن أنهم كانوا يدافعون عنها حتى الممات لأنهم بذلك يدافعون عن وجودهم وكيانهم للعيش على تلك الأرض، وعار عليهم أن يظأها أحد رغماً عنهم، أو أن تنتزع منهم قهراً، لذلك سعوا إلى إيجاد نوع من الألفة والرباط والولاء مع حسانهم، حتى يكونوا يدا واحدة على كل من يضرهم. وامتد هذا الولاء أو التحالف فى الأراضى المتجاورة حتى تشكلت تجمعات إقليمية صغيرة متجانسة ومراقبة سكانها وجغرافيا .. وكان هذا هو الملاحظ فى منطقنا

موضوع الدراسة من حيث تبحرنا فيها وتوافقها، ثم من حيث ارتباطها عاطفياً بمكة المكرمة .. وجاء الإسلام والمنطقة على هذا الرضخ من قديم .. فكان حري بالإسلام ألا يشقت هذا التجمع، وإنما يؤكد ويدعمه، وهذا ما تم بالفعل كما نراه فيما بعد.

وعلى كل فهذه بصفة إجمالية أهم الأسس التي تمهدها الرسول ﷺ، للقرىبات الإدارية عند نشأة الولايات والإمارات التي تكونت منها الدولة الإسلامية منذ بزوغ فجرها حتى تعالت شمسها وضحاها.

٢- نصيب منطقتنا من تلك الترتيبات الإدارية :

أشرنا فيما سبق إلى أهم الأسس التي تمهد لها الرسول ﷺ إنشاء الولايات والإمارات التي تكونت منها الدولة الإسلامية، والتي من بينها ارتباط الأرض بميزها الاقليمي، والعرف السائد بين العرب في مدى هيبتهم على مواطنهم، وأهمية تحديد تلك المواطن، والأرض ومرافقها، والمحوز منها والمشاع، لما يترتب عليه من أمور شرعية، وكذا مراعاة التحالف، والتوافق، والتجانس بين أهل المدر والريسر، كما أوردنا بعض القرائن والأدلة التاريخية على ارتباط منطقتنا موضوع الدراسة بكل من مكة والطائف، وإن كانت مكة لها النصيب الأوفر لتشرافها بوجود البيت العتيق بها، فهم يفتنون إليه للحج في بلواسم، لذا فإن الارتباط كان ارتباطاً روحياً وعاطفياً، في صورة من التوقير والإجلال، ولم يكن ارتباطاً إدارياً حيث لم تكن هناك دولة قائمة تهيمن على وسط شبه الجزيرة العربية، فيما قبل الإسلام .

ولما فتحت مكة، ودانت قريش للإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بملأوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، وتناهت وفودهم على المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وأسلم من حول

مكة من العرب، كنانة، وهوازن وخزاعة، وثقيف، وألزد وغيرها من قبائل المنطقة^(١)

وكانت وفود القبائل تقبل لإسلامهم واسلام من وراهم من قومهم وعشيرتهم، فيقرهم الرسول ﷺ، على ما أسلموا عليه من أراض ومياه وغيره، ثم يختار من بينهم من يتولى تصريف أمور القبيلة من النواحي الإدارية، واستتباب الأمن، وإقامة أسور الشرع، وكثيرا ما كان يعقد له راية ليقرود أبناء قبيلته إذا ما كان هناك هيج واستنفار عام للحجاء، فإذا ما توافرت شروط الولاية الدينية فسي ذلك الرئيس، كأن يكون أحفظهم للقرآن الكريم، وأفقههم في الدين، عهد اليه أيضاً بإمامتهم في الصلاة، وإذا لم يكن بحث معهم من يؤمهم، ويفقههم، ويقضى بينهم وفق تعاليم الشرع، وهؤلاء كانوا يعقبون وكلاء أو مساعدين لأمراء المناطق بكل حاضرة أو بادية^(٢). وقد لاحظنا ذلك فيما سبق عند وفود قبائل المنطقة الى المدينة لإسلامها.

فعقب فتح مكة عام ٨هـ استعمل الرسول ﷺ، والياً عليها عتاب ابن أسد^(٣) وترك معه معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، يعلمان الناس

(١) قصيدة الحلبية ٢٣٨/٣، وابن خلدون ، ٥١/٢ ، والبلاية والنهاية ، ٤٦/٥

(٢) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١١

(٣) هر عتاب بن أسد بن أبي العيص بن لمية بن عبد شمس ، كان عبسره واحداً وحضرين حاشا ، قد ظله اليزوع والزهدي ، أسلم يوم فتح مكة ، ورأى الرسول ﷺ ، فيه ملامح القيادة ، بجانب ورعه وزهده فولاة مكة ، وقال له وهو يوجهه عائدا الى المدينة : استعملك على أهل الله فظلل وأيا عليها الى أن ترفى يوم وفاة أبي بكر —

القرآن، والتفقّه بأمر الدين، وحدد لكتاب راتباً مقداره درهماً كل يوم، فقام عتاب خطيباً في الناس، بعد انصراف الرسول ﷺ، الى المدينة، وقال: أيها الناس أجمع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ، درهماً كل يوم، فليست لي حاجة الى أحد^(١)

وحج عتاب بالمسلمين في تلك السنة، قيل بعهد من الرسول له بذلك، وقيل بصفته واليا على مكة وغاليفها، وكانت مخاليفها هي المناطق المحيطة بها، أرض هليل، وكنانة، وخزاعة، وغيرها من قبائل المنطقة، وتشمل أرض تهامة من جنوب يثرب تقريبا، ثم بامتداد ساحل البحر جنوبا حتى بداية ولاية فروة بن مسيك المرادي حين ولايته، وكان والياً في البداية على الأشعرين، وزيد، وبعض مذحج، في تهامة اليمن^(٢) وكان الفاصل بين الولايتين - قيل الترتيب الجديد للولايات - هو أرض عك المجاورة للأشعرين وغالبا هي أرض لسان يطن تهامة^(٣) جنوب الشرجة

-- فاصبح - رضى الله عنهما - وقيل ترفى بعد ذلك، البداية والنهاية لابن كثير ، ٤/٤١٣ ، وسورة ابن هشام، ٤/٢٣١ وسورة بخليفة ، ٣/٥٩ ، ٢٣١ ، والأزرقى ، ١/١٥٣ ، والغازي ص ٩٥٩ ، وشفاء للفرام بأخبار البلد للفرام ٢/٦٢ - ٦٢ .

^(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ٤/٤١٣ ، سورة ابن هشام ، ٤/٢٣١ ، والغازي للوالدي ص ٩٥٩ ، والطبري ، ٢/٩٤ ، والأزرقى ، ١/١٨٥ .

^(٢) كان الرسول ﷺ قد ولاه لها عند وفاته قبة عام ٩ هـ - فظهر : البداية والنهاية ، ٥/٨٠ ، والطبقات لابن سعد ، ١/٣٢٧ ، ثم حدث تعديل لتلك الولاية في الوثائق الإدارية للولايات والأسارات ، التي نظمتها فرسول ﷺ عقب حجة الوداع وسنّاهي على ذكرها بعد .

^(٣) للمدائني ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(و بلدة الموسم الحالية) فقد كانت الشرجة ساحل بلسد الحكم^(١) إذ ذاك، ويبدو أنه حدث تنافس بين فروة بن مسيك وبين نظرائه من أبناء القبائل والتي ولى عليها، مثل: قيس بن عبد يثوث (الكنشوح) المرادي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي نتيجة لرواسب قديمة، مما دعاهما فيما بعد الى الانضمام الى الأسود العنسي، وقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

وجدنا مُلكَ فروة شرًّا مُلْكِي حماراً سافاً مُنْعَرَهً بِتَقْصِرِ^(٢)

و كنت إذا رأيتُ أبا عمرو ترى الجَوْلَاءَ من حُطْبٍ وغُدرِ^(٣)

وكان من نتيجة هذا التنافس وغیره من العوامل^(٤) أن أعاد الرسول ﷺ تهديد تلك الولاية، وغيرها من الولايات في المنطقة، فقلّص ولاية فروة وجعله على زييد ومراد، وقيل على مراد فقط، وجعله تابعاً لإمارة الجند، وجعل الطاهر بن أبي هالة والياً على الأشعرين وعك، وتابعها لإمارة مكة، لأن القهطيسين يعرودان في نسيهما الى عدنان، لأن النسي ﷺ، قال للأشعرين حين قدم عليه وفدهم: "أتسم مهجرة اليمن من ولد إسماعيل"^(٥) وقال حين أعاد ترتيب الولايات: "أجعلوا عمالة عك في

(١) الهنلي ، ص ٦٨ ، ٢٥٨ .

(٢) ساف : أي شم . والفجر : للحمر والسباع وفوات الخبال : الفرج .

(٣) وأبو عمرو : لقب فروة . والجولاء : لثناقة ، كالشربة للدرّة ، وهي التي يكون بداخلها الطفل المولود ، ويكون بها ماء يخرج على رأس المولود ويسمه . انظر البداية والنهاية ، ٨١/٥ .

(٤) كوفاة بختان والي اليمن بكافة خاليه . ودخول الإسلام جميع البلدان باليمن .

(٥) البكري ، معجم ما استعجم ، ٥٤/٦ .

بنى أبيها، معد بن عدنان^(١) وولى عليها الطاهر بن أبي هالة، وكانت عث من أنقبائل التي انتسبت في بعض الفترات إلى القحطانية، غير أن هناك من الشعر ما يفيد نسبتهم إلى عدنان، ومنه قول العباس بن مرسوس السلمي وهو يفاخر عمرو بن معد يكرب الزبيدي بقبائل معد بن عدنان، ويستزى إليهم:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد
وقول آخر من أبناء عك :

وعك بن عدنان أبرنا، ومن يكن أباه أبرنا يقلب الناس سوددا^(٢)

وبعض نسابة قحطان ينسبون عك هذا إلى عك بن عدنان بن عبد الله من الأزد^(٣) ومعظم بطون عك نزلت إلى شمال أفريقيا والأندلس إبان الفتوحات الإسلامية منهم القائد الإسلامي الشهير، أمير الأندلس عبيد الرحمن الداخل^(٤) وكان الطاهر بن أبي هالة مساعد لحساب، وقيل كان مستقلا وسواء أكان الطاهر بن أبي هالة يخضع لإمارة مكة المكرمة، أو يعتمد تعليماته من المدينة المنورة مباشرة، فإن انفصال هذا الجزء عن ولاية قنوة بن مسيك يعطى دلالة على أهمية الترتيب الجديد، الذي استقرت

(١) الطبري، ٣/٣١٨، والأشعري، ج ١، ص ١٥٨، ١٥٥.

(٢) البكري، معجم ما تيسر، ١/٥٤ وابن خلدون، ٢/٣٠٠، والبيهقي، ص ٢١٠، ٣٧٥.

(٣) ابن خلدون، ٢/٢٩٩.

(٤) البيهقي، ص ٣٢٨.

عليه الأوضاع بالمنطقة، من حيث القائل والتوافق بين القبائل فيما يخدم الإسلام، ودلالة أيضا على أن هذا الجزء امتداد لتهامة الحجاز، ولنا قال الطبري: "توفى رسول الله ﷺ، وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد، والطاهر بن أبي هالة: عتاب على بنى كنانة، والطاهر على بن عك" (١)، فالقصد بأرض مكة تهامة الحجاز، والطبري اعتبر أن أرض عك والأشعرين ضمن تهامة الحجاز، وأنهما آخر الحدود الجنوبية لإمارة مكة المكرمة، واعتبرا ابن خرداذبة أيضا: من مخاليف مكة التهامة وكذلك ابن الأثير. (٢)

وكانت مواطن الأشعرين وعك تبدأ من جنوب الشرجة (الموسم) حتى بلاد قبيلتي مراد وزيد التي تضم سهام، والمهشم (سردد)، والحصب (زيد الحالبية) والقحمة (٣)، والمقر، والكنداء، ومور، وغيره من بلدان وموادي، وكانت مور هي الملاصقة جنوباً لموطن بنى الحكم بن سعد المشيرة (٤) أي أنها بداية ولاية الطاهر بن أبي هالة، ومنتهى ولاية عتاب بن أسيد فيما إذا لم يكن خاضعاً له.

أما بالنسبة لعسير (عسير المسترة) فقد كانت خاضعة للطائف من حيث التسمية الإدارية فقد كانت ولاية الطائف تمتد من الطائف شمالاً ثم

(١) الطبري، ٢١٨/٣.

(٢) لاسالك والمالك، لابن خرداذبة، ص ١٣٣، الكامل لابن الأثير حوادث عام ١٩٧ هـ.

(٣) هي غر القحمة - بفتح القاف - التي ساحل تهامة عسير، ومقال للموسم بحول ٣١٠ كيلاً.

(٤) للمدائني: ص ٧٣، ٧٥، ٢٥٨.

تتحدّر جنوباً فى السراة بمختلف مخاليفها وأعراضها فى الجنوب والشرق حتى حدود ولاية خالدة بن سعيد بن العاص، على ما بين رمع وزيد، وإلى حلود ولاية عمرو بن حزم الأنصارى بنجران، ومن المرجح أن يكون الحد الفاصل بين ولاية الطوائف بكل مخاليفها وسراتها وبين ولاية سعيد ابن العاص هو وادى طلحة الملك الذى سبق أن نوهنا عنه فى بداية البحث^(١) والذى يبعد عن صعدة بحوالى ٧٥ كيلو متر فى الشمال الغربى.

وكانت ولاية الطوائف موزعة بين عثمان بن أبى العاص، ومالك بن عوف النصرى، من بنى نصر أحلاف ثقيف، عثمان على أهل المدر (أى الحضر) ومالك على أهل الوبر (أى البادية) وتشمل معظم قبائل السراة ومخالفه، ثم شاركهم بعد فترة عكرمة بن أبى جهل فكان على أعجاز هوازن، أى المنطقة التى بها حالياً تربة وما حولها شمالاً وجنوباً^(٢) وقيل كان عكرمة قد عهد إليه بجمع الصدقات، ولم يكن والياً^(٣) وأيا كان فمن سر الرقائع يتبين أن عثمان هو الرئيس، وهما مساعدان له، فقد كانت التعليمات من المدجة تصدر إليه بما يتعلق بالطوائف والسراة ومخالفهها، ثم يقوم هو بإبلاغها لهما، ولرؤساء القبائل والعشائر، الذين يرأسون قبائلهم وعشائرهم، فإبان حركة الردة كتب أبو بكر الصديق إلى عتاب بن أسيد: أن اضرب على أهل مكة وعملها (أى افرض على مكة وما يتبعها من

^(١) انظر ص ١١ - ١٦ من هذا البحث .

^(٢) الطبرى ، ٣ / ٢١٨ ، وقيل : استعمل سعد بن أبى وقاص على حمى الطوائف ، المغازى للواقدي ص ٩٧٣ .

^(٣) للزيتج الأخرية ، ٣٩٧ / ١ .

بلدان وبوادي، تجهيز) خمسمائة مقو (أي رجل قسوى بالآلة واستعداداته) وأبعث عليهم رجلاً تامته، فسمى على كل قوم وقبيلة عدداً تجهزه وتمده، وكان من بينهم رؤساء تلك القبائل، وحاملو الألوية بها، وأمر عليهم أصحابه محالد بن أسيد، وانتظر تعليمات أبي بكر الصديق^(١) وكذلك كان الشأن بالنسبة لعثمان بن أبي العاص، فقد أمره أن يضرب بحثاً على أهل الطائف، وعلى كل خلاف بقدره، أي بكل ما يستطيع تجهيزه من المقاتلين، وأمر عليهم أصحابه عبدالرحمن بن أبي العاص، وانتظر تعليمات أبي بكر الصديق^(٢) ولأن هؤلاء وغيرهم من الولاة كانوا يعتبرون نواباً عن الرسول ﷺ في ولايتهم، ثم نواباً للخلفاء الراشدين من بعده، فلم تكن لهم صلاحيات عامة، بحيث يهيمنون هيمنة كاملة في ولاياتهم، وإما كانوا يخضعون للمحاسبة، والرقابة الشديدة، وكثيراً ما كانت التعليمات تعطاهم إلى أحد مساعديهم، أو رؤوسهم من رؤساء القبائل، أو عمل الشصميات العامة من أبناء المنطقة، إذا ما كان في ذلك مصلحة، أو عمل يحتاج إلى منعة في التنفيذ أو مهمة تحتاج إلى حكمة، كما نرى ذلك كثيراً إبان مواجهة أبي بكر الصديق لحركة الردة .

وأيضاً مثلما بعث الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي - وهو من أبناء المنطقة - أوائل عام ١١ هـ، إلى ذى الكلاع بن حبيب بن مالك بن حسان تبع، وإلى أخيه عمرو بن الحارث، يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا،

^(١) انظر الطبري، ٣/٣٢٢، وابن خلدون، ٢/٦٨ .

^(٢) الطبري، نفس الجزء والصفحة، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة .

وأسلمت امرأة ذى الكلاع، وكثيراً من قومهم ومن يلود بهم، وطل حريز
لديهم يعلمهم القرآن، وأمور الدين حتى وفاة الرسول ﷺ، فأخبره ذو
عمرو بف وفاة الرسول، فخرج حريز مسرعاً إلى المدينة، وسار معه عمرو
حتى خرج من بلاد الهمن^(١) فكلف أبو بكر الصديق خليفة رسول الله
حريز بالعودة إلى السراة، وجمع ما يستطيع جمعه من أبناء القبائل بالمنطقة
والتحرك نحو بجران لمساعدة قبائلها في القضاء على حركة البردة، ثم
الانتظار بها حتى تأتيه تعليمات أخرى. مما سنذكره فيما بعد.

المهم أن الترتيبات النهائية للولايات أواخر عهد الرسول ﷺ كانت
على الرحمة الأکثر:

١- عتاب بن أسيد على مكة وما حولها ويساعدة الطاهر بن أبي
هالة على تهامة والحجاز، المحتلة جنوباً حتى نهاية أرض عك
والأشعرين.

٢- عثمان بن أبي العاص، من قُسَيٍّ، من ثقيف على الطائف،
ويساعدة مالك بن عوف النُضْرِي على سراتها، ومخالفها،
وعكرمة بن أبي جهل على عجز هوازن وما يتد من تربة جنوباً
حتى ولاية بجران.

^(١) طبقات بن سعد، ٢٦٥/١، ٢٦٦، والطبري، ١٨٧/٣، وبيعة الخليل، ليس بن أبي بكر العنزي ٧٤/٢.

٣- عمرو بن حزم الأنصاري على بحران وأوديته^(١) من نصارى قبائل عريسة أسلمت عليها، منذ قدم إليها خالد بن الوليد منتصف العام العاشر الهجري، وكانت الحسود الجنوبية لنجران ملاصقة لأرض بعض مذبح في صعدة، ثم همدان، وهم الذين قدم إليهم على بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقال أحد مرافقيه من الصحابة إلى ذلك المكان: إنها أول بلاد اليمن، وهي أول أرض يمنية تلوها جيوش المسلمين كما سبق أن ذكرنا ذلك^(٢) وبعث الرسول ﷺ، أبا سفيان بن حرب إلى عمرو بن حزم ليجمع صدقات بحران، ويسهم مع ابن حزم في تغريبهم بأمور الدين^(٣) وكان تحت هؤلاء أمراء عديون على أقولهم وقبائلهم، أو على بعض البلدان كصرد بن عبد الله الأزدي ولاء الرسول ﷺ على بلدة جرش، وتوفى الرسول، وهو عليها^(٤) وقيس بن الحصين ذي الفصة الذي ولاء الرسول على بطون بني الحارث بن كعب بنجران وغيرهما كثيرون من رؤساء القبائل بالمنطقة.

(١) انظر الطبري، ٣/٣١٨، وانظر فيما سبق ابن الأثير، ٢/٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) انظر فيما سبق ص ١٤١، ١٤٢ من هذا البحث.

(٣) انظر: نسب قرش، للنسب الزبيري، ص ١٢٢.

(٤) الإصباة في غير الصحابة، لابن حجر المصنوعي، ١٨٧/٢، في ترجمة صرد بن عبد الله وطبقات ابن سعد.

٣١٠/١.

ركبت الولايات بأرض اليمن أواخر عهد الرسول ﷺ، على الوجه
الأسنى^(١):

١- على صنعاء، وبعض مخاليفها، شهر بن باذان، تولاها بعد وفاة
أبيه باذان، ثم فروز الديلمى، بعد مقتل الأسود العنسى الذى
قتل شهر بن باذان.

٢- على همدان ومخالفها: عامر بن شهر الهمداني.

٣- على مأرب، ومخالفها: أبو موسى الأشعرى، وكان أبو موسى
الأشعرى قد سبق له أن ذهب إلى اليمن لجمع الصدقات، ثم
عاد إلى المدينة مع على بن أبى طالب، وشهد حجة الوداع مع
الرسول ﷺ^(٢) ثم عاد إليها أميراً ضمن الأمراء الذين عينهم
الرسول ﷺ، وحدد لكل منهم منطقة لها حيز وحدود معلومة،
وذلك بعد حجة الوداع.

٤- على ما بين نجران، ورمع^(٣) وزيد: خالد بن سعيد بن
العاص، وكان خالد قد ذهب أول الأمر عاملاً على الصدقات

^(١) الطبرى، ٢٢٧/٢، ٢٢٨، ٣١٨، وسيرة ابن هشام، ٣٧٧/٢، والبلدانية وشهامة لابن كثر، ٣٤٦/١،
وابن خلدون، ٥٩/٢.

^(٢) البلدانية وشهامة لابن كثر، ١٨٨/٥.

^(٣) رمع: قرية، أو موطن أبي موسى الأشعرى، ببلاد الأشعرين، بالقرب من قسان الذى تفرقه جماعة من
الأزد، فمهاجرتهم لكان سد مأرب، ثم نزحوا إلى الضمال، وتوزعوا منهم من استوطن البصرة وما حولها --

مع قروة بن مسيك المراءى، قسى ولايته: مراد، وزيد
والأشعرين، وعند التعديل الجديد للولايات أنشئت ولاية قسى
المنطقة المذكورة، وتولاها خالد بن سعيد بن العاص.

٥- على مدينة الجند، ومخالفها: يعلى بن أمية بن عبدة التميمي،
وكان قد استقطعت من قروة بن مسيك بلاد زيد وضمت إلى
الجند، ولم يبق لقروة إلا مراد قبيته، فوليه، وكان تابعاً لولاية
الجند أيضاً.

٦- وقسمت بلاد حضرموت إلى ثلاث ولايات بين كل من: زيد
ابن ليث البياضي الخزرجي، وعكاشة بن أصغر الغوثي، الأردى،
والمهاجر بن أبى أمية المخزومي آخر أم سلمة أم المؤمنين، لكنه
تخلف في المدينة لمرضه، ونقل بها إلى أن توفي رسول الله ﷺ،
وكان قد بعث إلى زياد البياضي لينوب عنه في إدارة ولايته،
فأدارها خلال هذه الفترة حتى وقت الردة. وقيل: عين معاوية
ابن كندة على أرض كندة، وأفرد كل ولاية بميزها
وجلودها^(١) وكان ملوك حمير قد أسلموا، وبعضوا بإسلامهم إلى
النبي ﷺ: الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، والنعمان

— واللجنة: وطن، ومنهم من تقام دولة القمامة بالشام، معجم البلدان، ٦٨/٣، وصفة جزيرة العرب

للهمداني: ص ٣٧٠

(١) القطري، ٢٢٨/٣

وخر زرعته قيسل ذى رعين، ومعافر، وهمدان، وكان رسولهم
مالك بن مرارة الرهاوى، وقد حمل كتابها من ذى زرعته الى
الرسول ﷺ، وصادف وصوله المدينة عودة الرسول من غزوة
تبوك فى شهر رمضان ٩هـ، وأسلم مالك بن مرارة ومكث هو
بالمدينة يحفظ القرآن، ويتفقه فى الدين ولما عزم على العودة ففى
بداية عام ١٠هـ بعث الرسول خلفه وقد اوفى ربيع الأول
رئيسهم معاذ بن جبل، يتكون من: معاذ بن جبل، وعبد الله بن
زيد، ومالك بن عبادقة، ومالك بن مرة، وعقبة بن غمر وأخريين،
وانضم إليهم مالك بن مرارة لأنه اجتهد فى حفظ القرآن
الكريم والتفقه فى الدين ليتشروا فى بلدان اليمن، ومخاليقها،
وجميع أرضها وقراها، يعلمون الناس القرآن، وأسور دينهم
ويقضون بين الناس فيما يعن لهم، وكان الرسول ﷺ، قد علم
معاذ كيف يقضى بين الناس، ثم كان يبعث اليه بعد ذلك
الكتب تحمل أموراً تشريعية^(١) وكتب مع مالك الرهاوى كتاباً
الى ملوك حمير، جاء فيه: أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم
منقلبا من أرض الروم، فقلينا بالمدينة، قبلخ ما أرسلتم به ..
وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وأنه من أسلم من يهودى
أو نصرانى فإنه من المؤمنين، له ما هم، وعليه ما عليهم، ومن
كان على يهوديته، أو نصرانته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية ..

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٧٩، ١٨٠، وسورة ابن هشام، ٢٣٥/٤، والأموال لابن سلام، ص ٣٨.

وإذا أناكم وسلمى فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله ابن زيد، ومالك بن عباد، وعقبة بن عمرو، ومالك بن مرة، وأصحابهم .. وأمرهم معاذ بن جبل .. فاستوصوا بهم خيراً^(١) ولذا فإن معاذ بن جبل هو وأصحابه كانوا ينتقلون في تلك الولايات بأرض اليمن ليعلموا الناس ويفقهوهم، ويحكموا بينهم بالاضافة الى جمع الزكاة، ولم يأت أحد منهم بمعلقة موضوع الدراسة لأن مهمتهم كانت قاصرة على أرض اليمن، والقضايا التي تنوطنها، وحدث أن رجلاً من قبيلة عك ترك موطن قبيلته

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٨١، وطبقات ابن سعد، ٢/٤٤١، ٣٥٦، وكتاب الأموال للقسام بن سلام، ص ٣٩، والبلدية والنهاية، ٨٦/٥، ١١٦، ١١٧، وفيه: أن معاذ بن جبل لغزرجي الأنصاري، أحد خمسة حفظوا القرآن عن ظهر قلب على عهد رسول الله وتلقاه في أمور الدين، حتى صار من أعلم الناس بالحنابل والحرام، وكان شاملاً ومهماً، سعيًا كرمًا لا يسأله أحد إلا أعطاه حتى أصبح عليه دين يستغرق جميع ماله، وألغ عليه غراماه، فكلّم الرسول ﷺ، ليطلب من غرامه ليهاله، فرفضوا، فلم يرح أن ياح ما ملكه وكتبه بين غرامه، واستعمله الرسول ﷺ، مع عتاب بن أسيد بمكة ليعلم أهلها القرآن وأمر الدين، وظل بها إلى قبيل غزوة تبوك، فانتقل إلى المدينة وشك في تبوك عام ٩هـ مع رسول الله ﷺ، ثم لما عادوا منها وجدوا رسول ملك حمير بالمدينة، ومعهم مالك الرهاوي، فكان يباله كثيراً، ثم بعث الرسول إلى اليمن أميراً على مجموعة ليعلم أهلها القرآن الكريم، وأمور الدين، ويقضي بينهم، ثم ليبره في ماله لقاء ما يأخذ من سعاية في جمع الصدقات. فلما عاد من اليمن في عهد أبي بكر الصديق، وكان معه مال كثير ساس به، فأشار عليه عمر بن الخطاب بدفعه إلى أبي بكر ليعده ضمن مال المسلمين في بيت المال، فرفض أبو بكر وقال، هو لك لا أعاد منه شيئاً. ثم ذهب مع جيوش المسلمين إلى الشام، وكان حامل لواء لمدينة الحيش للمسلمين يوم اليرموك، وقيل توفي في طاعون عمولى عام ١٨هـ. بعد أن عهد إليه أبو عبيد بن الجراح قبل موته فسادات هو أيضاً، البداية والنهاية، ٩/٧، ١٠٠، والسيرة الحلبية، ٣/٢٦٢، والبيان في أنساب القرشيين، لمؤلف الدين بن قدامة، ص ٤٤١.

فى تهامة، وتوطن بلدة خيوان^(١) وهى من بلاد حمدان، فعرض له مالك بن مرارة الرهاوى، فركه العكبي وقدم على رسول الله ﷺ، بالمدينة فقال: يا رسول الله، ان مالك بن مرارة الرهاوى قدم علينا - فى خيوان - يدعو الى الإسلام، فأسلمنا، ولّى أرض فيها رقيق ومال، فاكتب لى بها كتاباً، فكتب له كتاباً جاء فيه إن كان صادقاً فى أرضه، وماله، ورقيقه، فله الأمان، وذمة الله، وذمة محمد رسول الله.^(٢)

وهذا يؤكد أن أرض عكّ الأصلية، وأرض الأشعرين التى غشت ولاية الطاهر بن أبى هالة، لم يدخلها معاذ بن جبل ورفاقه، لأنها خارجة عن نطاق مهمتهم، فمهمتهم محصورة فى أرض اليمن فقط، أما هذه فتابعة لإمارة مكة، وامتداد لأرضها.

ولكى نزيد تلك الارتباطات الادارية وضوحاً، لابد من التمسك لما أحدثته حركة الردة التى واكبت تنبو الأسود العنسى^(٣) وازداد لديها برفاة الرسول ﷺ وذلك الموقف على أسلوب مواجهتها، ومعرفة الوثائق الإدارية التى أتت حينذاك.

(١) خيوان : شمال صنعاء بمسافة ١٢٢ كيلو .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٩٣ .

(٣) الأسود العنسى ، هو : حيلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عيسى من ملحق ، كان كاهناً ،

مشعل ، يستعمل السحر ، وقبل كان له اتصال باليمن .

المسيرة ، ص ٤٠٥ ، والطبرى ١٨٥/٣ ، وابن الأثير ، ٣٧٦/٢ .

٣- حوكمة السردة :

بعد أن رجع الرسول ﷺ الى المدينة من حجة الوداع، أواخر ذي الحجة ١٠ هـ، رتب بعض الولايات التي كانت بحاجة الى ترتيب، وتحديد، وبعث عليها الأمراء، وفي أوائل الحرم ١١ هـ بعث المصلحين يلحق الوكاة، وصرفه في مصارفه، ثم بدأ تجهيز حملة يقردها أسامة بن زيد الى مشارف الشام. وحث الناس على الاستعداد للنهاب في جيش أسامة، ثم بدأ يشتكي من وجعه (الذي توفاه الله به) أواخر المحرم، وقيل: عقب انتهائه، وقيل لليلتين يقيتا من شهر صفر.^(١)

وعلا ل ذلك خرج الأسود العنسي على الناس متنبهاً، في النصف الثاني من ذي الحجة ١٠ هـ، عقب انسحاب جيش علي بن أبي طالب من المنطقة، وعودته الى المدينة، وقت حجة الوداع، ثم علم وصول بعض الأسراء الذين تم تعيينهم للولايات المحيطة به. وتشجع بعض شواذ القبائل له، الأمر الذي هباً له مجاحاً، وانتشر أمره، نظراً لقرب الناس بالجاهلية، ولذا اعتزلوا بهذا السبب عند عودتهم الى الإسلام، خرج العنسي من كهف عبان^(٢) واستولى هو وأتباعه على نجران، وأخرجوا منها عمرو بن

(١) الطبري ، ١٨٥/٣ .

(٢) كهف عبان : قرية بوادي عبان قرب نجران (معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٤٠) وقيل : بلعج ، ولذا سمى قبيلة : نخبة للذك ، وهي كانت داره، ونشأه ، وأرض عني ليلته كانت بالقرب من خلاص نمران

حزم، فالحجاز ابن حزم الى قبائل بحران التي ثبتت على إسلامها في «تغفار تعليمات، أو مدد يأتي إليه من المدينة، ويبدو أن ابن حزم ذهب الى المدينة لهذا الغرض، فوجد الرسول ﷺ، مرضى، فبقى بها الى أن توفي رسول الله ﷺ، وبعد ذلك رثب العنسي على ولاية خالد بن سعيد بن العاص، الواقعة فيما بحسran، ورمع، وزيد، فاستولى عليها، وانطلق الى صنعاء، فاستولى عليها أيضاً، وقتل واليها شهر بن باذان، وتزوج امرأته، وأبقى على فيروز الديلمي، ودأبوه الديلمي ليساعده في الادرة، وكان فيروز ابن عم امرئته شهر التي تزوجها العنسي، وقامت بنور كبر في تدبير وتنفيذ خطة الخلاص من العنسي فيما بعد.

كما رثب قيس بن المكشوح المرادي على فروة بن معيك المرادي، واستولى على مراد وأرضها والحجاز فروة الى من بقي على إسلامه من بطون مراد ومذحج وغيرهم الى مكان يقال له الأحسية^(١) ثم استولى العنسي واتباعه على الجند، وعدن، ثم بعض المدن الساحل جهامة الحجاز كالشرمة^(٢) ولم يستول على شيء من أعمال الطائف التي كانت حدودها الجنوبية ملاصقة للحدود الشمالية لولاية خالد بن سعيد، ولذا يقول المؤرخون: غلب الأسود على ما بين صيهد - الربيع الخنالي - الى عمل الطائف .. أي حدود عمل الطائف^(٣) وظل الطاهر بن أبي هالة مقيماً في

(١) انظر في كل ماسبق الطوى، ١٨٥/٣، ٢٢٠، وابن خلدون، ٦٠/٢، والتأليف والنهاية، ٣٤٧/٦.

(٢) الشربة ساحل للرسم.

(٣) انظر الطوى، ٢٢٠/٣، وابن خلدون، ٦٠/٢.

ولأقوامه - عك والأشعرين - وانحاز اليه بعض الأمراء كيمل بن أمية، بعد أن استولى العنسي على الجند (إشارة على) ولذا يقولون: إن عك معترضون عليه، أي لم يتبعوه واعتصموا طريقته. وكذا همدان وبحسب وكثير من القبائل اليمنية لم يستجيبوا له.^(١)

وكان أول من كتب إلى الرسول ﷺ، عن عمر العنسي، قسوة بن مسيك المرادي^(٢) فرصله الخير وهو بحث الناس على الخروج في جيش أسامة، فكتب إلى نفر من الأقبال والأنباء ليجمعوا رجالاً ممن ثبتوا على إسلامهم لمحاربة العنسي، كما كتب إلى الأمراء في ولاياتهم يخبرهم على التصدي للأرد، ممن ثبتوا لديهم على إسلامهم - ويخرج جرير بن عبد الله البجلي من المدينة حاملاً كتب النبي ﷺ، إلى كل من: ذي الكلاع، وذو ظليم، فإذا فرغ فليطلق إلى بحران، وكان كتاب النبي ﷺ إلى أهل بحران كتاباً عاماً جاء فيه: إلى أهل بحران، إلى عريهم، وإلى ساكني الأرض من غير العرب .. ثم ختم فيه على التماسك، والتصدي للعنسي .. فانحازوا في مكان واحد، وتجهلوا لمواجهة العنسي^(٣) كما أرسل الرسول ﷺ، وبسر ابن جحش الأزدي - وقيل: الديلمي - إلى دافوسه، وحشيش، وهم من الأنباء، وإلى بعض الأقبال، ورؤساء القبائل، والأمراء في ولاياتهم، فذهب أول ما ذهب إلى معاذ بن جبل في السكون بمضرموت، وتحرك معه معاذ

^(١) تاريخ الخميس في أحوال أئمة قيس، للبخاري، ٢٠٢/١، وابن الأثير، ٢٢٦/٢، ٣٢٧.

^(٢) طبري، ١٨٧/٣.

^(٣) طبري، ٢٢٦/٣، وابن الأثير، ٢٢٨/٢.

الى من يحمل اليهم كتباً، وعملاً معاً على جميع الناس، ودعبل ابن يحيى صنعاء خفية والتقى بفيروز وأصحابه وأطلعهم على كتب رسول الله، وحثهم على التخلص من العنسى، إما بالمواجهة، أو غيلة^(١) وكان من حسن حظهم أن قيس بن المكشوح اختلف مع العنسى، وبدأ يعمل ضده^(٢) وأخيراً تمكن فيروز، وداؤويه، وقيس، من قتل الأسود العنسى غيلة بمساعدة من زوجته^(٣) وجاء الخبر من السماء الى النبي ﷺ، ليلة مقتل العنسى، فأخبر أصحابه قائلًا: إن الله قد قتل الأسود الكذاب، قتل البارحة^(٤) واصطلحوا على أن يتولى الأمر في صنعاء بصفة مؤقتة معاذ بن جبل، حين بعث الرسول ﷺ، والياً عليها، وكتبوا بخير العنسى، وأمره الولاية الى رسول الله، فوصل رسولهم المدينة أنحر النهار الذي توفي في صباحه رسول الله ﷺ^(٥) وقيل: وصل ثلثي يوم الوفاة، وآلت الإمارة الى فيروز، لأن معاذ قدم الى المدينة عند سماحه خير وفاة الرسول ﷺ، ثم أقره أبو بكر عليها عقب توليته الخلافة.

كان بعض أتباع العنسى قد فروا من صنعاء عقب مقتله، واتخذوا المنطقة التي بين بحران ورمع وزيد مقراً لهم، أي ولاية خالد بن سعيد

(١) الطبري، ٢٣١/٣، وابن خلدون، ٦٠/٢، والبدلية والنهاية، ٣٤٧/٦، وابن الأثير ٣٣٨/٢.

(٢) الطبري، نفس الجزء والصفحة، والبدلية والنهاية، ٣٤٨/٦.

(٣) الطبري، ٢٣٥/٣، والبدلية والنهاية، ٣٥٠/٦.

(٤) الطبري، ٢٣٦/٣، ٢٣٦، وابن الأثير، ٣٤٠/٢، ٣٤٦.

(٥) الطبري، ٢٣٦/٣، والبدلية والنهاية، ٣٥٠/٥.

السابقة. أما نجران فقد هب أهلها بطرد اتباع العنسى. عجزد سمعهم خير مقتله.

وشاع خبر وفاة الرسول ﷺ، فتصدعت له القلوب، واضطربت الأرض، واستيقظت الفتنة، وصار العرب مابين مرتد، ومنايع للصدقة (الزكاة) وواقف ينظر يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، وللمسلمون حيارى بين فراق لبيهم وقائلهم يحضرهم الألم، وبين ذئاب تريض فريستها.

وكان الله قد ادخر أبى بكر الصديق - المتسم بالطيبة والوداعة طوال حياة الرسول - لحلا المرقف العصب من دهشة الوفاة، ثم السقيفة، ثم ردة العرب، وأصبح هو فى جانب، وغالبية أولى الرأى والمشورة من الصحابة فى جانب، حيارى ردة العرب يقول له عمر: تألف الناس، وأرفق بهم، فيحييه أبو بكر بمحجب: أحيار فى الجاهلية، حيارى فى الإسلام يا عمر! قد انقطع الوحى، وتم الدين، أينقص وأنا حى؟ لا والله^(١) والله لى منعونى عقاب بعير كانوا يؤمنونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(٢) ثم مالئ الصحابة أن رأوا صواب ما ذهب إليه أبو بكر، فحملوا الله على قيادته لهم بعد وفاة رسول الله، وأبطلوه وتناصروه.

^(١) تاريخ الخميس، للبيهق بكرى، ٢٠١/١، الطوى، ٢٤٢/٢، والبدية والنهاية، ٣٥١/٦.

^(٢) الطوى، ٢٤٤/٣، أراد بالمثال الخيل الذى يظل به البعير الذى كان يؤخذ للصدقة، فقد كانت تؤخذ بعقلها، أى أن المثال على صاحبها، وقيل للتسود أكل شيء كانوا يلحقونه ولو ما يتأهل من قتال البعير، ثم رفضوا دفعه للقاتلهم حتى يضره.

وكان بعض السوالة قد تركبوا أماسكتهم فى إمارتهم، وقدموا الى المدينة عقب سماعهم برفاة الرسول ﷺ، وبكى الكثر فى واقعهم تحسبا لآى خطر يداهم للمسلمين فى هذا الموقف العصيب، بل إن بعضهم قام بدور مشابه لما قام به أبى بكر الصديق، خليفة رسول الله - من التصدى للمرتدين، وترسيخ دعائم الإيمان فى قلب الذين ثبتوا ..

فمثلاً سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أحد زعماء قريش وعظيبتها وشاعرها المقود، الذى فاض الرسول ﷺ نيابة عنها يوم الحديبية ٦هـ، وركب الصعب فى مفاوضاته يومها، حتى تغيب عنه بعض المسلمين وفاض صبرهم. أسلم سهيل يوم الفتح، وحسن إسلامه، وظل هو وكثير من زعماء قريش بمكة بعد إسلامهم، ولم يهاجروا الى المدينة لأن الرسول قال: لا هجرة بعد الفتح، فكانوا عوناً لأمر مكة عتاب بن أسيد فى استقرار الأوضاع والأمن فى بلد الله الأسن، وفيما حوله، أو يبعه من عمالات، وكان سهيل قد أسر ضمن من أسروا من المشركين يوم بدر، ولما عرض على الرسول ﷺ، تقدم عمر بن الخطاب وقال للرسول: دعنى يا رسول الله أنزع ثيغه^(١) حتى يلدغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً، أو يهجر بك بشعر بعد اليوم، فقال الرسول: دعه يا عمر، فلعله يقوم مقاماً تحمله فيه، ولا تمنعه^(٢) فلما كان يوم وفاة الرسول ﷺ، واضطربت

(١) أى ما تشتم من أسنانه ، حتى يلدغ ، وبكى رواية ، أى لا يطيح نطق الحروف نطقاً سليماً .

(٢) البداية والنهاية ، ٣١٤/٥ ، التميمى فى أسواق أنفس نفيس ، للذمار بكرى ، ٢٠١/١ .

الأرض، ودارت همهمه في مكة تحدثت عن ردة بعض القبائل، وحشى عتاب بن أسيد أن يكون لها صدى ببلد الله الآمن، فقام سهيل خطيباً في المسجد الحرام: فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر أن فساد الرسول ﷺ، أمر قضى به الله، شأنه شأن سابقيه من الرسل، وأن الله نعاه إلينا وهو بمن أظهرنا، وأنه لم يفارقنا إلا بعد أن كملت الرسالة، وأدى الأمانة، وأن الإسلام أصبح في قوة، فمن راننا أمره ضربنا عنقه دون هوادة^(١) عند ذلك خاف الناس، وكفت الألسنة، أليس هذا هو الموقف الذي قصده الرسول ﷺ في إجابته على عمر يرميها؟ سبحان مغير القلوب!

وفي الطائف وقف أمرها عثمان بن أبي العاص، خطيباً في ثقيف فقال: ناشدكم الله ألا تكونوا أول الناس ارتداداً، وأعرضهم إسلاماً^(٢) وكذلك قام عوف بن مالك النصرى في الأحلاف وبعض البوادي وتوعد من يرتد عن الإسلام، ولذا قالوا: ثبت على الإسلام عقب وفاة الرسول ﷺ، ما بين المسحدين، وهذيل، وأهل السراة، وبجيلة، وعثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقال أبو هريرة: لم يرجع واحد من حوس، ولا من السراة كلها^(٣) وكذلك لم يرجع كثير من القبائل. فمثلاً يقول أبو مرزوق التميمي — من قبيلة بجيب باليمن — لم يرجع واحد منا من بجيب، ولا من همدان، ولا من الأبناء بصنعاء، ولقد جاء خير وفاة رسول الله ﷺ، إل

(١) البداية والنهاية ٣١٤/٥ .

(٢) تاريخ الخميس، للذهبي، ١/٧٠٧ .

(٣) تاريخ الخميس، للذهبي، ١/٧٠٧ ، نفس الصفحة .

الأبناء، فشقت نساؤهم الجيوب، وضربن الحنود، وهن في ذهول، وفيهم
المرزبانة، فشقت جرْعَهَا^(١).

وعلى كل فقد ظلل أميرا مكة والطائف، ومن يساعدهما من
رؤساء البلدان والقبائل والعشائر، متيقظين لأية بادرة تظهر في ولايتهما،
وتواجههما حتى تواترت الأخبار إلى مكة بتجمع ضيفل من شذاذ بعض
القبائل - مدليج وخزاعة، وكثانة - يقودهم حنطب بن سلمى، أحد بني
هشوق المدليجي، تجمعوا، يمكن يقال له: الأبارق، بتهامة، فيما بين مكة
والمدينة. فبث عتاب بن أسيد كتيبة قادها أخوه خالد بن أسيد، فشقت
جمعهم، وأعادهم إلى صوابهم، حتى ندموا على ما فعلوا، وقال في ذلك
قالهم، حنطب بن سلمى، نادماً على ما كان منه:

ندمت وأيقنت الغداة بأنسى أتيتُ التي يبقى على المرء عارها

شهدت بأن الله لا شيء غيره بنى مدليج فالله ربي وجاؤها^(٢)

وكتب عتاب بن أسيد إلى أبي بكر خليفة رسول الله، مبشراً.

وفي إمارة الطائف حدث أيضاً أن تجمعت شرقة من شواذ بعض
القبائل - عثهم، وبجيلة، والأزد - تحت قيادة حموضة بن النعمان الأردى،

(١) تاريخ الخميس، للديار بكرى، والدرج، طبعة العامة للنساء في عصرنا الحاضر.

(٢) الطبرى، ٣/٣١٩، وابن خلدون، ٢/١٨.

فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص كتيبة قادها عثمان بن ربيعة الثقفي،
ففض جمعهم، وأعاد الرشد إلى حقولهم. وفي ذلك قال عثمان بن ربيعة:

ففضنا جمعهم والنقح كتابي وقد تُعِدُّ على الغدر الفسوقُ

وأبرق بارق لما التقينا فمادت نخلًا تلك البسوق

وفي عمالة الطاهر بن أبي هالة - بأرض عك والأشعرين بتهامة،
وكانت امتداداً لعمالة مكة - تجمعت طائفة من شواذ القبائل، عندما سمعوا
خبر وفاة الرسول ﷺ، وكانوا على غير رئيس منهم، فكسب الطاهر بن
أبي هالة إلى أبي بكر، ثم سار إليهم ومعه مسروق العكي، وكانوا قد
تجمعوا بالأعقاب بالقرب من الساحل. فهزمهم وشتت جمعهم. وقتل
منهم كثيرين ليرهب غيرهم، وجاءه كتاب أبي بكر، رداً على كتابه، وقد
فرغ منهم، وأقام هو ومسروق العكي في هذا المكان ليأمن الطريق.
ويتنظر تعليمات جديدة من أبي بكر.

وفيما عند هذه الأحداث الثلاثة فلم تكن في ولايتي. مكة
والطائف ما يعكر صفو الأمن فيهما. وأصبحتا عوناً للإسلام، وللولة
الإسلامية، بقيائهم وأبنائهم الذين تحت الألوية التي عقدها لهم الرسول
ﷺ، قبل وفاته.

كانت نلول العنسي الذين هربوا من صنعاء ليلة مقتله، قد انتحروا
المنطقة فيما بين رمح، وأبين، وزيد - وهي الولاية التي كان فيها خالد بن
سميد بن العاص - مركزاً لهم، ونشاطاً لتحركاتهم وإفسادهم، ويهددون

بللك إمارة بحران، وحزوب ولاية الطلائف، وحزوب عمالة مكة القاسم فيها الطاهر بن أبي هالة، وذلك بالإضافة إلى صنعاء والمناطق الشرقية لمركز تلك القلول، وبخاصة بعد أن انضم اليهم مرة ثانية قيس بن المكشوح، وزحف بهم على صنعاء فاستولى عليها، وهرب فيروز الديلمي أميرها إلى أحواله من حولان. فأمسك ابن المكشوح أبناء فيروز وأبناء غيره ممن أصلهم فارسي، ويطلق عليهم الأبناء، وأراد تقيهم عن البلاد، وسبهم مع حراس ليحملوهم في البحر الأحمر إلى بلادهم فارس فاستصرخ فيروز بقبيلة بني عقيل بن ربيعة بن عامر، وبقبيلة حك لينتفروا أبناء، وغلانته من حراس ابن المكشوح قبل أن يدفعوا بهم إلى البحر، فأنقذوهم وأعادوهم إلى فيروز، ووقفوا بحاجته بعد ذلك ضد ابن المكشوح^(١) وتلقى الطاهر بن أبي هالة تعليمات أبي بكر بالتحرك هو ومسروق العكي لمساعدة فيروز. واستطاعوا جميعاً استرداد صنعاء من ابن المكشوح، وعاد فيروز إلى إمارتها.

ونظراً لتساقم الخطر في هذه المنطقة — أي ما بين رمع وزبيد، الملاصقة لحزوب كل من ولاية مكة، والطلائف، وبحران — لتركز حالة العنسي بها، وضرورة القضاء على ذلك الخطر قبل أن يمتد أثره إلى مناطق أخرى، وبخاصة إلى عمالة مكة المكرمة، منطقة الحرم وأرضه، فقد أصدر أبو بكر خليفة رسول الله، عدة توجيهات وتعليمات تحمل طابع السرعة

(١) الطبري، ٣٢٦/٢، وابن خلدون، ٦٨/٢.

وغالب الظن أنها لم تتخذ في أية منطقة أخرى إبان فترة الردة، مما يؤكد على حرصه البالغ لأهمية استقرار الأمن فيها، وفي كل ما يحيط بها من مناطق، وأنه أوكل مهمة «استقرار الأوضاع فيها، وعلى حدودها إلى أبنائها على وجه الخصوص، فقد خرجت توجهاته كالآتي:

- كتب إلى عتاب بن أسيد، وإلى مكة وأرضها، أن يضرب (أي يفرض) على أهل مكة وعملها تجهيز خمسة رجل مقو، أي كل منهم بكامل استعداداته القتالية، وأن يولى عليهم قائداً يأمنه، ويشق في قيادته، ويتنظر تعليمات أخرى^(١) وكان هذه مرحلة استنفار عام، أو طوارئ واستعداد للدخول لمعركة.

- كتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب (أي يفرض) بعضاً على أهل الطائف، وغاليفها، كل بخلاف بقدره، أي على كل قبائل السراة، وأعراض الطائف، كل قبيلة أن تجهز من الرجال بقدر حجمها، وقوتها، وأن يكون كل منهم بكامل استعداداته القتالية، ويولى عليهم من يأمنه ويشق فيه، ولما أقيمت إلى عثمان جموع تلك القبائل وكلى عليها أنصاه عید الرحمن بن أبي العاص، وانتظر باقي التعليمات من أبي بكر.^(٢)

(١) الطبري، ٣/ ٣٢٢، وابن خلدون، ٢/ ٦٨.

(٢) الطبري، نفس الجزء والسقمة، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة، وفيهما أنه طلب من كل قبيلة، أو بعض منها.

كان عمرو بن حزم قد انحاز الى بعض قبائل بجران عندما استولى
 العنسي على بجران أوائل المحرم عام ١١٠ هـ، وكتب الى رسول الله ﷺ
 فكتب الرسول كتابا عاما الى أهل بجران، وإلى عربهم وإلى ساكني الأرض
 من غير العرب^(١) وربما يكون هذا الكتاب من أواخر الكتب التي صدرت
 عن الرسول ﷺ ولذا انحازت قبائل بجران في مكان واحد، وأعلنت استعداد
 لمراجعة العنسي فإذا به يترك بجران ويتجه الى صنعاء فاحتلها، وبقيت له
 بقية بجران أخرجهما أهل بجران عندما علموا بمقتله، أما ابن حزم فإنه
 عندما علم بمعرض الرسول ذهب الى المدينة، وظل بها بعد الوفاة،
 وأصبحت بجران حرة وال. لذا فإن أبكر تدارك هذا الموقف وأمر جرير
 ابن عبد الله البجلي، بأن يخرج الى السراة، ويقود ما يقدر على جمعه من
 رجال قبيلته بجيلة والقبائل الأخرى، ويقاتل بهم من يسمع أنهم ارتدوا،
 من شرادم الناس، ثم يتجه بعد ذلك الى بجران فيقيم فيها، حتى يأتيه
 أمره.^(٢)

— كتب أبو بكر الى عبد الله بن ثور بن أصغر الغوثي، الأزدى،
 أن يجمع جموعاً من قبائل وسط تهامة وعسير، ويقوم مكانه حتى يأتيه
 أمره.^(٣)

(١) الطبري، ٢٢٢/٣.

(٢) الطبري، ٢٢٢/٣، وابن خلدون، ٦٨/٢.

(٣) الطبري، ٢٢٨/٣، وعبد الله هذا هو أمر عكاشة بن ثور، أحد الزلاء الثلاثة الذين ولاهم رسول الله ﷺ بكرة
 حزم موت.

- كتب الى الطاهر بن أبى هالة، بأن يسير معه مسروق العكسي، نحو ولاية أرض صنعاء لمساعد فيروز والأبناء ضد قيس بن المكشوح، بفرض العمل على استعادة صنعاء منه، وذلك بعد أن تأكد أبو بكر من أن عمالة الطاهر أصبحت مستقرة.

- ثم عقد أبو بكر لواء للمهاجر بن أبى أمية المخزومي - آخر أم سلمة أم المؤمنين - وكان الرسول ﷺ، قد ولاه كندة بمضرموت لكنه مرض وبقي بالمدينة. وكتب المهاجر الى زياد بن لبيد الياضي، الخزرجي بإدارة إمارته نيابة عنه لحين حضوره، ثم توفى رسول الله والمهاجر لم يرحل للمدينة بعد، فعقد له أبو بكر لواء يقاتل به الفارين للتمردين من أتباع العكسي، الذين يهددون جنوب كل من ولاية مكة والطائف، وبحران. وقد انقلوا المنطقة فيما بين بحران ورمح وزيد مركزاً لهم، فإذا فرغ منهم فليذهب الى ولايته بمضرموت، وكان للمهاجر يخبر أعمر الألوية التي عقد لها أبو بكر، وخرجت من المدينة الى كل الجهات أو بالأحرى من ذي القصة، كانت تعليمات أبى بكر الى المهاجر أن يتخذ مكة طريقه لتنضم اليه الحشود والقوات التي سبق أن طلب من الولاة تجهيزها، وحمل المهاجر كتيباً لهم من أبى بكر بانضمامهم اليه، وتحت قيادته، فمصر المهاجر عكة فانضم اليه خالد بن أسيد بقواته التي سبق تجهيزها، ومر بالطائف فانضم اليه عبدالرحمن بن أبى العاص، بقواته، ثم سار حتى انضم اليه عبد الله بن ثور حين حازاه بالسراة، وأخيراً انضم اليه جرير بن عبد الله البجلي، عن

معه من قوات، حيث أصبحت بحران هادئة^(١) وانضم إليه أيضا فروة بن مسيك، وكان عمرو بن معد يكرب، قد وثب عليه، وخلصه عن ولاية قبيلته مراد، فأقبل فروة الى بحران فأقام فيها مع جرير بن عبد الله البجلي حتى قد قدم المهاجر بن أبي أمية فانضم إليه، وسار جميعهم تحت قيادة المهاجر الى منطقة مركز القالة المتمردين أتباع الأسود، وعند دخوله المنطقة التى بها التمردون، استسلم كل من عمرو بن معد يكرب، وقيس ابن المكشوح، فيضهما المهاجر لأبى بكر، فأتيهما ثم عفا عنهما وحسن إسلامهما، وأبلىا بلاء أحسنأ خلال الفتوحات الإسلامية، ثم مالبت عكرمة أن تقدم بجيشه الى المنطقة، وأسهم مع المهاجر فى القضاء على شراذم الفسائين بالمنطقة، ثم تقدم المهاجر الى صنعاء التى كانت قد استقرت الأمور فيها بجهود كل من فيروز والطاهر بن أبى هالة، وتولى الأمر فيها فيروز، ومنها كتب المهاجر الى أبى بكر بكل الذى صنع، وانتظر تعليمات أبى بكر قبل أن يتحرك الى ولايته فى حضرموت، فجاءه كتاب أبى بكر بأن يسير مع عكرمة لنجدة زياد البياضى، ثم ينهب لولايته، وقبل أن يتحرك من صنعاء عليه أن يأذن لمن معه، ومن انضم إليه من أهل ولاية كل من مكة، والطائف، وبحران، ويخالفهم أن يعرفوا لمواطنهم إلا أن

(١) الطبرى، ٣٢٩/٣، ابن خلدون، ٦٨/٢، ويقول ابن خلدون (إن تعليمات أبى بكر الى المهاجر ابن أبى أمية بأن يسير الى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ الى عمله، وأمره يقاتل من هم بين بحران وأقصى اليمن) وهذا واضح بأن المنطقة التى كان يقم بها الفارون أتباع العنسى، وهى ما بين بحران، ورويح، وزيد، هى أقصى بلاد اليمن. أى أحرها شمالاً، وهى الجاذرة لحضرة ولاية مكة والطائف من الجنوب.

يوثر أحد منهم الجهاد، فيسير معه. ثم أمده أبو بكر يعبيدة بن سعد^(١) وهذه أيضا من التعليمات التي لم تصلر لأى قائد بشأن مواطنى أية منطقة خلاف مكة والطائف ومخالفيهما، ولذا نلاحظ أن جرير عاد واستقر فى بجران يدبر شعونها، وبعد ذلك ذهب الى المدينة ليستأذن أبا بكر فى الذهاب الى ميادين المقترحات.

أما عكرمة فظل بمنطقة ما بين رمع وزيد، بعد أن عاد لها الاستقرار فى انتظار تعليمات أبى بكر، فاذا به يصله كتاب أبى بكر يطلب منه سرعة السير الى زياد بن أبيد البياضى لنجدته، فانطلق عكرمة بمن معه من جنود الى صنعاء ومنها سار هو والمهاجر بمن معهما من جنود الى حضرموت لنجدة زياد^(٢) وما يلاحظ أن من أورد نص كتاب أبى بكر لعكرمة لنجدة زياد، قال إن عكرمة كان بمكة، أوتباله^(٣) لكن الصواب أنه كان بالمنطقة التى عركز فيها الفارون أتباع العنسى وهى ما بين رمع وزيد .. ربقى فيها بعد أن تم القضاء على المتمردى فى انتظار تعليمات أبى بكر، وأن الذى غادرها هو المهاجر، ذهب الى صنعاء وغالب الظن أنه حدث خلط بين استدعاء عكرمة لعقد لواء له وبين تكليفه بنجدة زياد، ذلك أن عكرمة كان قد عين أواخر عهد الرسول ﷺ، والياء ومصدقاً على عجز هوازن أى منطقة تربة وما حولها، ولما تنبأ العنسى واستولى

^(١) الطبرى ، ٣٢١/٣ .

^(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد القبرى ، ص ٣٠٢ .

^(٣) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد القبرى ، ص ١٣٠ ، ٣٠٢ .

عسى بجران ذهب عكرمة الى تبالة لمراقبة العنسي، وجمع ما يقدر على جمعه من أبناء قبائل المنطقة، لنسح العنسي من القفر الى ولايتي مكة والطائف فيما لو فكر في ذلك. وبعد وفاة الرسول ﷺ وتولية أبي بكر، استدعاه أبو بكر من تبالة الى ذي القصة^(١) التي اتخذها أبو بكر مقراً له لعقد الألويسة وتحريك الجيوش الى المناطق لمواجهة الردة، وكان أول لقاء عقده هو لقاء عكرمة وأمره بالسير الى مسيلمة باليمامة واتبه بشر حبييل بن حسنة^(٢) لكن عكرمة تعجل الاشتباك بمسيلمة قبل وصول شرحبيل ففُتس بهزيمة، فكتب الى أبي بكر، فجاهه خطاب أبي بكر حاملاً ثانياً ولوماً، وأمره بالسير إلى عمان ومهرة لمساعدة حذيفة بن اليمان، وعرفمة بن هرملة، ثم ليكن وجهته بعد ذلك منطقة غالة العنسي، ليقابل هناك للهاجر بن أبي أمية^(٣) وقد نفذ عكرمة تعليمات أبي بكر، ووقفه الله كل الترفيق، بعد الهزيمة الأولى وانتظر تعليمات جديدة من أبي بكر وهو بهذه المنطقة — ما بين رمع، وزبيد — فجاهته تعليمات أبي بكر بالسير الى بحدة زياد بن لبيد الليثاني، في حضرموت، وليس إلى ديسا وعلان كما جاء في نص الكتاب، أو فيما فهم خطأ من أنه ورده وهو بمكة أو تبالة.

(١) ذو القصة، قل: على بعد برید من المدينة لتقاء بعد، وقاء الوفاء ٣٦٧/٢ وقيل: بينها وبين المدينة ثلاثون ميلاً، أي ٤٨ كيلو متر تقريباً المناسك وأماكن طرق الحج لأبي بكر على المعرى ص ٢٣٠، وانظر الطبري، ٢٥٤/٣.

(٢) الطبري، ٢٤٩/٣.

(٣) الطبري، ٢٨١/٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٧.

وعمرها فإذ المنطقة تكثرن بذلك قد هدأت، وزال الخطر الذى كان يهدد جنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران، واتجهت جهود أبناء تلك الولايات الثلاث وغيرهم، الى الفتوحات الإسلامية.

والمهم أن الولايات الثلاث ظلت معروفة بما يتبعها من بوايد، وعاليه، وأحواز، على نفس هذه الحدود والممال^(١) بالرغم من هجرة بعض القبائل أو نقلها من مكان لأخر، أو حتى مع زحفها على مجاورها من مناطق لم تكن يحرزتها من قبل، وذلك إبان الفتوحات الإسلامية، ونزوح العديد من بطون القبائل الى البلدان المفتوحة فبالرغم من تحركات بعض القبائل من مواطنها إلا أن حدود الولايات ظلت معروفة على هذا الوضع، وسجلت فى الدواوين التى أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب وبخاصة فى ديوانى الخراج، والأعطيات، وتأكد تثبيتها، ومن ثم إيضاحها أكثر فى عهد الخليفة المأمون عندما جمع العلماء، وعهد إليهم بوضع جغرافية للأمصار والولايات، وبسط العلماء فى تصنيف كتب البلدان والمعاجم، لتحديد الأماكن والبلدان وقياسات المسافات بينها.

(١) وحدد كثير من المؤرخين اليمن ثلاث ولايات : صنعاء وعاليها ، وسمر موت وعاليها، والهند وعاليها (وهى تهامة اليمن) ثم بعد فترة استلت على مكان مدينة الجند ، كتفاعة لهذه المنطقة أو للولاية ، وكانت جميعها تحت ولاية وال واحد أو أكثر وفق الظروف . انظر ابن خردادبة ، ص ١٣٤ .

ولابد بهذا أن نستيق الأحداث التاريخية، فسوف يمر بنا ما يؤكد هذا القول ويدعمه، غير أن مقتضى الحال هنا يستوجب علينا أن نشير إلى نقطة مهمة فيما نحن بصدده من سرد أحداث تلك الفترة.

كان نصارى بخران عندما علموا بوفاة الرسول ﷺ، وتولية أبي بكر الصديق خليفة له، بطشوا وفشا إلى خليفة رسول الله، ليحدد لهم عهد الرسول الذي أعطاه لإياهم. فكتب لهم أبو بكر كتاباً جاء فيه: هذا كتاب من عبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله ﷺ، لأهل بخران^(١) أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ، إلا ما رجع عنه عهد ﷺ، بأمر الله عز وجل، في أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان^(٢) أجارهم على أنفسهم بعد ذلك، وملتهم، وسائر أموالهم، وحاشيتهم، وعاديتهم، وغايبهم، وشاهدتهم، وأسقفهم، ورهبانهم، ويهمهم^(٣) وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم^(٤) فإذا أفوه فلا يعشرون، ولا يعشرون^(٥) ولا يغور أسقف عن أسقفته، ولا راهب عن رهبانته، وولى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ،^(٦) وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة

(١) أي للصارة من أهل بخران، ذلك أن أهل بخران لم يكن كلهم نصارى، وإنما كانت فيها قبائل عربية جديدة أسلمت، وهذا أيضاً يفهم من نص هذا الكتاب الذي كتبه لهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - .

(٢) سبق لنا العرض لا ورد بشأن هذا الموضوع، انظر ص ١٣٥ - ١٤٠ من هذا البحث .

(٣) البويج : جمع بعة، وهي الكنية، وسرايح للرهبان .

(٤) أي عليهم ما سبق أن فرضه عليهم الرسول ﷺ، مود زبالة أو تيمان

(٥) أي فلا ينرض عليهم بحث للمشاركة به في الغزاي، ولا ترسل عليهم الجيوش لغزوهم .

(٦) الطبري، ٣/٣٢١، ٣٢٢، وصحوة الوثائق السياسية، ص ١٥٨، ١٥٩ .

محمد رسول الله ﷺ، وجوار المسلمين، وعليهم النصع والإصلاح فيما
عليهم من الحق.

وفيل الطبري هذا النص بخبر - دون أن يتحرى مدى مصداقيته -
يقول: إنه كان لدى نصارى بخران - في ذلك الوقت - أربعون ألف مقاتل،
من بنى الأفقي، الأمة التي كانوا عليهم قبل بنى الحارث بن كعب^(١) ولا
ريب أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، فنصارى بخران كانوا قلة بالقىاس إلى
بقية سكان بخران من القبائل العديدة التي أسلمت^(٢) ثم إن بخران بكامل
سكانها تعد منطقة محدودة بالقيل إلى غيرها من مناطق شبه الجزيرة
العربية، والمسلمون كانوا يشغلون مساحة أكبر منها بكثير، وقت فتح
مكة، ومع ذلك ما من جيش للمسلمين يومها كان عشرة آلاف رجل،
وعندهم يوم حنين، الذي تهاوا فيه يكرتهم، وقالوا: لن نغلب اليوم عن
قلة، لم يرد عددهم عن خمسة عشر ألف رجل، في إحدى الروايات
المتفائلة، وجيش المسلمين يوم اليرموك، الذي حشروا فيه كل طائفتهم، لم
يتجاوز ثلاثين ألفاً، ويوم القادسية بعد استنفار عمر كافة القبائل في شبه
الجزيرة العربية، لم يصل عددهم أربعين ألف رجل فكيف يكون لدى بنى
الأفقي أربعون ألف مقاتل؟ وبالعطى مختلفهم آلاف مؤلفة من المسلمين،

^(١) الطبري، نفس الجزء والمقدمة، ومجموعة الوثائق السياسية نفس المقدمة، وفلافري، ٧٦/١.

^(٢) انظر وفود القبائل على الرسول ﷺ من بنى الحارث بن كعب وشيوخهم من قبائل بخران، مجموعة الوثائق
السياسية ص ١٣٤ - ١٣٩.

والنساء والأطفال غير القادرين على حمل السلاح^(١) ثم يرحى إليهم أبى بكر الصديق - في هذا الوقت بالذات، وقت ردة العرب - بأنهم فى طريقهم الى الجلاء عن أرض العرب، إن عاجلاً أو آجلاً، حيث جاء فى نص كتاب أبى بكر لم: (.. وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب، ألا يسكن بها دينان) ويسمعون هذا لأول مرة^(٢) ويتلقونه كتابة من أبى بكر دون أن تفتح لهم شفاه، ولو بمجرد الاستفهام! ثم الى من يعدون هؤلاء الأربعون ألف مقاتل، اذا لم يستفلوهم فى هذا الوقت العصيب الذى يمر به المسلمون، أو حتى وقت جلائهم! ثم من هم بنو الأقبى؟ لقد انتهت رياستهم لنصارى بخران منذ زمن بعيد وخرجوا^(٣) ولو افترضنا أن أحدا منهم كان باقياً خلال تلك الأحداث التى تناولها فهم أفراد مغضوبون لا ذكر لهم، ولا صيت.

إن أمثال هذه الأرقام خيالية وردت كثيراً فى أخبار الأمم فى عصر ما قبل الإسلام ولم يتناولها أحد فى غالب الأحيان بالتمعين. أما إذا

^(١) ومعروف أنه عند الاستغفار لدى أية دولة حديثة، أن نسبة من يتم إعدامهم للمعتدين لا يتجاوز ربع السكان بأتى حال.

^(٢) فقد ثبت أن هذا من أمر ما نطق به النبى ﷺ

^(٣) بنو الأقبى هم أبناء رهم بن مرة أدد بن لبد بن يشجب بن عريب بن زيد كهلان، وكان منهم الأقبى الذى كانت العرب تتحاكم فيه بخران، ويقول صاحب البصرة: إنهم خرجوا بنى هذرا وليس لهم عقب على قيد الحياة فى عصره.

أنظر المجهرة ص ٤١٧، ٤١٨.

وردت ضمن التاريخ الإسلامى فينبغى أن نوضح تحت مبضع التشريح، ذلك لأن البعض - وبخاصة المستشرقين - يستغلونها لبحث سمومهم الناقعات للنيل من الإسلام، ومن خلفاء الرسول ﷺ وليس أدل على ذلك مما قاله المستشرق الألماني (يوليوس قلهوزن)^(١) فقد أتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، بالإحتلال بالعهد إحتلالاً منكراً، وأكسره نصارى بخران على الجلاء عن جزيرة العرب، وأنه تسبب فى نقصهم وضعفهم فى البلاد التى انتقلوا اليها، حتى أن عمر بن عبد العزيز فى خلافته أمر بإحصائهم، وهم بجزائرية الكوفة بالعراق، فوجدهم أربعة آلاف فقط بدلاً من أربعين ألفاً. فتبين أنهم على العشر من عددهم وعدتهم السابقة، فخفف عنهم الجزية الى العشر، وقال هذا للمستشرق: (.. فالزعم ما تلى حلة بدلاً من ألفين، أو بعبارة أخرى ثمانية آلاف درهم بدلاً من ثمانين ألفاً، وربما أراد عمر بن عبد العزيز بذلك من وجه ما، أن يصلح ظلم عمر بن الخطاب لهم)!!

وهكذا انتهى قوله! وليته يدرك أن الإسلام أقوى بكثير من كل السهام المصبوبة إليه فى كل عصر وزمان، وهو باق ما دام أهله متمسكين به، والرسول ﷺ، أعدل من تعامل مع مخالفيه من أهل الكتاب، والمخلفاء الراشدون أنزه من تعاملوا مع أهل الذمة، ووفوا لهم بعهودهم التى قطعها

^(١) انظر كتابه (تاريخ دولة العرب)، من ظهور الإسلام الى الدولة الأموية ص ٢٩١، نقله الى العربية الدكتور / عبد الحميد الحامى أبو ريحة، وراجع ترجمته الدكتور / حسى مؤنس وبشرته بلغة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٨ م.

لهم رسول الله، لكن الطباخين ذابهم المغالطة دائماً في ما يوردونه أو يتلقونه من نصوص، فقد غاب عن هذا الطباخ - إما قصداً أو دون قصد - أن وفد نصارى بجران قدم المدينة عام ١٠ هـ، وجلسوا إلى الرسول ﷺ، يجادلونه ويحاورونه حتى هم بمباهنتهم، لكنهم تراجعوا خائفين أن ينزل عليهم غضاب الله تيمناً كذبهم، وقبلوا طائعين دفع الجزية^(١) بعد أن عرفوا كيفية دفعها، ومقدارها عن كل حال - أى الذى بلغ الخلف من الرجال - وأن من أسلم منهم، أو مات تسقط عنه الجزية، ومن يولد ويبلغ الحلم تفرض عليه، وأنهم الذين أفادوا بعددهم الإجمالى وقتها، كى يُضمن ذلك كتابة فى العهد الذى كتبه لهم الرسول ﷺ، وتسلموه قبل مغادرتهم للمدينة، وهذا العدد الإجمالى يزيد أو ينقص وفق الدخول فى الإسلام، أو الوفاة، أو المواليد الجدد إذا بلغوا الحلم... بمعنى أنه لم يكن المطلوب منهم دفع مبلغ مقطوع إجمالى، ومن نص هذا العهد نعرف عددهم الإجمالى يومها، وهو (٢٠٠٠) ألفاً رجل فقط، وليسوا أربعين ألفاً، ذلك أنه ورد فى العهد أن عليهم فى العام (٢٠٠٠) ألفاً حلة (لأن على كل حال حلة)، ألف منها تدفع فى شهر صفر، والألف لأخرى فى شهر رجب، أو تدفع قيمة الحلة إذا تعسر عليهم دفع الحلل (الملايسر، أو الأردية) لأى سبب كان، وقيمة الحلة الواحدة أوقية من فضة، أو أربعون درهماً، (أى أن قيمة الأوقية كان يساوى أربعين درهماً) أو أن يدفع جزء من الفدية بما

(١) انظر طبقات ابن سعد، ٢٨٨/٣، ٣٥٧، وقطرى، ١٣٩/٣، وابن الأثير، ٢٩٣/٢، والسيرة الخالية، ٢٣٥/٣، ٢٣٦، والبلدلى، ٧٦/١، والبنية والنهاية، ٦٠/٥ - ٦١.

يوازى قيمته سلاحاً، أو عيلاً، أو عروض تجارة .. فلأى تيمم أكثر من
هذا؟

ويدل أن بعض الصحابة أنهى إلى إسماعهم الأئمة دعوا الرسول ﷺ،
أو يفضوه في أى أمر كان أثناء المفارقات، وكتابة العهد، وأن يصدقوا
فيما يقولونه، وفي ذكر عددهم الذى يضمن فى العهد، فحشوا ذلك،
وطلبوا من الرسول ﷺ، أن يرسل معهم رجلاً أميناً، يطلع على مآلديهم،
وعلى عددهم، ويقبض الجزية المخلدة، فقال لهم: سأبت معكم أميناً أى
أمين: ونادى أبا عبيدة عاصم بن الجراح، وقال: هذا أمين هذه الأمة.

من هذا نصرف أن عددهم كان (٢٠٠) ألفاً رجل، يربون
وينقصون، فإذا كان قد تم إحصائهم فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز،
ووجدوا أنهم أربعة آلاف، يكونون بذلك قد تضاعف عددهم، فى ظل
الحماية والرعاية الإسلامية لهم. أما كونهم اشتكوا لبعض الخلفاء ضخامة
ما يدفعونه من حزمة وأنه عطف عنهم، فربما يعود ذلك إلى حالة كساد فى
صناعتهم النسيجية، أو ارتفاع التكاليف أو لأية نازلة آلت بهم،
والتخفيف فى حد ذاته يدل على سماحة الإسلام فى التعامل مع أهل
الذمة، وما يلاحظ هنا أن العهد قد حدد الجزية المقررة بحبل، وهى
الأقمشة، مما يدل على أنهم كانوا مقدمين فى صناعة النسيج يختلف
أنواعه، وأن الأرحية والأثواب النحرارية كانت لها شهرة واسعة، وأن
الرسول ﷺ، كانت لديه بركة قطيفة بخراتية، وقيل: إن شقران، عاصم
رسول الله، جمعها فى قبر الرسول يوم وفاته ﷺ، وقال: والله لا يلبسها

أحد بعدك.^(١) ثم إنهم كانوا يمارسون بعض الصناعات والحرف الأخرى كالحدادة والتجارة، وصناعة الجلود، بالإضافة إلى التجارة والزراعة.

ثم إن يعلى بن أمية، الذي أشرف على عملية إجلائهم، كان قد بعث إلى عمر يفيله بما فعله معهم، قبل رحيلهم، كما يفيله بأنه لم يُكره أحداً منهم على الدخول في الإسلام، أو يرغمه على بيع ممتلكاته بخصم، وغير ذلك من أمور، فكذب عمر كتاباً عاماً إلى أهل رعيث كلهم^(٢) .. أما بعد: فاتكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتدتم بعد، وأنه من يثبت منكم على إسلامه^(٣) ويصلح، لا يضره ارتداده السابق ونصاحيه صحبة حسنة، فاذكروا^(٤) ولا تهلكوا، وليبشر من أسلم منكم، فمن أمسى إلا نصرانيته (أي البقاء عليها) فإن ذنبي بريئة عن وجدناه، عشرين ثقي من شهر الصوم^(٥) من النصاري بنجران.

أما بعد: فإن يعلى كتب إليّ يعظير أن يكون أكثره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه ..

(١) الخميني في أسرار ألفي نفيس، للهار بكري، ١٧١/١، ١٧٢، والبداية والنهاية، ٢٩٥/٥، يبدو أن رعيث إحدى البلدان، أو المنطقة التي كان يقسم فيها النصاري بنجران، لأن الخطيب موجه ضم،

وليس إلى كل العرب بنجران.

(٢) أو يعود إلى الإسلام بعد ارتداده، لفهم الكلام بهذا ذلك.

(٣) أي اعتدوا. وفي بعض المراسع "فاذكروا" لكن الصواب ما ذكرناه.

(٤) أي أن من يثبت على نصرانيته، فقد أعطناه مهلة إلى عشرين من شهر رمضان، ثم يظهر بنجران وهذه المهلة كي يستطيعوا أن يصرغوا في أموالهم سلالاً، والبيع وغره، فلم تحدث مصادرة لأموالهم مثلاً.

لما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض^(١)، وأنى لأأخذ نزعها منكم، ما أصلحتم^(٢)، وقد اشترى منهم يعلى أرضهم وعقارهم، وكل ما لا يستطيعون حمله معهم، وذلك لصالح بيت المال، كما نجد أنهم عند مسيرهم إلى شمال شبه الجزيرة، لاختيار المكان البديل الذى يقيمون فيه، كتب لهم عمر كتاباً يوصى بهم الأمراء المسلمين، الذين يحلون فى دائره ولايتهم، بأن يساعدوهم فى تسلم المكان الذى يختارونه والأرض التى يقيمون عليها، أو يزرعوها دون مقابل (وبالنسب: فما احتملوا من شيء فهو لهم، لوجه الله، وعقبى - أى عوص - لهم من أرضهم)^(٣) ترى أية سخاوة أكثر من هذا. بل أى عدل وإنصاف؟ وقارن هذا ما حدث للمسلمين إبان حلاتهم عن الأندلس .. نجد أنه لاوجه للمقارنة. فعذالة عمر أمى من أن يوجه لها أى طعن، وهى ليست بحاجة إلى من يدافع عنها، وما الطاعن فيها إلا كناطع صخر.

(١) أى نصف النتج من زراعتها ، وحصولها ، وذلك بالنسبة للذين أسلموا منهم واستمروا بتحران فتسلم لهم الأرض بالمزارعة .

(٢) أى طلباً منكم بالإسلام لتلطف فى كل ما سبق: كتاب الأسراء لابن زبيرة، ٢٧٩/١، وكتاب الأموال للتقاسم ابن سلام، ص ١٤٤، ١٤٥، والسيورة لخلعة، ٧٧١/٢، والظفرى، ٤٤٦/٣، وابن خلدون، ٨٨/٢ .

(٣) كتاب الأموال لابن زبيرة، ٤٥١/١ .

٤ - جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفتوحات الإسلامية :

حين نود أن نلقى مزيداً من الأضواء على جهود بعض أبناء المنطقة المعنية بالدراسة، في بداية الاستنفار العام للفتوحات الإسلامية، فليس عقديرونا أن نفصلهم عن أبناء ولايتي مكة والطائف، ذلك لأن المنطقة امتداد لحيز هاتين الولايتين، وتدخل ضمن أرضها، وأماؤها جزء من أبناء الولايتين خلال المسرد التاريخي الذي نمائش، أحداثه، فلا مندوحة لنا من شمولية الذكر لأبناء الولايات الثلاث: مكة، والطائف، وبحران ..

ولئن ركزنا في البداية الأولى للاستنفار العام للفتوحات الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين، - رضوان الله عليهم أجمعين - ، فذلك لأنه يصعب تتبع أثار أبناء المنطقة. وجهودهم خلال المرحلة التاريخية اللاحقة لذلك، لعدة عوامل منها أنهم توغلوا في البلاد المفتوحة، واستوطنوا بعضها، وكانت لهم سطوة ونفوذ بها، كمكمام وولاء، وقادة جيوش، وحرى رأى ومشورة، وغير ذلك من رئاسات، كالمهلب بن أبي صفرة وأبنائه، وعاليد القسري، وأبناء الحكم، والأزديين، وغيرهم.

ثم ما خصمينا القاء الضوء على أبناء الولايات الثلاث دون غيرهم من مختلف الولايات والمناطق وهم لا يقلون شأنًا بأي حال عن هؤلاء، بل رعا تفوقوا في بعض المجالات والرئاسات، فما ذاك إلا لأننا مقيدون في هذه الدراسة بإبراز الجوانب التاريخية لها، فهو تخصيص منهجي من

مفترضات البحث والدراسة، حتى لا يتوهم متوهم أن تخصيصهم بالذكر لأفضلية فيهم، دون سواهم، وهو ما لم يقل به السذج فضلاً عن العقلاء.

بعد أن استقرت الأوضاع في شبه الجزيرة العربية عقب الردة، بسط الخليفة أبو بكر الصديق... رضى الله عنه... ذراعيه نحو العراق والشام، وأجمع حزمه على تجهيز الجيوش لمنازلة الفرس والروم، الذين كانوا يعرضون بالمسلمين الدواكر، بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستنفر القبائل، واستدعى قواد الجيوش ليعهد لهم الألوية لقيادة الجند^(١) ومن ثم تسيرها في بداية التوجه الإشعاعي للفتوحات الإسلامية.

كان من بين هؤلاء جرير بن عبد الله الجعفي، والي بخران من قبل أبي بكر^(٢) فأقبل إلى المدينة يقود بعضاً من أبناء قبائل المنطقة، فسره أبو بكر منذاً لحالد بن سعيد بن العاص، الذي كان والياً على ما بين رمع وزبيد، وكان أبو بكر قد سوره إلى البقاء وتيسار بمشارف الشام، فتصحل وأشتبك معهم فهزم، فراجع وتوقف في موضعه، وأنه بعد ذلك امتدادات لكنه لم يتحرك. فاستأذن منه جرير للرجوع إلى أبي بكر كي يأذن له في جمع بطون بجيلة، فيكونون معه^(٣).

(١) البداية والنهاية ، ٣/٧ .

(٢) الطبري ، ٤٢٧/٣ ، ٤٦٢ ، وقيل : أن أبا سفيان بن حرب خلف جرير على ولاية بخران .

(٣) البداية والنهاية ، ٣٩١/٦ .

وكانت بجيلة قد وقع بينها وبين قبيلة كلب بن وبرة حرب شديدة قبل الإسلام، في موضع يقال له: الفجار (غير الفجار التي شهدتها الرسول ﷺ قبل البعثة) فانهزمت فيها بجيلة، فافترقت على إثرها في أحياء العرب^(١) وظلت هكذا حتى جاء الإسلام، ولم يكن بالسراة منها إلا بطون قليلة، فلما فاتح جرير أبا بكر في أن يأذن له بجمعها من أحياء العرب، لم يوافق في ذلك، ورأى أن الوقت غير مناسب، ثم سوره مندأ لخالد بن الوليد في جبهة العراق، فقدم عليه وهو بالخيرة، بعد أن قضى بعض البلاد^(٢) واستمر يعمل تحت قيادة خالد في هذه الجبهة حتى استدعى أبو بكر خالد للتوجه إلى الشام، فيقى جرير مع المثنى بن حارثة، ومعهما عمرو بن حزم الأنصاري، الولي السابق لنجران، وكان لكل منهم منطقة يواجه الفرس من خلالها، فلما توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، كانت الفرس قد جمعت حشوداً ضخمة فكذب المثنى لأبي بكر يطلب مدداً، فوصل خطابه وأبو بكر في مرضه الأخير، فأوصى بتزويد المثنى بالمدد.

وأقبل جرير وأستاذن من عمر في جمع بطون بجيلة فأذن له، فجمعهم وكانوا ألفي رجل وقيل أكثر، فقدم بهم على عمر، فمهرهم عمر في أي الميادين، قائلاً: أي الوجوه أحب إليكم؟ قالوا الشام، لأن فيها أسلافنا، قال عمر: بل العراق، فإن في الشام كفاية من الجند، سيروا إلى العراق، ولكم ربع القنينة بعد

^(١) البصرة، ص ٣٩٠.

^(٢) البداية والنهاية، ٣٩١/٦، وابن خلدون، ٨١/٢.

الخمس، فقبلوا فكان لهم ربع سواد أرض العراق لمدة عامين^(١) وقيل لمدة ثلاثة أعوام، ولم تخصص قبيلة أخرى بمثل ما تميزت به بجميلة لهذا النفل الذي تَفَلَّه إِيَّاهم عمر.

واستمر جرير يقرود بجميلة وغيرها من قبائل المنطقة في جبهة العراق، فكان على ميمنة سعد بن أبي وقاص بسوم القادسية، وقيل على القلب والعجاج على اليمنة، وعدى بن حاتم وقيس بن المكشوح المرادى على اليسرة - بعد أن عاد إلى الإسلام وأبلى بلاء حسناً - ومعهم ذو الكلاع الحميري، وواصل جرير جهوده يقود بجميلة وغيرها من أبناء المنطقة خلال عهد عمر، وفي عهد عثمان كان عامله على أرض الجبل بقرقيسيا، ولما استشهد عثمان - رضى الله عنه - حضر إليه بأرض الجبل زحر بن قيس الجعفي يدعو لهامة على بن أبي طالب - رضى الله عنه - خليفة على المسلمين. فهاج، وأخذ البيعة لعلى من قبله من المسلمين ثم سار حتى قدم الكوفة للوقوف مع على. وكان رسوله إلى معاوية للتفاوض والدخول في طاعة على، ثم عاش الأحداث التالية لذلك متكفّ بعيداً عن الفتنة حتى توفي عام ٥١هـ، وقيل عام ٧٦هـ،^(٢) والأول أقرب إلى الصواب.

(١) الطبري، ٤٦٠/٣ - ٤٦٢، والأمم والذين زعموه، ١٩٧/٢، والأمم للنفس بن سلام، ص ٨٧، ٨٨ -
(٢) البداية والنهاية، ٤٨، ٣٣/٧، والأمم الطوال للنجاشي، ص ١١٤، ١٥٦، والطقمات لمخيلة بن عياض، ص ١١٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢٣٢/٥.

بإدراك عمر عقب توليته الخلافة بتدب الناس لموازرة المثني بن حارثة، فكان أول من لبى نداهه أبو عبيد بن مسعود الثقفي^(١) ثم تابعه الناس فزلاه عمر عليهم، وجعله قائدا للجهة بالعراق وأوصاه بوصية تشمل كيفية إدارته الحرب، تدل على مدى حكمة عمر، وحذكته، لكن ابن مسعود مالبث أن استشهد في معركة الجسر في شعبان، وقيل: في رمضان عام ١٣هـ، فبعث المثني إلى عمر يطلبه على المرقص في الميدان، وأن الفرس حشدوا حشودا طائلة، ويطلب مدحا، فكذب له عمر: السورد وارد إليكم سريعا. إن شاء الله. وطلب منه أن يجعل الصحراء خلف ظهره، حتى لا يتمكن الفرس من الالتفاف حوله، وألا يمكن الفرس منه حتى يأتيه المدد، وقال عمر: والله لأضربن ملوك المجسم بملوك العرب، وكذب إلى عماله وولاته أن يوافقوه بكل من كانت له نخبة، أو لديه فرس أو سلاح، أو ذا رأي، وشرف قائلا: .. العجل .. العجل، وبعث رسلا إلى أحياء العرب، تستجيش القبائل وألا يدعروا ذا بأس، أو قوة، أو خطيب، أو شاعر ألا أنصوا به، وعزم أن يتولى بنفسه قيادة هذا الحشد ويذهب إلى الجبهة ليقود القتال بنفسه، لكن خاصة الصحابة حالوا بينه وبين ذلك، وأنشأوا عليه بأن يبعث من الصحابة ذا خبرة بالحرب والقتال، فوافق^(٢).

وقع اختيار عمر على سعد بن أبي وقاص، وكان سعد قد ولاء الرسول ﷺ، على صلتقات بعض حوازن، بالبادية شرق السراة وعند وفاة

(١) هو والد المختار بن عبيد، صاحب الدعوة للطورين، الطوى، ٤٤٥/٣، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٣١.

(٢) الطوى، ٤٧٨/٣، ٤٨٢، والأسفار الطوال للدجوري، ص ١١٤، ١١٩، ١٢٢، وابن خلدون ١١/٢.

الرسول قدم الى المدينة، وظل بجوار أبي بكر مع بقية الصحابة الذين لم ينهبوا هي جيش أسامة، وكان سعد من حراس الأنصاب^(١) خلال هذه الفترة، ثم لما استقرت الأمور عاد لموقعه في الإمارة وأعمال الصدقة عندلقتنا، وأقره عمر في بداية عهده، ثم استدعاه ليتولى القيادة في جبهة العراق لمواجهة حشود الفرس^(٢) وكان قبل استدعائه قد بعث ألف رجل الى عمر، من هوازن وقبائل السراة وغاليف الطائف، وحين تم استكمال الحشود خارج المدينة، ذهب عمر يودعه، ويودع الحشود الغضيرة، فقال له: يا سعد لا يغربك من الله أن يسئل خال رسوله ﷺ^(٣) ومصاحب رسول الله فان الله - عز وجل - لا يحجر السيء بالسيء، ولكنه يحجر السيء بالحسن، وأن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالتناس شريفهم وروضيهم في ذات الله سراء، والله بهم وهم عباده، يتماضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فالزم ما كان عليه رسول الله^(٤)

وكان من نتيجة هذا الاستفار العام الذي أعلنه عمر، أن هبت القبائل من كافة مناطق بلاد العرب، ومنهم أبناء قبائل منطقتنا، فكان منهم:

(١) كان أبي بكر قد جعل حراساً على الطرق والمداخل للخدمة إلى المدينة، خشية أن يقوم بعض المرتدين بالإفارة عليها فوة تذهب جيش أسامة بغير حصار.

(٢) البداية والنهاية، ٣٥٤/٦، والطبري، ٢٧٣/٧، وابن خلدون، ٢٨٨/٢، ٩٦، والعايزي، ص ٩٧٣.

(٣) قال له الرسول ﷺ ذلك كتكريم له، والا فانه ليس خالاً لنا: أي شقيق للأخ، وإنما أبوه هو وأمه بنت وهب لولاد أحماس. انظر الجمهورية، ص ١٢٩.

(٤) الطبري، ٤٨٢/٣، ٤٨٣، والبداية والنهاية، ٣٩٧/٧، ٤٠.

— أبو ضهير، حليفة بن عبد الله بن عوف، من زهران، من
الأزد، يحمل راية قومه وغطها ألف وخمسمائة رجل من أهل المعطاء.^(١)

— زهير بن سليم الأزدي، يحمل راية قومه، ومعه أخوه مخنف بن
سليم، وقد أبليا يوم القادسية بلاءاً حسناً، حتى أن زهير — قبيل نشوب
لل معركة — تصارع مع النخارجان، أحد قواد الفرس الكبار، وكان عظيم
الجثة، صاح طالباً من يصارعه من المسلمين، في مواجهة الجيوشين، فنصر
له زهير وجاوله حتى صرعه ثم قتله واستولى على برذونه، ودرعه، وقبائه،
وأتى بهم إلى سعد بن أبي وقاص، فأعطاه إياهم قائلاً: أنست أحق بهم،
وأمره أن يتزوا بالقباء ويبرز للفرس، لئلا في عضدهم، ويشت فيهم
الرعبة، فكان زهير يعد بذلك أول من تزوا بزي الفرس من المسلمين.^(٢)

أما أخوه مخنف بن سليم فقد واصل جهاده في مسادين الفتوحات
بفارس، ثم كان مع علي بن أبي طالب يوم الجمل، وصفين وكان يحمل
راية قومه، ومن انضم إليه من بطون الأزد الأخرى وبجيلة ومثعم، وكان
على الرحالة (أي المشاة) ابن أخيه حنظل بن زهير الأزدي.^(٣)

(١) البصرة، ص ٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) الأسيار الطوال للدهوري، ص ١٤٦، وكان أول يوم قادسية يوافق ثاني المحرم ١٤ هـ، واستمر القتال أربعة

أيام قصير بعدها للمسلمون، النهاية والنهاية، ٤٨/٧، ٤٩.

(٣) الأسيار الطوال للدهوري، ص ١٤٦، وطيقات ابن سعد، ٦٨-١.

- أبو طليان الأعرج ، عبد شمس بن أحوث ، من بنى عبد الله بن كعب الحارثي، وقيل: أبو طليان من غامد كان قد عقد له رسول الله ﷺ راية على قومه وحملها وزحف بهم، وبعض قبائل بجران الأعرى إلى القادسية وأبلى يومها بلاء حسناً، وكان ابنه طارق من ذوى الهمة والياس.^(١)

- عرفة بن هزيمة البارقي الأزدي، كان أبو بكر قد عقد له لواء في حروب الردة، وسيره إلى عمان، ومهرة، ولما عاد ولاء على بعض قبائل بالسرارة: الأزدي، وبجيلة، وبقايا جديلة، ثم بعثه عسمر مع العلاء بن الحضرمي بالبحرين، ثم استدعاه عند الاستنصار العام فأقبل يقود جموعاً من تلك القبائل، فسيره عمر إلى العراق مع سعد بن أبي وقاص، وشارك بعد ذلك في فتوحات فارس.^(٢)

- عروة بن أبي الجعد البارقي الأزدي، كان قائد كتيبة من قومه في جيش خالد بن الوليد بالعراق، واستمر بها وشهد القادسية وما بعدها، وهو صاحب روى حديث (الخيل معقود لئلا نواصيها الخير) وولاه عمر قضاء الكوفة قبل شريح، ثم سيره عثمان بن عفان بعد ذلك إلى الشام.^(٣)

^(١) المسيرة، ص ٣٧٨ .

^(٢) البداية والنهاية، ٣٥٥/٦، ٣٧٢، ٥٤/٧، والطوى، ٤٦٢/٣، والاصابة، ٤١٢/٦ .

^(٣) الطبقات لخليفة بن خياط، ص ١١٢، والبيان والنهاية، ٣٩٥/٦، والاصابة ٤١٤/٦

- حمضة بن النعمان بن حمضة البارقي الأزدي، قدم على رأس جمع من بارقي، وألمع، وغامد وبعض قبائل السراة وتهامة،^(١) وسار بهم إلى القادسية، واستمر بتلك الجبهة.

- عثمان بن أبي العاص، وإلى الطائف وغاليقها في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد أبي بكر، كان قد استدعاه أبر بكر لقيادة بعض الإمدادات، ثم نقله عمر واليا على اليمامة والبحرين، ولما تقدمت الفتح في بلاد فارس استدعاه ليقود سداً إلى الميذان، وظل بتلك الجبهة قائداً لأحد الجيوش، وتحقق على يديه انتصارات عديدة، وتوغل في بلاد فارس، وفتح سابور عام ٣٠هـ، في عهد عثمان بن عفان، - رضى الله عنه - ثم والياً على بعض الولايات ببلاد فارس.^(٢)

- وقدم بطن من كنانة ممن يقيمون بتهامة الحجاز، فأمر عليهم عمر بن الخطاب: خالط يس عبد الله الليثي وسيره إلى العراق^(٣) وكان غالب قائداً لسرية احتياطية حماية مؤخرة المسلمين يوم القادسية.

كما ذهب إلى العراق بأمر عمر حذيفة بن اليمان الأزدي وقيل: إنه من بني عيس، حالف اليمانية، صاحب سر رسول الله ﷺ وكان هو وأبوه صحابيَّان، استشهد أبوه يوم أحد، وشارك حذيفة في جميع الغزوات

^(١) الطبري، ٤٨٤/٣، وابن عسكون، ٩٢/٢.

^(٢) الطبري، ٣٢٢/٣، والأخبار الطوال، ص ١٢٩.

^(٣) الطبري، ٤٦٣/٣، والبلدلة ونهاية، ٤١/٧.

فى عهد الرسول، وكان يحدد الأعمال الحسابية والمساحة والمكاييل والأوزان، وعهد اليه عمر بمسح أرض سواد العراق، فيما هو غريبى دجلة لتحديد الخراج على بعضها، ثم شارك فى فتوحات فارس مع النعمان بن مقرن الذى تولى القيادة بهذه الجبهة بعد عمار بن ياسر، توفى عام ٣٦هـ.^(١)

أما فى جبهة الشام فقد انطلق أيضاً الكثيرون، كان منهم:

عكرمة بن أبى جهل، كان قد استوطن مكة بعد الفتح، لأن الرسول ﷺ قال لأهل مكة، ولغيرهم: لا محجرة بعد الفتح^(٢) وذلك بهدف أن تقلل البلاد معسرة، فلا يتركوها ويهاجروا الى المدينة، وعكرمة من الذين أباح الرسول معهم يوم الفتح، فهرب وأسلمت زوجته، ثم أستممت له الرسول ﷺ، فأمنه، فذهبت وأتت به، وقيل دعوله على الرسول، قال لأصحابه: سيقدم عليكم عكرمة، فلا تسبوا أباه أمامه فان سب لليت يؤذى الحى، ولا يصل الى الليت، فلما دخل عكرمة، وقف أمام الرسول مطاطيء الرأس، فقال له النبى: مرحباً بحسن جاء مؤمناً مهاجراً، فقال عكرمة: يا محمد هذه أختى أنتك أمتنى - مشيراً الى زوجته - قال: إنك آمن، قال: أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال له

(١) التميمى فى أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١، والأحكام السلطانية للماورى، ص ١٧٤، والاصابة، ٢٢٢/٢، والظفر: للعارف لابن حنبل، ص ٢٦٣.

(٢) الأوزنى، ١٦٥/٢.

النبي: يا عكرمة ما تسألني اليوم شيئا أقدر عليه الا أعطيتك إياه، قال: استغفر لي كل عدوة عاديتهكها، قال النبي: اللهم اغفر لعكرمة كل عدوة عاديتها، ثم وعد بأن يولي في خدمة الإسلام أضعاف ما كان قد بذله في عدواته^(١) وقد وفي بما وعد، فكانت جهده واضحة في حروب الردة، حتى رضى عنه أبو بكر وأثنى عليه بعد أن أغضبه عندما تسرع واشتبك مع مسيلمة، وانهزم، فكسب له أبو بكر .. يا ابن أم عكرمة، أمض لما وجهتك إليه، ولا ترنسى وجهك إلا بعد بلاء^(٢) فأبلى بعدها بلاءً حسناً.

كانت عمالته التي ولاه إياها الرسول ﷺ، عجز هوازن، وبعض القبائل المجاورة لها في الجنوب: أي منطقة تربة وما يحيط بها، وامتداداً في الجنوب حتى حدود نجران، ثم استدعاه أبو بكر الصديق في بداية خلافته وعقد له أول لقاء في حروب الردة، ولما فرغ منها، هبط إلى ولايته في طريق عودته من اليمن إلى المدينة، فجد بعضاً من أهلها، زيادة على ما كان معه من جنوده، وأقبل على أبي بكر في المدينة، فسوره بمن معه إلى جهة الشام، فأبلى بلاءاً حسناً في المواطن التي شهداها.

ويرم السرموك كانت الروم قد جمعت حشوداً غفيرة، فقد كان عدد الروم يزيد عن ٢٠٠ ألف، بينما عدد المسلمين ٢٧ ألفاً فقط، ويرمها قال عكرمة: لقد شهدت مواطن كثيرة، أنير اليوم من الروم؟ والله لن

^(١) سورة الخلية، ٢٩/٣، والطوى، ٥٩/٣، والذئابة والنهاية، ٣٤٤/٤، واللغاري، ص ٨٢٥، ٨٥١.

^(٢) الطوى، ٢٨١/٣، ٢٩٣.

يكون ذلك أبداً. ثم صاح في الناس: من يبايعني على الموت، فبايعه سبعون رجلاً، وقيل: أربعمائة. فظلموا يقتلون حتى استشهدوا جميعاً، وربما كان صرودهم ذلك، وصرود بقية المسلمين مما فُت في عهد الروم، حتى تفككت جموعهم، وركب المسلمون أكثافهم، وألحقوا بهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة، واستشهد عكرمة يومها، كما استششهد معه ابنه عمرو، وعماء سلمة، والحارث ابن هشام بن المغيرة وقيل: استششهد معه سلمة بأجنادين^(١) وكانت هذه المجموعة هي التي دارت على حرجهم كأس ماء وهم عطشى، وكل واحد منهم يؤثر صاحبه بها حتى دارت عليهم جميعاً وعادت إلى الأول فوجد أنه توفي، والثاني كذلك حتى أعرهم دون أن ينوقوا جميعاً شربة الماء.. ووقف التاريخ ليسجل لهم هذا الموقف الأثاري، المؤثر.. سقاهاهم الله ماء عبداً سلسيلاً.

— سهل بن عمرو، خطيب قريش وشاعرها، وسيد من ساداتها في الجاهلية والإسلام، قاد جموعاً من أهل مكة وأحوازها وانطلق بهم إلى أبي بكر فسوره إلى الشام فآلده أحد الكراديس التي نظمها عمالده بن الوليد لمواجهة الروم في الهرموك، قتل يومها هو وأخوه سهل بن عمرو، وابن أخيه عمرو بن سهل بن عمرو.^(٢)

(١) البداية والنهاية ١٩/٧ - ٣٧ - ٣٨، وابن خلدون، ٨٣/٢ - ٨٥.

(٢) البداية والنهاية، ٦٩/٧.

- مالك بن عوف النصرى، الرالى على يادىة الطائف، قناد جموعاً من ثقيف ومن الأحلاف ويادىة الطائف، ووجهه أسو يكسر الى الشمام، فشارك فى فتوحاتها، ثم كان ضمن جنود عمرو بن العاص فى فتح مصر، وهو الذى عهد اليه عمرو بمحصار الاسكندرية، وكان فيها المقوقس عظيم القبط بمصر، وحوله جنود الروم، وكان قد قبل بلفح الجزية لكن القائد العسكرى الرومانى بالقاهرة رفض، وتحصن بمحصن بابليون، فما قحمه عليه عمرو بن العاص، ومن معه، واستولوا عليه سنة^(١) وكان هذا القائد العسكرى هو نفسه أرطيرن الذى هزمه عمرو فى أجنادين^(٢) فقد كان حاكماً عسكرياً على مصر أيضاً، وبلغ للمقوقس فتح حصن بابليون بالقاهرة، فصالح مالك بن عوف على الاسكندرية.

- سعد بن مالك الأزدي، الذى عقد له الرسول ﷺ، لواء على قومه، بطن من الأزدي، قادهم وبعض القبائل الأعصرى تحت هذا اللواء، وسار بهم الى الشام، وكان ضمن جنود عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد ذلك.^(٣)

- مسروق بن جلة العكى، من قبيلة عك، الذى قاد جموع عك ووقف مع الطاهر بن أبى مالة، إبان تفسد العنسى، والردة، قناد جموعاً

(١) ابن خلدون ، ١١٤/٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ٦٣/٧ ، والطبرى ، ١٠٧/٤ .

(٣) الرواتب الادارية للكنانى ، ٣٢٠/١ ، وابن خلدون ، ١١٤/٢ .

وسار بهم إلى الشام، وكان تحت قيادة معاوية بن أبي سفيان، وبقي في الشام مع معاوية، وكان من شهود وثقة التحكيم بين علي ومعاوية التي كتبت في ١٧ صفر عام ٣٧هـ.^(١)

- عبد الجند بن ربيعة الحكمي، صحابي، وفد على الرسول ﷺ، وقاد عشيرته من آل الحكمي وشارك بهم في فتح الشام، كما كان ضمن جيش عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد الفتح^(٢) وقبل بل الذي استوطنها غيره من بني الحكمي.

وكان بطن من بني الحكم انتقل وأقام في الشام، منهم حبيب بن عبدالرحمن الحكمي الذي بعثه عبد الملك بن مروان، على رأس جيش من أهل الشام مددا للحجاج بن يوسف في حربه مع شبيب الحاروي عام ٧٧هـ.^(٣)

- عمرو بن الطفيل النوسي، أبوه الطفيل أسلم قبل الهجرة، عندما سمع بمبعث الرسول ﷺ، ودعا له الرسول، فكان صاحب النور في سوطه، واستشهد أبوه يرم اليمامة، وقطعت يد ابنه عمرو يرمها، ثم شفيت بعد البتر، وكان يوما عند عمر بن الخطاب مجلسه إذ أتى بالطعام فتحنى عنه عمرو وتسلم الناس، فقال له عمر بن الخطاب: مالك؟! لعلك تحيت

(١) مبررة لثلاث قساية ، ٣٩٩ .

(٢) الإصابة ، ٦/ ٢٥٥ .

(٣) البداية والنهاية ، ٩/ ٢٠ .

لمكان يملك؟ قال: أجل، قال عمر: والله لا أدركه حتى تسوطه بيديك، فو الله ما في القوم أحد بعرضه في الجنة غيرك. عندئذ تقدم عمرو إلى الطعام^(١) ثم انطلق بعد ذلك يقود جماعة من دوس، ومن الأزد، وشهد اليرموك فاستشهد بها.^(٢)

— مالت بن عبد الله بن سنان، من شهران، من عفرس، من عثهم، الذي قاد كهبة من قومه، وشارك في حروب الشام، وقاد الصوائف إلى أرض الروم أيام معاوية^(٣) يقال استمر يقود تلك الحملات أربعين عاماً، وقيل كان يتناوب معه في ذلك سفيان بن عوف بن المغفل، الفامي^(٤) وكس غير هؤلاء ممن لبوا نداء الاستعمار، بيد أن المقام ليس مقام احصاء وحصر، وإنما هو لإبراز بعض المواقف لما كانت عليه المنطقة في ذلك الوقت، ومدى تباطؤها، وكيف جمع الإسلام بين قبائلها وألف بين قلوبهم، ومدى الطاعة لولاة الأمر، وأن النزاع الديني خلق فيهم روحاً وثابة دفعتهم إلى ميادين الفتوحات، هم وأبناء القبائل الأخرى في كافة أحياء العرب، وأن تلك القبائل ما فتئت تمد ميادين الفتوحات بين الحين والآخر بمدد يتلوه مدد كامواج البحر المتتابعة على مدى عشرات

^(١) فطقات لابن سعد، ٢٤٠/٢.

^(٢) ابن خلدون، ٨٥/٢، والبلدية والنهاية، ٢٨٠/٦ و ١٥/٧.

^(٣) الصوائف هي الغزوات التي كثرتا يغزون بها الروم من البحر الأبيض المتوسط، يسيرون فيها على أرضهم وحرارهم، وكانوا لا يقرمون بها إلا قوة الصليب، ولذا أطلق عليها: صوائف.

^(٤) البصيرة، ص ٣٧٨، ٣٩١.

السون، وواكبت ذلك محجرات بعض بطون القبائل عن مواطنها الأصلية في بلاد العرب، بغرض الاستيطان في البلاد المفتوحة.

وليس أدل على تلك المحجرات بأعداد هائلة خلال هذه الفترة من أن الكوفة وهي إحدى البلدان التي أنشأها للمسلمون، ليستوطنها بدلاً من المدائن التي لم ترق لهم، وبدأ تخطيطها منتصف عام ١٦هـ، ثم بدأ الاستيطان فيها في غرة الحرم عام ١٧هـ ولم يكتمل بمضى على استيطانها خمس سنين حتى بلغ عدد سكانها مائة ألف، وذلك عام ٢٢هـ، كما جاء ذلك في قول الخليفة عمر بن الخطاب، وهو يشكو همومه منها للمفسوة ابن شعبة أن به مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير^(١) وهناك غير الكوفة من البلدان والأمصار التي تم الاستيطان فيها بمئات الألوف من الرجال ونزحت عوائلهم لتقيم معهم، فشغرت مواطنهم الأصلية، فنزحت إليها عشائر و بطون من بنى عمومهم، أو من غيرهم، واستمر هذا النزوح خلال عصر الفتوح، وإن كان بنسبة أقل عن ذي قبل نظراً لدخول أبناء البلدان المفتوحة في حوزة الإسلام، وإسهاماتهم في ميادين الجهاد مما خفف عبء الإمدادات نسبياً عن داخل العرب.

على أن ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن عمر بن الخطاب طلب من سعد بن أبي وقاص - قبيل القادسية - أن يتخذ العرفاء في الميدان عند التجهيز للمركة، وكان نظام العرفاء معمولاً به منذ عهد الرسول ﷺ،

(١) البداية والنهاية، ٢/ ٨٣، ٨٤، ١٣٨.

لضبط القبائل في مواطن إقامتها، وبلدانها، فطلب عمر من سعد أن يعمل به في ميدان الحرب أيضاً، من قبيل الضبط لمواقف الرجال، وعزمهم في الميدان، بأن يجعل على كل عشرة رجال من كل قبيلة عريفاً، وعلى كل قبيلة أمر يحمل رايتها^(١) ويكون مسعولاً عنها، يساعده العرفاء في القبيلة، وأن يجعل أمراء على أجناب الجيش، والمقدمة، والطلائع والسائقات، وعلى الفرسان وغير ذلك^(٢) وكان خالد بن الوليد قد رتب جيش السوموك في صفوف (كراديس) في شيء مشابه لهذا، مما لم يكن للعرب عهد به من قبل.

وبعد فترة أصبحت العرافة على سعي بدلاً من عشر، وفي عهد معاوية جعلهم في الميادين على أربع للدقة الضبط^(٣) غير أن الدواوين التي أنشأها عمر، ومنها ديوان الجند، كان أهم سجل لأحوال الجنود، والعرفاء، والقيادات، وضبط لوجودهم في الميادين، وفي المواقف منها. وكذلك الدواوين للخطباء، والمقوق، والخراج، والجبائيات، وغيرها، كما أمر على الولاة بأن يضعوا دواوين خاصة لديهم لنشاطهم ولأخبارهم^(٤) خلاف التي

(١) البداية والنهاية ، ٤٠/٧

(٢) البداية والنهاية لغير الجزء والصيغة ، والطبري ، ٤٨/٤ ، ٤٩ -

(٣) الطبري ، ٤٨/٤ -

(٤) ابن خلدون ، ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ -

لدى الامارة بمقرها في المدينة المنورة، والتي احرق معظمها يوم الجماسم
عام ٨٢٢هـ.^(١)

وهذا بدوره يؤكد على مدى الاهتمام بوضع أسس الترتيبات
الاجارية عند شأء الدولة الاسلامية، وضبط للنطاق، والولايات، وتحديد
معالم كل ولاية بصورة واضحة ودقيقة.

^(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٩ .

٥ - استمرارية العمل بالترتيبات الإدارية للولايات بعد الرسول ﷺ :

لاشك أنه كانت للترتيبات الإدارية التي وضعها الرسول ﷺ، للولايات والمناطق الأثر الفعال في تنظيم أعمال وتصرفات القبائل التي كانت تأتف من الخضوع لسلطة مدنية، ومن ثم ضبط الولايات والمناطق التي تكونت منها الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين -، ومن جاعوا بعدهم.

فقد جاء الإسلام بما طهر النفس فأقيمت في عبادتها لن بارئها، وصار معيار التفصيل تقوى الله، والولاء لله ولرسوله والطاعة لأولى الأمر، وأصبح العدل سقفا يستظل به الجميع، وأقر الملكية الفردية والجماعية للقبيلة في موطن إقامتها، وبين المنافع العامة، والمشاع، وعين العرفاء على العشائر، والأمراء على القبائل، كما عين أسراء الألوية والرايات عند الاستنفار، والسعاة لجمع الزكاة والصدقات والجزية والخراج، وعين الأمعة، والدعاة، والقضاة، والأمراء على المناطق والولايات، واتخذ بيت المال، ودور الضيافة، والكتب^(١) وحلة الكتب

(١) اتخذ الرسول ﷺ ديارين بالمدينة لاستضافة الرفود، وكان عنده أكثر من أربعين كاتباً، انظر لخبس في أسواق أنس نقيس ١٨٢/١ .

والرسائل، واستعمل عمالاً دائمين لحمل البريد من الولايات وإليها، وغسبر ذلك من عناصر أساسية لمقومات الدولة المدنية، والسياسة الشرعية لها.

ولقد راعى الرسول ﷺ، الوضع الذى كان سائدا من قبل من حيث ارتباط المناطق بعضها ببعض، عند تحديد الولايات، وتعيين ولاية عليها، وذلك لدعم التوافق والتكالف بين القبائل، والرباط الجغرافى بين البلدان، ومن هنا كان الامتداد الجغرافى لمكة المكرمة، هو فى أرضها الممتدة على الساحل شمالاً وجنوباً بمقدار معين امتدت اليه ولاية مكة^(١) ولم تمتد شرقاً نحو أرض اليمامة، بل كانت اليمامة قائمة بذاتها وترتبط مع البحرين (الأحساء) فى معظم الفترات التاريخية. كذلك الشأن بالنسبة للطائف، كان الامتداد الجغرافى لها فى السراة وأعراض نجدها، وامتدت جنوباً إلى الحدود الشمالية لليمن فيما بين رَمْعٍ وآيَسَنَ وزَيْد^(٢) وجاورت نجران فى الغرب، والشمال الغربى وكانت ولاية الطائف وأحوازها أكثر ملاصقة لنجران، ولهذا فكثيراً ما كانت نجران تنضاف الى عمالة الطائف، لكنها إذا أضيفت فإن حدودها مع الطائف وغيرها تظل معروفة، ومعالمها محدودة، شأنها شأن غيرها من الولايات عندما كانت تنضاف لغورها، وذلك لعدة اعتبارات منها أن عمال جمع الصدقات، كانوا يجمعونها من

(١) سبق أن قلنا إنها امتدت إلى نهاية أرض عك والأشعرين جنوباً، والتي إلى عليها الطاهر بن أبى حاتم، تنظر ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

(٢) أي الولاية التي كانت بالمنطقة فيما بين نجران ودمع وآيَسَنَ و زَيْد، وهي الولاية التي كان عليها خالد بن سعيد ابن العاص، قبل وفاة الرسول ﷺ.

أغنياء القبيلة، أو البلدة ويهدون جزءاً منها على فقرائها، ويقتلون مائتي إلى بيت المال، وفي بعض الأحيان كانوا يعطون فقراء قبيلة مجاورة في نفس الولاية، أما أن يأخذوها من بعض بطون الأرد مثلًا بولاية الطائف ليعطيه في بعض قبائل بحران أو العكس فلم يحدث، وإنما كان هذا من اختصاص المهيم على بيت المال، أي الخليفة. كذلك موضوع القسامة والعقل، فيما لو وُجدَ قتيل في موطن القبيلة، أو زمام البلدة، ولم يعرف قاتله، تحملوا عقله (دينه) وهذا يستلزم معرفه الحدود في كل المواطن، وتبعية القبيلة لأي من الأمراء، وموطنها في أي موقع بالإمارة؟ لهذا استمرت تلك الحدود معروفة ومشهورة، ومع أن المؤرخين لم يهتموا بها كثيرًا، إلا أن البعض منهم وبخاصة أصحاب معاجم البلدان قد سجلوا معظمها، وبالرغم من أن لتوهم لما كان ينقصه بعض الدقة، وجاء بعد عدة قرون من قيام الدولة الإسلامية، فإن هذا التدوين، وذكرهم لتلك المعالم الحدودية دليل على شهرتها، واستمراريتها لفترة طويلة تجارزت ثلاثة قرون عند ازدهار عصر التدوين للعلوم الإنسانية.

وعموماً فسواء انضافت ولاية إلى أخرى إدارياً، أو عين لها أمير رأساً، فإن كافة الولاة كانوا يستعملون سبلعتهم من الخليفة، وندوبون عنه في إدارتها، له تعيينهم وعزلهم متى شاء، والولايات جزء من جسم الدولة الأم، وليس لها أية استقلالية عنها.

ومن يتبع حركة تدوين التاريخ يلحظ أن غالب المؤرخين — قديماً وحديثاً — يجلب انتباههم الأحداث المحلية، ومشاهير الناس، وسراة الزعم،

وما يدور في البلدان الكبيرة ذات الشهرة والنفوذ، فيدرنون. ما يتعلق بكل ذلك في مصنفاتهم، وليس لغيره متسع في مصنفاتهم الا فيما ندر.

ولقد شُيِّمَ قدامى مؤرخى الإسلام - وحق لهم أن يُشَفِّقُوا - بتاريخ الإسلام منذ البعثة، وأعمال الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من وقائع وأحداث، فقد تركوا لنا في الحقيقة كمًّا هائلًا من التراث وصلنا قليله، أما كثوره فأهدته صروف الدهر. فإذا ما بحثنا فيما بين أيدينا عن اسم والٍ لأحدى الولايات - وبخاصة المغمورة - ولم نجد، فليس معنى هذا أن تلك الولاية أهملت أو أنزلت!، فلقد كان الخلفاء الراشدون، - ومن بعدهم الأمويون والعباسيون - حرصين على تمييز الولاية على الولايات، لضبط النواحي الإدارية في البلدان، فإذا تعسر إيجاد الوالى المناسب لأى سبب كان، أضافوا الولاية الشاغرة الى أعمال أقرب ولاية لها، وتظل كل ولاية لها حدودها وحيزها المعروف فى السجلات والنواوين على الوجه الذى أوضحناه عند وضع الترتيبات الادارية للولايات بىداية الدولة الإسلامية.

والدليل على اهتمام الخلفاء، ومن بعدهم، بتولية الأمراء على البلدان الصغيرة فضلاً عن الولايات، أن الحجاج بن يوسف الثقفى، الذى اكتسب شهرة لصرامته، وكثرة ما أراق من دماء، كان أول من نصب ولاة لىاه الخليفة عبدالملك بن مروان هو إمارة بلدة (تباله) فلما قدم اليها، وقرب منها، سأل دليله: أين تباله، وعلى أى سمت هى؟ قال: ما سيرها عنك إلا هذه الأكمة (وأشار يده الى تل مرتفع عن الأرض، دون الجبل)

فقال الحجاج: لا أرايتى أميراً على موضع تسره على أكمة، أهوى بها من ولاية، وكرراً راجعاً فون أن يدخلها^(١) تُرى لو أنها كانت قد عرضت على أحد غير الحجاج ورفضها، أذكر هذا الخير أحد من المؤرخين؟ لكن هذا الخير الذى أوردته للدلالة على مدى طموحات الحجاج منذ صغره، يعطى فى الوقت نفسه دليلاً على مدى اهتمام الدولة الإسلامية بتعيين الولاة على البلدان الصغيرة، فما بالك بالولاية أو الإمارة الكبيرة؟، ودليل آخر: وهو أن الرسول ﷺ، كان قد ولى الصحابي صرد بن عبد الله الأزدى أميراً على بلدة جرش، نظراً لجهوده فى إسلام أهلها، وأورد المؤرخين أنه قتل أميراً عليها حتى وفاة الرسول ﷺ^(٢) ثم تولاهما بعده عبد الله بن ثرر، أحد بنى الغوث، الأزدى بأمر من أبى بكر الصديق فى خلافته، وتوفى أبو بكر وهو والٍ عليها^(٣) ولم يذكر أحد من المؤرخين من تولاهما بعد ذلك، مما كما لم يذكروا من تولى الإمارة فى تبالة بعد أن رفضها الحجاج بن يوسف الثقفى، كما أن الرسول ﷺ ولى على مدينة الخط بالأحساء، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، أحد الكبة للرسول ﷺ، وكانت تلك المدينة مشهورة بصناعة الرماح، فيقال: رماح عطية نسبة إليها، ولم يذكر المؤرخون من وليها فى عهد الخلفاء الراشدين مثلاً،^(٤) إلا أنه من المؤكد أنه كان لكل من تلك البلدان والٍ فى كل

(١) معجم البلدان ، ٩/٢ ، وشرح العيون شرح رسالة ابن ريدون ، لابن تينة المصرى ص ١٧٣

(٢) طبقات ابن سعد ، ٥/٢٢٧ .

(٣) الطبرى ، ٢/٤٢٧

(٤) المعجم ، ص ٨١

الفرات العمرانية لها، ومن باب أولى فإن الخلفاء كانوا حريصين على تعيين ولاية على الإمارات، والأمصار والبلدان الكبيرة بالرغم من إهمال التاريخ ذكر أسمائهم، أو تتبع أخبارهم، لأنه لا يهتم غالباً إلا بتدوين الأخبار المؤثرة في مجرياته.

ومن الملاحظ أنه حدثت تنقلات واستدعاءات للولاة في كثير من الولايات عند بداية الاستفار في عهد الخلفاء الراشدين، وترتب على ذلك ضم الولايات الشاغرة إلى أقرب وإلى ولاية متجانسة معها، لإدارتها وتصريف شؤونها، فمثلاً: كانت اليمن عند وفاة الرسول ﷺ، بين سبعة ولاء^(١) فاستدعى أربعة منهم إلى ميدان الفتوحات فظل فيها ثلاثة ولاء^(٢) ثم صارت فيما بعد تحت وإلى واحد غالباً، وعندما استدعى جرير بن عبد الله البجلي وإلى نجران بعد ابن حزم، وقبل أو بعد أبي سفيان بن حرب في بعض الأقوال، أضيفت نجران إلى ولاية الطائف، وعندما انتقل عثمان ابن أبي العاص وإلى الطائف، والياً على البحرين (الاحساء) واليمامة، بدلاً من العلاء بن الحضرمي أو إلى الميدان على خلاف في ذلك، وأصبحت ولاية الطائف شاغرة، انتقل إليها يعلى بن أمية وإلى الجند، وعين مكانه على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي^(٣) كما كان مكة المكرمة اهتماماً بالغاً من قبل الخلفاء لكونها تضم المسجد الحرام، والبيت الحيق،

(١) انظر ص ١٧٩ ، ١٨١ من هذا البحث .

(٢) البدء والتاريخ ، ٧١/٤ .

(٣) انظر فيما سبق الطبري ، ٣٢٣/٣ ، ٦٢٣ ، والبدية والنهاية ، ٥٤/٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، والمجموعه ص ٤٦ .

مهوى أئمة المسلمين، ولنا فيك المؤرخين قد تبحروا أعيانها وأسماء ولائها
فى غالب الأحيان، وكانت كثيراً ما تنضم، أو تنضاف إليها ولاية الطوائف
بكل توابعها ومخالفاتها، والتي منها بحران .

وأيا ما كان الحال مسوف تمر من خلال المسرد التاريخى اللاحق
لفرقتنا هذه، ببعض اللمحات التاريخية، تؤكد دوام الهوية لمنطقتنا، وتدعم
ما تم التوصل إليه من معالم حدودية منذ ما قبل الإسلام، واستمرارها
كذلك فى ظل الإسلام، بل وزادها الإسلام تأكيداً حين أدخلها لأول مرة
فى طور الترتيب الإدارى الذى قامت عليه الدولة الإسلامية فى عهد
الرسول ﷺ

وأصبحت منطقتنا جزءاً من كيان دولة لها حكام، يولون أمراء
ينوبون عنهم فى إداره تلك الولايات وغيرها من الأمصار المختلفة، وليس
لأحد من هؤلاء أية استقلالية فى ولايته، وما حدث من ذلك فى أوقات
الاضطرابات والعن، فإنه كان يعتبر غير مشروع، لأنه مخالف للقاعدة
الأساسية، التى وضعت للقرىبات الإدارية للدولة الإسلامية، ومن ثم فهو
من قبل الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه كما يقال ..

وقد استمر العمل بالترتيبات الإدارية التى وضعت فى عهد الرسول
ﷺ، عدة قرون، حتى عرفت واشتهرت حدود الولايات، ومن ثم دونت

ففى السجلات، وصنفت كتب أشارت إليها، وجدت معالمها،
ومساعاتها، وقياساتها على طبيعة الأرض .. وغالب الظن أن شهرتها
توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، حتى قيام الدولة فى العصر الحديث.

الباب الخامس

البيعة الإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى بداية

الدولة العثمانية

الخلفاء الراشدون :

عرفنا فيما سبق بعض الترتيبات الإدارية التي قامت عليها دعائم الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، والتي كان من بينها مراعاة الامتداد الطبيعي للأرض، والخصائص الإقليمية، والتوافقات بين القبائل، وذلك عند تشكيل الولايات التي تكونت منها الدولة ومن ثم تعيين الولاة وعمال الصدقات على تلك الولايات، وعلى القبائل في مواطنها، وإرسال الدعاة والقضاة والعلمين. كما تم وضع أسس الملكية الخاصة والعامة والمشاع، وتحديد المعالم لكافة الولايات والمناطق والأقاليم نماءً للتشاحن والتنازع، ودعمًا للاستقرار وحرسًا على تحديد المسؤولية لكل والٍ على ولايته، وكل راع على رعيته مهما صغر حجمها، وغير ذلك من تشريعات ..

أرسيت دعائم التشريع التي شملت أمور الدين وشؤون الأمة في حياة الرسول ﷺ، ثم أوكل الأمر إلى خلفائه من أكابر اصحابه، الذين

صافى يعمدهم، ويهيئهم للقيام بتلك المهمة من بعده، فكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - أجدرهم بخلافته فى حراسة الدين، وسياسة أمور الرعية فقد عبر بالمسلمين بحور الفتن والأحوال التى أعقبت وفاة الرسول ﷺ إلى شاطئ الأمان، ثم مد ذراعيه شاهراً سيفه إلى الفتوحات الإسلامية ليواجه فى وقت واحد أعظم دولتين تقاسمان مصائر الشعوب فيما بينهما فى ذلك الوقت، ولو لم يكن لأبى بكر من المناقب سوى ذلك لكفاه، فما بالك وسجله حافل بالعديد من المناقب.

• عهد أبى بكر الصديق (عهد حكمه: ١٠ أيام / ٤ شهور / ٢ سنة)

كان من نتيجة استتقار القبائل، وتجهيز الجيوش للفتوحات فى عهد أبى بكر الصديق، أن حدث استدعاء بعض الولاة من ولاياتهم، ليقودوا تلك الجيوش، أو يقودوا مدداً لمن سبقوهم إلى الميدان، وترتب على هذا شغور بعض الولايات، فأضيفت إلى أقرب وإل على ولاية متحاسة معها، بغرض إدارتها وتصريف شعونها، فمثلاً أضيفت ولاية بخران إلى ولاية الطائف عندما استدعى واليها أبوسفيان بن حرب إلى الميدان ليتولى مهمة وعط الجند، وبث الحماس فيهم، وحشهم على القتال قبيل معركة اليرموك، منتصف عام ١٣هـ^(١) وكان واليها قبله جرير بن عبد الله البجلي، ذهب

^(١) البداية والنهاية ٩/٧، وفتوح البلدان ٨٠/١، وابن خلدون ٨٥/٢.

أيضاً إلى ميدان الشام أولاً، ثم ميدان العراق^(١)، ومستذكر فيما بعد ما
يلكده هذا الصمم، أو الإضافة والتبعية.

ومن الولايات التي أضيق مثل نجران، الولاية التي كان عليها
عالم بن سعيد بن العاص، وهي للمنطقة فيما بين ربيع وأبين بأرض اليمن،
فقد ضم جزء منها إلى صنعاء، وجزء لولاية الجند^(٢) وصارت حضرموت
ولايتين بعد أن كانت ثلاث لوأخر عهد الرسول ﷺ،^(٣) كما أصبحت
اليامنة والبحرين. (الأحساء) في معظم الأحيان ولاية واحدة، وغير ذلك
كثير.

كما لوحظ أن الولاة الذين كان يتم استدعاهم إلى الميدان، كانوا
يختارون من ينوب عنهم في إدارة الولاية وتصريف شئونها، ثم يلفون
الخليفة عن اختياره، وللخليفة أن يقره، أو يمين آخر بدلاً منه، وذلك
مثلاً امتدعي الخليفة أبو بكر الصديق كلاً من عمرو بن العاص، والوليد
ابن عقبة، وكان كلاً منهما على بطن من قضاة، فكسب لهما

د

^(١) ينظر ص ٢١٠-٢١٥ من هذا البحث.

^(٢) كان أبو بكر الصديق قد غير المهاجر بن أبي أمية، بعد انتهاء حروب الردة في أن يذهب لتسليم الولاية التي
كان ولاه عليها رسول الله ﷺ بأرض حضرموت، أو ولاية صنعاء، فأختار ولاية صنعاء، ونقل فروع
لديها التي كان قد نزلها مؤلفا عقب الانتهاء من فتح اليمن إلى ولاية الجند، ونقل يحيى بن أمية من
ولاية الجند إلى ولاية مأرب وعطراف غولان، لشقورها باستدعاء أبي موسى الأشعري إلى الميدان، وظل يحيى
بن أمية في تلك الولاية - مأرب وغولان - إلى أن نقله عمر رضى الله عنه وأبى على الخليفة. انظر الطبري
٣٢٧/٢، ٣٤١.

^(٣) انظر ص ١٧٩، ١٨١ من هذا البحث.

يستدعيهما للهاب الى الليدان، فاستخلفا مسن نساب عنهما فى عملهما، وأقلا الى أبى بكر^(١) ومظما استخلف يزيد بن أبى سفيان والى حمشق أحماء معاوية قبيل وفاته، وبعث إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يفيد به بذلك، فلما توفي يزيد عام ١٨هـ، أقر عمر معاوية على الولاية، وامتد منها سلطانه فيما بعد.^(٢)

وعندما توفي الخليفة أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -^(٣) كان عماله على متطقتا هم:

أولاً: مكة المكرمة، وأحوزها - على الرجاء السلى
أوضحناه فى تحديد الولايات أواخر عهد الرسول ﷺ^(٤) عتاب بن أسيد، منذ أن ولاه إماما رسول الله ﷺ، واستمر واليها طوال عهد أبى بكر^(٥) وقيل توفي يوم وفاة أبى بكر، وقيل توفي بعد ذلك، وأنه كان أميراً عليها، حين حج عمر بن الخطاب موسم عام ١٤هـ، ويساعده الطاهر بن أبى

(١) البداية والنهاية ، ٣/٧

(٢) مات يزيد بن أبى سفيان فى طاسون حمولس أواخر عام ١٧هـ وقيل بالة عام ١٨هـ، البداية والنهاية، ٨٨/٧، ١٠٥ ، والطبرى ٢٨٩/٤ .

(٣) توفي أبو بكر الصديق رحمه الله ، يوم ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣هـ.

(٤) الطبرى ، ٣١٨/٣ ، والفلز ص ١٧٢-١٨٠ من هذا البحث .

(٥) ابن الأثير ، ٤٢٠/٢ ، وشفاء القرام بأخبار البلد الحرام ، ١٢٢ / ٢ .

هالة على أرض عك والاشعرين^(١) وله مساعدون آخرون يتمثلون فى رؤساء البلدان على بلدانهم، والقبائل على قبائلهم، وكثير منهم كان قد عينه الرسول ﷺ، فى مرقعه حين وفده إليه بإسلامه، أو إسلام قبيلته، كما هو الحال فى كل المناطق.

ثانياً: الطوائف، وأحوازها، وباديتها، على الوجه الذى سبق أن أوضحناه عند تحديد الولايات أو آخر عهد الرسول ﷺ،^(٢) ثم بمران المضافة إليها كما سيوضح ذلك فى عهد عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — .

كان الوالى هو عثمان بن أبى الماص، منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، عام ٩هـ، وكان يساعده كل من مالك بن عوف النصرى، وعكرمة ابن أبى جهل، وسعد بن أبى وقاص^(٣) قسم استدعاء هؤلاء الثلاثة إلى الميدان، ولم يعين بديل لهم إكتفاء برؤساء البلدان والقبائل، كل فى موقعه، نظراً لاستقرار الوضع والأمن، فى شبه الجزيرة بصفة عامة، وانشغال الناس بفتح أخبار الفتوحات، وإشغال الحماس فى نفوس من لم ينهب إلى ليلتان بالتأهب للمشاركة.

(١) سبق أن أشرنا إلى ما ذكره ابن خردادبة، والفاكهى وغيرهما، من أن أمر غطفان مكة من جهة تهامة جنوباً هى بلاد عك، واستمر الوضع هكذا إلى منتصف القرن الثالى للدولة العباسية، حين بدأت فى التفتت، وانشلال الأقاليم منها. أى استمر هذا الوضع حوالى ثلاثة قرون.

(٢) الطبرى، ٣/٣١٦، والنظر ص ١٧٧ - ١٨٠ من هذا البحث.

(٣) ابن خلدون، ٢/٨٢ - ٨٥، والنظر ص ١٧٧ - ١٨١، من هذا البحث.

ومن الملاحظ أن الأمور الإدارية في الولايات كانت تنسم بطابع
الجدية والاهتمام، ودقة المتابعة، والسهو على مصالح المسلمين، ذلك أن
الوالي كان لا يغادر مقر الولاية إلا إذا أناب عنه من يديرها فترة غيابه،
حتى لو كان ذاهباً لمقابلة الخليفة في عاصمة الخلافة، فقد أناب عتاب بن
أسيد، عنه في ولاية مكة: المخزوم بن حارثة بن ربيعة، في سفتين سافرها
خارج مكة^(١) كما أناب نافع بن عبد الحارث الخزاعي، حين كان والياً
على مكة عام ٢٢هـ: عبدالرحمن بن أبيزي^(٢) في عهد عمر بن الخطاب.

• عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلافة: أيام ٦ أغسطس / ١٠ هـ

أولاً: مكة المكرمة، وما يتبعها، على الوجه الذي ذكرناه سابقاً في
تحديد الولايات. فقد أورد الفاسي^(٣) أسماء ولاية مكة في عهد عمر، وهم:
المخزوم بن حارثة بن ربيعة القرشي، ثم قنفذ بن عمرو بن جدعان التيمي، ثم
نافع بن عبد الحارث الخزاعي - تولاهما مرتين في عهد عمر - ثم أحمد بن
خالد بن العاص المخزومي، ثم طارق بن المرتفع بن عبد مناة القرشي، ثم
الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب؛ وكان الرسول ﷺ قد

(١) شعاع الفراء، ١٦٤/٢.

(٢) شعاع الفراء، ١٦٤/٢.

(٣) شعاع الفراء، ١٦٤/٢، وقد أورد أحوال المؤرخين، واختلافاتهم في أسماء بعض الولايات وتاريخ ولايتهم.

استعمله في جميع صدقات بعض أعمال مكة بتهامة، وكذا أبو بكر الصديق، وولي عتبة بن أبي سفيان على كنانة بتهامة الحجاز أيضاً.^(١)

ثانياً: الطوائف، وما يتبعها، وما انضاف إليها، على وجه الذي ذكرناه سابقاً في تحديد الولايات.

كان إليها هو عثمان بن أبي العاص، هو نفس إليها من عهد الرسول ﷺ، ثم في عهد أبي بكر الصديق، ثم استدعاه عمر بن الخطاب للقيام ببعض اللهام في ميدان العراق عام ١٥ هـ تقريباً، ثم أعاده والياً على اليمامة والبحرين بدلاً من العلاء بن الحضرمي^(٢) حين عزله عمر عام ١٧ هـ، لكونه حمل للمسلمين على عبور الخليج لغزو فارس دون أن يستشير، ثم أعاد العلاء إلى ولاية اليمامة والبحرين، وعثمان إلى الميدان بفارس، وكانت له جهود واضحة في فتح أصطخر وبعض خراسان عام ٢٣ هـ وما بعده، وظل بها إلى أن توفي عام ٥٠ هـ ولما شغرت ولاية الطوائف، عقب استدعاء عثمان بن أبي العاص، نقل عمر بن الخطاب إليها

(١) الطبري، ٤/٢٢٠، الأوزي ١٥١/٢، ١٥٢، والمهمرة ص ٢٤٢.

(٢) العلاء بن الحضرمي عزله عمر عن ولاية البحرين مرتين: استلحقها هذه التي علقه فيها عثمان بن أبي العاص، ثم أعاده وبعث عثمان إلى الميدان، ثم عزله الثانية وحل مكانه قناسة بن مظعون، وتولى العلاء عام ٢١ هـ الطبري، ٣/٦٢٣، والبنية والنهاية، ٩٣/٧، ١١١، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٣، وفيه أن أبا هريرة هو الذي تولى مكانه بعد عزله المرة الثانية، وليس هذا صحيحاً، فلو حريرة تولى بعد ابن مظعون.

يعلى بن أمية، وإلى مأرب وعمولان،^(١) ثم عزله عمر عن ولاية الطائف عام ٢٢هـ تقريباً، وظل فترة دون مناصب إلى أن عينه الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه -، والياً على صنعاء، وظل والياً عليها إلى عام ٣٥هـ حين قدم إلى الحج في ذلك الموسم، وعقب انتهاء الحجاج من أداء مناسكهم جاءهم النبا باستشهاد عثمان - رضى الله عنه - فظاهر يعلى بن أمية للمطالبيين بدم عثمان، وأسرع الخطى مع المنطلقين من مكة لهذا الغرض، وحضر وقعة الجمل مناهضاً لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - لكنه مالم يأت أن انضم إليه بعد ذلك ضد معاوية، وقتل مع الإمام على - رضى الله عنهما - في وقعة صفين^(٢) ونظراً لتكرار تنقل يعلى بن أمية بين عدد من الولايات، فقد التمس على بعض المؤرخين تحديد تواريخ تقلده تلك الولايات، ومن ثم ترتيب ولايته لها، وزاد هذا الالتباس للدرجة أن بعضهم أخرجه في ولاية اليمن جميعها، بينما لم يجتمع لوال واحد، ربما إلا شطراً من عهد الإمام على بن أبى طالب، حين وكى عليها عهد الله بن عباس، وإلا في عهد عهد الله بن الزبير حين وكى عليها أخاه عسالد بن

^(١) كان يعلى أول من تول ولاية الجند عند تشكيلها في عهد الرسول ﷺ ، وكان عليها إيمان فتنة العنسي ، انتقل إلى مأرب مكان أبي موسى الأشعري ، ومن مأرب انتقل إلى ولاية الطائف ، وسبق أن قلنا ترجمه وأن البعض ينسب إلى أمه يقول : يعلى بن سية ، وأمه هي بنت هـ أو أميت (على خلاف في ذلك) حبة غزوان ، وأمه نفيسة بنت منية هي التي قامت بخطة أم المؤمنين عذبة . رضى الله عنها - ، إلى رسول ﷺ ، قبل البجة وأسست، يوم الفتح ، ولما رماها الرسول ﷺ يرها وأحسن إليها .

الطريق الطوى ١٢٣/٣ ، والبلدية وشهادة ٦٨/٧ ، ٥١/٨ ، وابن الأثير ٤٠/٢ ، والبحر ص ٢١٣ ، ٢٩ وهامش كتاب الأمراء للقاسم بن سلام ، ص ٤٤٥ .

^(٢) طبقات ابن سعد ، ٣٥٨/١ ، والاسباب ٦٦٨/٣ ، والبلدية وشهادة ٧٥١/٧ .

الزبيد^(١) وبعضهم ذكر أن يعلى كان والياً على صنعاء في عهد أبى بكر وعمر، بينما الصواب أنه لم يكن والياً على صنعاء إلا في عهد عثمان بن عفان، وبعد أن عزله عمر عن ولاية الطائف وما يتبعها أواخر عام ٢٢هـ. ظل فترة دون مناصب بقية عهد عمر وشطراً من عهد عثمان إلى أن عينه عثمان والياً على صنعاء.

لهم أن عمر عين في الولاية التي شغرت في اليمن من أثر نقل يعلى - وهى مأرب - عين بدلاً منه عبد الله بن أبى ربيعة بن أبى أمية المخزومي، وهو ابن أخى المهاجر بن أبى أمية المخزومي والى صنعاء^(٢) ورغم أن اليمن كانت مقسمة إلى عدة ولايات^(٣) تزيد أو تنقص وفق الظروف، إلا أنها كانت موحدة الإطار، وتسم بالهدوء والاستقرار خلال عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية، وشطراً كبيراً من عهد العباسيين، فى معظم الأحوال، أما يعلى فنقله عمر والياً على الطائف، وما يتبعها، وما انتضاف إليها - بحران - عام ١٥هـ^(٤) وفى عام ٢٠هـ عزم عمر على

(١) البسيرة، ص ١٨، ١٢٢، والأخبار الطوال ص ١٤١، وللتخلف من تاريخ اليمن للحرفى ص ٨٩، وفيه أن يعلى ظل حاملاً على اليمن منذ عهد أبى بكر، وعمر، وعثمان، إلى أن عزله على بن أبى طالب وولاهما عبد الله بن العباس، وهذا وهم يخالف الصواب، وقع فيه العديدون.

(٢) وعبد الله بن أبى ربيعة بن أبى أمية بن أم سلمة، وهو كذلك والد الشاعر الجاهلي: عمر بن أبى ربيعة، البسيرة ص ١٨٦، ١٤٧، وظل والياً باليمن على ولاية الجند حتى نهاية عهد عثمان - رضى الله عنه -

(٣) انظر: البدء والتاريخ ٧١/٤.

(٤) الخطيب ٢٢٢/٣، والامامة ١٦٩/٣.

إجلاء يهود خيبر^(١) وإجلاء نصارى بخران^(٢) فعهد الى يعلى بن أمية وهو
والى الولاية التى انضافت اليها ولاية بخران، لأنها تحت إشرافه ومسؤوليته،
بأن يقوم بعمل القتيات اللازمة لإجلائهم عن بخران، ودارت بينه وبين
أمر المؤمنين عمر مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء، وتقدير ممتلكاتهم
وتعويضهم عنها، وتحديد فترة زمنية معينة لمخادرة بخران، كما وجسه عمر
خطاباً للنصارى أنفسهم، ليأكلوا من أن الأوامر بإجلائهم صدرت منه
رأساً كأمر المؤمنين، حتى لا يظن أحد منهم أنها صادرة من والى الولاية
دون علم أمر المؤمنين، فما والى الولاية إلا منفذ للتعليمات الصادرة اليه.

يقول عمر بن الخطاب ... رضى الله عنه - فى خطابه لهم^(٣) أما بعد:
فإنكم زعمتم أنكم مسلمون (معظمهم قد زعم ذلك) ثم ارتدتم بعد،
وأنة من يتب منكم (أى يعود للإسلام) ويصلح (يأتى من الأعمال
الصالحة ما يدل على إسلامه) لا يضروه ارتداده (السابق) ونصاحبه حجة
حسنة .. ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتى برهة من وددناه، عشراً تبقى
من شهر الصوم (أى أعطاهم مهلة لوك البلاد والخروج من بخران
الى عشرين من شهر رمضان عام ٢٠هـ) ..

(١) كان لرسول الله ﷺ قد صالح بعضهم على البقاء لزراعة أرضها، ووقع منهم اعتلاء على بعض المسلمين قبلة،
منهم عبد الله بن حمر ضرم حمر على إسلامهم وإسلام يهود فدك، ونصارى بخران. انظر: السيرة الحلبية،
٧٧١/١.

(٢) وقع فى الطوى، وابن الاثير وغيرهما: إجلاء يهود بخران بدل نصارى بخران، وهو خطأ، وما يكون من فعل
السخ.

(٣) انظر كتاب الاموال لابن زعره ، ٢٧٦/١ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ .

أما بعد: فإن يعلى (الوالى المسؤول عن ولايتكم والموكيل اليه مهمة إحتلاككم) كتب يخبر أن يكون أكثره أحداً منكم على الإسلام، أو عنده.

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض (أى نصف إنتاجها) وإنى لا أريد نزعها منكم ما أصلحتم (إذا أسلمتم واستمروا على اعتناق الإسلام والعمل الصالح).

تكاليف يعلى بتلك المهمة أتى من كونه هو الوالى المسؤول عن ولاية نجران المضافة قبل، لولاية الطائف لكنى يكسون مسؤولاً عن متابعة تنفيذ عملية الإحلام، وتقييم الممتلكات، وتمريضهم عنها ثم تسلم تلك الأرض منهم وتوزعها على من يقومون بزراعتها لصالح الدولة، مثل عسير وفندق^(١) وليكن مسؤولاً عن أى خطأ، أو خصومات تنشأ عن هذا الموضوع .. لذا نلاحظ أنه أرتكب خطأ، وكان هذا الخطأ هو السبب فى عزله عن ولاية الطائف ونجران، فقد بلغ عمر أنه حار لنفسه بعض الأرض فى نجران فعزله عام ٢٢٢هـ وعين مكانه سفيان بن عبد الله الثقفى، والياً على الطائف ونجران^(٢).

^(١) انظر السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبرى، ٤٤٦/٢، ١١٢، والبدلية والنهاية ١١٢/٢، وابن الأثير، ٤٠/٢، ١١٩٣، ٢٩٤، ٥٦٩، وابن خلدون، ٦٦/٢، ٨٨، الاسوال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، وجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٠ - ١٠٣.

^(٢) الطبرى، ٢٤١/٤.

المهم أن بجران أصبحت مضافة وقابعة الى ولاية الطائف، وإن لم يذكرها المؤرخون عند تعيين الولاة على الطائف احتمالاً على أنها ولاية واحدة، أو ولايتين مرتبطتين بوالٍ واحد، بل كثيراً ما كانت الطائف، وما يتبعها - ومنها بجران - كانت تنضاف الى ولاية مكة، ويتولى الجميع والٍ واحد، كما سنرى ذلك عند تصفحنا للوقائع التاريخية التالية لفرقتنا هذه.

ولما طعن أبو لؤلؤة - فرور الجوسى - عمره، وهو قائم يصلى الصبح من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ، عهد بالأمر بعده شورى فى ٦ من أعيان الصحابة، على أن يختاروا واحداً من بينهم يلقى أمر المسلمين^(١) وتحكمته وبعد نظره أوصى بأن يظل عماله على الولايات لمدة عام، لكى يضمن استقرار الأوضاع على الوجه الذى ربه لحسن ودقة الإدارة .. ولحين يستوعب الخليفة الذى يحل محله أمور المسلمين وشؤون الدولة.

وكان عمر عماله: على مكة وما يتبعها: الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وآخر عماله على الطائف، وما يتبعها، هو سليمان بن عبد الله الثقفى، الذى حل مكان يعلى بن أمية، بعد أن عزله عمر، عن ولاية الطائف وجران^(٢).

^(١) الطبرى، ١٩٠/٤ - ١٩٤، ٢٢٨، والبدية والنهاية ١٥١/٧، ولقدس فى أحوال أكفى تيس من ٢٤٨.

^(٢) شفاء الغرام، ١٦٤/٢، والطبرى، ١٤١/٤، وفيه أن يعلى بن أمية كان واليه على صنعاء وليس هذا صواباً، فان يعلى كان فى ذلك الوقت معزولاً، دون أي منصب.

• عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - اهدى خلافة جوادى الله على عباده ٢٥ سنة

أيام ٥

عمل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - بوصية عمر بإبقاء الولاية في ولاياتهم لمدة عام، فيما عدا الكوفة التي أعاد إليها سعد بن أبى وقاص بناءً أيضاً على وصية عمر، باستعمال سعد لأنه لم يعزله عن تقصير صدر منه (فَيُلْحَقْهُ أَذَى بِذَلِكَ وَيُطْلَنَ النَّاسُ أَنْسَى عَزْلَتِهِ عَنْ سِرِّهِ) ^(١) لذا يقال إن عثمان أعاده إلى الكوفة عقب توليه الخلافة، وكان سعد من بين الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده ^(٢) ثم عزل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - بعض الولاة وعين آخرين فى كثير من الأمصار والولايات، وكان لتجاوزات بعض الولاة أثر فى الفتنة التى حلت بالمسلمين واستغلها أصحاب الأهواء فزادوها اشتعالاً، حتى أودت بحياة ذى النورين یرحمه الله.

وكان عمال عثمان - حين استشهد يوم النار، فى ١٨ ذى الحجة

٣٥ هـ - مختطفين ^(٣):

- على مكة وما بينهما: عبد الله بن عامر الحضرمى، وكان أول

من أبلغ أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - بقتل عثمان، فقد كانت

^(١) نص عبارة عمر رضى الله عنه .

^(٢) الطبرى ، ٢٢٨/٤ ، ٢٤٤ ، والبدلة والنهاية ، ١٦٣/٧ .

^(٣) الطبرى ، ٢٦١/٤ ، وشعاع الفرام ، ١٦٤/٢ .

هى وبعض أمهات المؤمنين فى موسم الحج ذاك العام، وكان ابن عامر
كول يجيب للطلب بدم عثمان.

- وعلى الطائف وما يتبعها - بخران، والبوادي، والسراة -: القاسم
ابن ربيعة الثقفى.

- وكان على صنعاء: يعلى بن أمية النوالى السابق للطائف، والذي
أشرف على حلاء نصارى بخران فى عهد عمر عام ٢٠هـ، ثم ارتكب
بعض التجاوزات فعزل عن أواخر عهده، وظل دون عمل شطراً من عهد
عثمان، ثم أعاده عثمان والياً على صنعاء، كما نقل عثمان: عبد الله بن
أبى ربيعة الذى كان والياً على مأرب، والياً على الجند، فكان هو واليهما
عند وفاة عثمان - رضى الله عنه -^(١).

ومما يسرعى الانتباه حقاً موقف الخليفة عثمان - رضى الله عنه -
ومدى حرصه الشديد على توفير الأمن فى بلد الله الحرام، والا يهتك
ستار الأمن فى مكة المكرمة، أو يسرع أهلها الوافدون إليها مثلما روع
إخوانهم فى المدينة المنورة، وعات فيها المرجفون فساداً أثناء حصارهم له -
رحمه الله -، وحالوا بينه وبين الصلاة فى المسجد، ومنعوا دخول الأكل
والماء المذنب الى بيته، وأشرف هو وأهله على الملاك: فخلال هذه الحقبة
القاسية تطلعت الفطارة الى مكة المكرمة وبحشى أن يتسرب إليها بعض

^(١) البداية والنهاية ٢٠١/٧ .

هؤلاء الشواذ الخوارج فيلبثون الشغب باليقصاع المقدسة ويدبلون أمهاتها
 غزواً وقزعاً، مستغلين قتلهم المجهج إليها موسم عام ٣٥هـ، وكان حصار
 الخوارج له قد امتد حتى دخل هذا الموسم^(١) وبدأ الناس يغلبون إلى مكة،
 وخرج إليها من المدينة العديد من الصحابة رضى الله عنهم، فقام الخليفة
 عثمان - رضى الله عنه - باستدعاء عبد الله بن عباس، إلى بيته المحاصر،
 وقال له: يا ابن عباس، إني كنت قد استعملت على مكة خالد بن العاص
 ابن هشام^(٢) وقد بلغ أهل مكة وغيرهم ما صنع بنا الناس، وأنا أعاف أن
 بمنعهم الوقوف بالموقف - أي يعرفات - فيأبى هو، فيقاتلهم ويقاتلونه في
 حرم الله عز وجل وفى أمنه، وبه قوم جاعوا من كل فج عميق، فرأيت أن
 أولئك أنت أمر الموسم، فاقهض إلى خالد وأمره أن يخرج بالناس، فلان أبى
 أو منعه أحد فتولى أنت أمر الموسم .. ثم كتب معه كتاباً ليقرأه على
 الناس في موسم الحج .. فذهب ابن عباس وحج بالناس وقرأ عليهم كتاب

^(١) قيل إن الحصار الثاني الذي قتل فيه عثمان - رضى الله عنه - امتد أربعين يوماً وقيل اثنين وعشرين يوماً وقيل غير ذلك .

^(٢) هو خالد بن عباس بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، ابن عم عكرمة بن أبي جهل، ويبدو أنه عينه والياً بدلاً من عبد الله بن عامر المخزومي أثناء الحصار، فهو أن خالد رفض أن يتخذ الولاءة، ولذا استمر ابن المخزومي هو الولي على مكة حتى انتهى موسم حج عام ٣٥هـ، وهو أول من عرف بمقتل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - وأبلغ الناس بحكة به، ثم كان من أوائل المقاتلين بدم عثمان، ومعه يعلى بن أمية وولي عثمان حلى صناديد عبد الله بن عامر وأبيه على البصرة، وكانوا قد حضروا للموسم ذاك العام، وسج يعلى ٦٠٠ بعير، وستة آلاف درهم، جهر الناس بها وخرجوا من مكة للمطالبة بدم عثمان بعد انتهاء الموسم بأربعة أشهر تقريباً انظر البداية والنهاية : ٢٥١/٧، ٣٧٦.

الخليفة عثمان قبل يوم القروية يوم^(١) ولما انتهى من الناسك عاد ابن عباس إلى المدينة مسرعاً فوجد الخليفة قد قُتِلَ رضي الله عنه^(٢) ووُثِلَ على ابن أبي طالب خليفة على المسلمين.

* عهد علي بن أبي طالب = رضي الله عنه = (مدة خلافته ٢٣ يوماً / ٨ شهر / ٤ سنوات)^(٣)

أَمْضَى أَسْمَرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَوَّجَهُ فِي مَعَابِجَةِ آثَارِ
الْفِتْنَةِ الَّتِي بَزَغَ قَرْنُهَا فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَرَاحَ ضَحِيحُهَا رَحِمَهُ
اللَّهُ، ثُمَّ تَأَجَّجَ أَوَارِئُهَا وَتَفَرَّعَ لَهْيُهَا فِي عَهْدِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،
حَتَّى رَاحَ هُوَ أَيْضاً ضَحِيحُهَا فِي ١٧ رَمَضَانَ عَامَ ٤٠ هـ، وَكَانَتْ السَّبَبُ
الْمُبَاشِرُ فِي جَنَوحِ الْفِكَرِ عَنْ حَادَةِ الصُّرَابِ لَدَى الْبَعْضِ، حَيْثُ أَخَذَ طَرِيقَهُ
إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَرَكِبَ مَرْجَةً جَنُوحَهُ طَوَائِفُ مِنَ الْبُشَرِ عَتَلَفِي النُّزَعَاتِ
وَالْأَهْوَاءِ ابْتَدَعُوا فِي الْإِسْلَامِ مَا لَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ بِهِ سُلْطَاناً، وَأَسَامَ هَذِهِ الْحِجَّةُ
الَّتِي وَاحِدُهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَخُرُوجُ وَلَايَةِ الشَّامِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ
سُلْطَانِهِ، نَلْحِظُ أَنَّهُ جَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ وَلَايَةٍ بِبَعْضِ الْمَنَاطِقِ تَحْتَ وَلَايَةِ وَالٍ
وَاحِدٍ بِحَيْثُ يَحْتَرِ وَالِيّاً عَامِماً، وَغَيْرَ ذَلِكَ فَمِثْلًا:

(١) أي يوم ٧ من ذي الحجة ٣٥ هـ، فإن يوم القروية هو الخامس من ذي الحجة .

(٢) انظر فيما سبق الطوي ٤/٤٠٠-٤١١

(٣) البداية والنهاية ٢٤٧/٧، ٣٦١، ١٥/٨، وفي المربع للثنية ٢٠، ص ١٢٦، أن مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام .

جعل على مكة المكرمة - عقب توليه الخلافة - أبو قتادة الأنصاري،
 ثم عزله وعين بدلاً منه عام ٣٦ هـ: ابن عمه، قثم بن العباس بن عبد
 المطلب، فلم يزل والياً إلى أن قتل على بن أبي طالب - رضي الله عنهما -
 وقيل تولاهما معبد بن العباس قبل قثم^(١) وضُمَّت إلى ولاية مكة ولاية
 الطائف بما يتبعها من مخاليف وبنوادي، وكانت بجران سبق أن انضمت لها
 منذ عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - وكان أخوه تمام بن العباس والياً
 على المدينة المنورة، فكانت لهما الولاياتان على منطقة الحجاز بكاملها، وكان
 أخوهما عبيد الله بن عباس هو الوالي على اليمن بكافة غاليها وولاياتها
 السائقة، يساعده ولادة للمناطق والمخالفين، وكان مقيماً في صنعاء فاعداً
 اليمن، واستدعى عبيد الله بن عبد المطلب الحارثي من بصران، فحججه نائباً له
 في صنعاء يصرف شئون اليمن خلال فترة عدم وجوده بها^(٢)، فلما قدم

^(١) شفاء الغرام: ١٦٦/٢، والبلدية والنهاية: ٣٣٩/٧، ٣٤٧، والطبري: ٩٧/٥

^(٢) بعض المراجع تذكر أن والي اليمن من قبل علي بن أبي طالب، هو عبيد الله بن عباس، وليس ذلك صريحاً، فإن
 عبيد الله بن عباس كان واليه على البصرة وظل مرتبطاً له منذ أن خرج من المدينة إلى الكوفة حتى عام ٤٠ هـ.
 حين حين وقع بينه أبي الأسود الدؤلي خلافة، وكان أبو الأسود الدؤلي قائم البصرة، فترك ابن عباس البصرة
 مغاضباً له، ولعلي أهدأ وأخذ شيئاً مما كان قد جمعه من بيت المال من العمالة والفيء، وذهب إلى مكة وتبعه
 قوم من أمواله من بني هلال، ومن قيس وبينهم، فهذا كله يدل على أن عبد الله بن عباس لم يذهب إلى
 اليمن والياً، والبعض خلط بين: عبيد الله وعبد الله، لنشابه الاسم.
 انظر: البلدية والنهاية: ٣١٩/٧، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٢، ٩٧/٨، والأخبار الطوال للبيهقي: ص ١٤١، ١٥٢،
 والجمهرة ص ١٨، والطبري: ١٤٠/٥، كتاب أنساب الأشراف للبلاذري: ٤٥٣-٤٥٥.

بسر بن أبي أرطاة^(١) من قبل معاوية واستولى في طريقه على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة وانطلق إلى اليمن ليخضعها هي أيضاً لمعاوية، قتل ابن عبد المدان هذا وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان، كما قتل طفلين صغيرين لعبيد الله بن عباس، هما: عبدالرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن عباس، ولما علم أمير المؤمنين على بن أبي طالب بما فعله بسر بن أبي أرطاة، بعث إليه كلا من حازبة بن قدامة السعدي ووهب بن مسعود الثقفي، ففر من أمامهما بسر، فقاما بإعادة الأمن لتلك المناطق، وأعادوا ولائهما إلى الإمام على بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

ومن الملاحظ أنه كان يوجد منطقة بخران في ذلك الوقت بعض المشايخين لعثمان - رضي الله عنه - اضطهدهم ابن قدامة، وكان باليمن مشايخون لعلي بن أبي طالب اضطهدهم بسر بن أبي أرطاة، عند حلول كل واحد منهما إلى المنطقة^(٢).

كما لوحظ أن أبناء العباس: عبد الله وعبيد الله وقثم، كانوا يحضرون مواسم الحج إما جميعهم أو أحدهم ليقروا المصحف في عهد الإمام على - رضي الله عنه - فيما عدا موسم عام ٣٩هـ حضره منسوب عن معاوية، روقع تشاحن بينهم، فتصالحوا على أن يتودعهم عثمان بن طلحة

^(١) بسر بن أبي أرطاة من عامر بن لؤي، أحد قراء معاوية، ومن أكابر أصحابه، الباهرة ص ١٧٠، والطبري ١٣٩/٥.

^(٢) البداية والنهاية، ٣٥٢/٧، وأسابغ الأشراف للإلاذري ٤٥٠/١-٤٥٨.

الشيخي المحمدي - حاجب الكعبة - مخافة أن يحدث في حرم الله الأمن ما يروع الأمنين^(١)، وهنا يدل على مدى حرصهم في ذلك الوقت على أمن وحرمة البقاع المقدسة.

وكان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على اليمامة والبحرين (الأحساء) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أخو سلمة ابن أم المؤمنين أم سلمة^(٢) ومنه نلاحظ أن اليمامة والبحرين (الأحساء) تضمهما ولاية واحدة وأمر واحد معظم عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -

^(١) قبيلة ولدهايل ٩٧/٨، ٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٩٩، وقطري، ١٣٦/٥، والبالغري، ص ٤٦١ -

^(٢) لمهجرة ص ١٤٤ - ١٤٦

عهد بني أمية :

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى الشام في بداية الفتوحات، حين أسره
أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - على أحد الألوية وعمل مساعداً لأخيه
يزيد بولاية دمشق وما حولها، وناب عنه في ولايتها، ولما توفي يزيد نكح
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مكان أخيه يزيد، وظل والياً على الشام وما
يتبعها طوال عهد الخليفة عثمان - رضى الله عنه - فلما استشهد عثمان
كان معاوية يحضر أقوى أمير أموي يجتمع حوله قوة هائلة، لذا تزعم
المطالبة بدم عثمان - رضى الله عنه - ثم طلع إلى ما وراءها وسلم عليه
الناس في الشام بالإمارة عقب قضية التحكم -م في ١٧ رمضان ٣٧هـ -
واستقر له الأمر دون منازع بعد أن تصالح مع الحسن بن علي - رضى الله
عنهما - حرصاً على دماء المسلمين، وذلك عام ٤٠هـ، وقيل ٤١هـ^(١)
ولذا سمي ذلك العام بعام الجماعة، وعقب ذلك قام معاوية بتولية الولاة
على الولايات التي لم تكن خاضعة له من قبل، ومنها الحجاز واليمامة
والبحرين (الأحساء) واليمن وبعض الولايات الأخرى بالعراق وفارس.

(١) البداية والنهاية، ١٦/٨-٢٤، والطبري، ١٥٨/٥-١٦١، ١٦٤، ٣٢٤، ومرآة جزيرة العرب، لأبيوب صوري
باشا، ترجمة د. أحمد متري، ود. صفصافي، ٦٧/١ .

أورد القاسمي^(١) ولاية مكة في عهد معاوية، لكن الملاحظ أنه بدأت
تجتمع عدة ولايات لوالٍ واحد، حسب توأجدها عنطقة إقليمية متشابهة
كمطقة الحجاز مثلاً.

ففي بداية أمره عين أخاه عتبة بن أبي سفيان على مكة والطائف
وما يتبعها مثل نجران، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة، وقيل
مروان بن الحكم، وبعد ذلك عزل أخاه الوليد وأضاف ولاية مكة
والطائف إلى مروان بن الحكم، فأصبح بذلك والياً على الحجاز بكامله، ثم
عزله عام ٢٩هـ وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص نفس ولاية
الحجاز بكاملها، وكان سعيد يقسم في المدينة وجعل ابنه عمرو نائباً عنه في
مكة والطائف وما يتبعهما^(٢)، وجمعت أيضاً لعمرو بن سعيد بن العاص
عام ٦٠هـ في عهد يزيد بن معاوية، وكان يطلق على عمرو بن سعيد:
الأشدق لفصاحته وبلاغته^(٣) إلى أن انفصل بها عبد الله بن الزبير، عقب
مقتل الحسين - رضي الله عنه - في ١٠ محرم ٦١هـ، ونطع طاعة يزيد عام
٦٢هـ وعقب موت يزيد في ١٤ من ربيع الأول ٦٤هـ^(٤) قوى أمر ابن
الزبير بالحجاز وما حولها، وبايعه الناس ودانت له كثير من المناطق والبلدان
وبدأ يولى عليها الولاية، فكان هو الحاكم المباشر لمكة والطائف وما

(١) شفاء القرام، ١٦٦/٢، ١٦٧.

(٢) شفاء القرام، ١٦٧/٢، والجمهرة، ص ٨٦.

(٣) البداية والنهاية، ١٥٩/٨، ١٦٦.

(٤) البداية والنهاية، ٢٣٢/٨، ٢٣٤.

يتبعهما يساعده الخبارث بن حاطب الجمحي، وولى على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير^(١) وعلى اليمن أخوه خالد بن الزبير^(٢)، وعلى العراق أخوه مصعب بن الزبير واستقل باليمامة بمحبة الخنفي، ووافق ابن الزبير^(٣) لكن ما لبث أن استقر الأمر في البيت الأموي على مروان بن الحكم، فقوى شأنهم وتأكد ذلك بولاية ابنه عبد الملك بن مروان، الذي عمل على استعادة الولايات التي خرجت عن طاعتهم واحدة تلو الأخرى، وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي قتل على ابن الزبير، في جمادى الأولى ٧٣هـ، وأخضع الحجاز واليمامة واليمن لطاعة بني أمية، ولذا فإن عبد الملك بن مروان ولده عليها جميعاً^(٤) ولم يسبق لها أن اجتمعت لولا قبله، وعون الحجاج ولادة من قبله على تلك المناطق كدواب عنه يديرونها، وهو المرجح لهم، كان منهم أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن^(٥)

(١) البداية والنهاية، ٢٥٧/٨، ٢٥٨، وشفاء قفران، ١٦٩/٢، ١٧٠

(٢) الجهمرة، ص ١٢٢

(٣) كان محبة الخنفي من الخوارج الحزبية واستقل باليمامة عن الدولة في عهد يزيد بن معاوية، واستولى على حوزة من ثمران وزحف إلى اليمن، ولم يهد كلها لم طاعة على حربه، مسلحوه على مائة ألف دينار يديرونها إليه، ويرجع عنهم، فرائق ورجع، ولم يتصادم مع ابن الزبير، انظر: مختصر أخبار اليمن لابن ريسوف، ص ٤٠، وبهذا دخلت اليمن وغيرها في طاعة ابن الزبير، ضمن لولاية عليها.

(٤) البداية والنهاية، ٣٥٧/٨، ٣٦٩، ٤

(٥) مختصر أخبار اليمن، لابن زبارة، ص ٤١، والجهمرة ص ٢٦٧، مات محمد بن يوسف في عهد أخيه الحجاج، وهو والي على العراق، ويوم أن جاءه نبيه كان ابنه محمد بن الحجاج قد توفي منذ ساعة فاسترجع الحجاج وقال: أصعد، ومحمد في يوم ١٩ وكان عبد الملك قد ولى على المدينة طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان عقب مقتل مصعب بن الزبير عام ٧٣ هـ ثم عزله عنها عام ٧٤ هـ وأضافها للحجاج خلال وسرده بالحجاز محفل تاليه فيها عبد الله بن قيس بن عزة الطبري ١١٣/١، ٢٠١

فلما انتقل إلى المراق عام ٧٥٠هـ. والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان، أصبح ولاية تلك المنطقة يرادعون مباشرة الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان منهم: الخبارث بن خالد بن العاص للعزمي، وإلى مكة والطائف وما يتبعهما، وقد سبق له أن تولاهما في عهد يزيد بن معاوية، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، عم الخليفة عبد الملك^(١)، واستمر محمد بن يوسف الثقفي - أخو الحجاج - والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفة، إلى أن ترقى هذا الوالي عام ٩١هـ بعد ١٨ عاماً من ولايته لها^(٢) وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان، كما وليها في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وأضيفت له المدينة المنورة فكان يعتبر والياً على الحجاز بكامله، واستمرت ولايته من عام ٨٦هـ حتى عام ٩٢هـ وقيل عام ٩١هـ^(٣) وعندما قدم المدينة والياً جمع عشرة من فقهاها وقال لهم: ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فكونوا لي أعواناً على الحق..^(٤) وعندما صار خليفة أمر تعطيل المساجد بجميع البلدان والأصنام عدم التعرض

^(١) شفاء الغرام، ١٧٠/٢، والطبري، ٢٠٢/٦، وجمهرة ص ٨٧

^(٢) مختصر أخبار اليمن، لابن ربيعة ص ٤١، والطبري ٤٩٨/٦

^(٣) شفاء الغرام، ١١٧٢/٢، والطبري ٤٢٦/٦، ٤٢٤، ٤٨١

^(٤) الطبري، ٤٢٧/٦، والبدلية والتهلئة ٧٨/٩

لمسب أحد من الصحابة من فوق المنابر، واستبدال ذلك في آخر الخطبة الثانية، بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ الآية^(١)

كما تولى ولاية مكة والطائف أكثر من مرة عبالد بن عبد الله القسري البجلي، وكان يشابه الحجاج بن يوسف الثقفي، في شدة وسطوته، فبعض على بعض التابعين والفقهاء الذين فروا من بطش الحجاج، كعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبور ومجاهد وابن حبيب وابن دينار وأحاديهم إلى الحجاج بالعراق، فقتل سعيد بن جبور ومات ابن حبيب في الطريق^(٢) ومن عاصن ابن القسري النادرة أنه أول من فكر في إدارة الصغرى في الصلاة حول الكعبة، بفرض استيعاب أكبر قدر من المصلين خلف الإمام الواحد، واستشار الفقهاء في ذلك فأجازوه^(٣).

ونلاحظ أن بعض الولاة جمعت له الولايات الثلاث: مكة والمدينة والطائف، كما يتبعهم كنجران مثل: عمر بن عبد العزيز كوال لها في عهد الوليد بن عبد الملك وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام ١٠٣هـ ثم الذي خلفه في ولايتها وهو عبد الواحد بن عبد الله النمري الثقفي وكان عبد الواحد قد ولي الطائف فقط عام ١٠٣هـ عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام ١٠٤هـ أيضاً

(١) سرية النحل آية، ٩٠

(٢) الطبري، ٤٨٨/٦، ٤٨٩

(٣) شعاع الغمام، ١٧٢-١٧٣

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي - خال هشام بن عبد الملك - الذي وليها من عام ١٠٦هـ حتى عام ١١٤هـ، ثم أخوه محمد بن هشام الذي تسلمها منه واستمرت ولايته على مكة والطائف حتى عام ١٢٥هـ، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي - ابن أخي الحاج بن يوسف، وخال الخليفة الوليد بن يزيد - حيث تولاهما عام ١٢٦هـ وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام ١٢٩هـ^(١).

وكثيراً ما كانت تفرد كل ولاية بوال واحد مستقل، يتلقى تعليماته مباشرة من الخليفة فكان من هؤلاء هشام بن أبي سفيان بن محب الثقفي، الذي ولي أسر الطائف وما يتبعها، دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد^(٢).

ونلاحظ من سياسة معاوية حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحسب والحكمة في الاطلاع بشؤون الرعية، مع ميله إلى إسناد تلك المناصب إلى رجال بني أمية، أو من يلوذون في فنكهم، فإذا رغب في أن يسولي أحداً من بني أمية لم يسبق له أن تقلد منصب ولاية ولا ولاية محدودة تنسم بالحدود والاستقرار، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود، أو يطرق

(١) انظر فيما سبق: هشام القرام ١٧٢/٢ - ١٧٤هـ، والطبري ٤٤٧/١، ٤٢٠، ١٤٧/٢، ٢٩، ٢٧٦، ٢٧٠، ٢٧٠.

(٢) انظر ص ٢٦٨.

أرضها إلا عابراً، فإن رأى منه خيراً وأحسب بحسن سيرته وإدارته أضاف إليه ولاية أخرى، مثل ولاية مكة أو نقله إلى ولاية نستحق رعاية وسهر دائم، لكثرة ما فيها من اضطراب، كالبصرة والكوفة^(١) وهذا ما فعله مع أخيه قتيبة بن أبي سفيان، ففي بداية تقلده المناصب ولاء ولاية الطائف وحدها، وبعد عدة أشهر أضاف إليه ولاية مكة، بعد أن لمس فيه حسن الإدارة، وتصريف شؤون الولاية، وكذلك مع مروان بن الحكم، فقد ولاء المدينة أولاً ثم أضاف إليه مكة والطائف، بعد عزل عتبة لمرضه، وهذا في حد ذاته يعطينا مؤشراً على مدى اهتمام الخلفاء بتلك الولايات الثلاث وتوابعها، وإسنادهم إياها إلى ذوي الكفاءة والمقدرة، وما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب عندما قدم من المدينة إلى مكة عام ٢٣هـ لأداء فريضة الحج، وكان إلى مكة من قبلة نافع الخزاعي، فخرج هو وبعض أعيان مكة لمقابلة عمر ومن معه خارج مكة على مسيرة يوم منها .. فلما سلم على عمر سأله عمر: على من أناب على مكة قبل عروجه، فقال الخزاعي: عبد الرحمن بن أبيزي - مولاه - ففضب عمر، واستمكر منه أن يولي مولاه على أهل بيت الله، فقال: إنه قارئ للقرآن، وعالم بالفرائض وحافظ للحديث، فمكن غيظ عمر^(٢) ونلاحظ أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي خليفة عام ٩٩هـ عقب وفاة سليمان بن عبد الملك، اختار ولاته من ذوي الورع والعلم وحسن الإدارة في سياسة الرعية، فسأبقى على

(١) الطبري، ٢٩٦/٥

(٢) شعاب الغرام، ١٦٤/٢

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، والي مكة والطائف في عهد سليمان بن عبد الملك، وكان لمرس مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قبل سليمان، كما عين على المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو من فقهاء المدينة المشهورين، بينما عزل يزيد بن الهلب بن أبي صفرة عن ولاية العراق وخراسان لأن في سيفه رفقاً بالرغم من خيرة يزيد في التصدي للبحوارج^(١) وبأني يزيد بن عبد الملك يفصل ولاية الطائف وما يتبعها عن ولاية مكة، ويرلي عليها عبد الواحد ابن عبد الله النعري من تقيف، ويرلي مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وذلك عام ١٠٣ هـ^(٢) لكنها لم تلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والي واحد في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال.

وفي إطار تداعيات الخروج على الدولة لأسباب مختلفة ونسازع متباينة قد لا تمت إلى المشروعية بأية صلة، وإنما هيئت بلواعي راهية تعاطفت شيئاً فشيئاً حتى استحوذت على أفكار الذين سؤلت لهم أنفسهم هذا الخروج وحسبه في أذهانهم، متفائلين عن نتائج الوعيمة، شرعاً وعقلاً وما يسيبه ذلك من تفريق جماعة المسلمين التي حث الله على الالتزام بها.

^(١) البداية والنهاية ٢٠٧/٩، والطبري ١٠٠٧/٩، ١٠٠٨.

^(٢) شفاء الغرام، ١٧٤/٩، والطبري ٦٢٠/٦.

مخرج بأرض حضرموت أحد هؤلاء الخوارج وهو: عبد الله بن يحيى بن عمرو الكندي، المعروف بطالب الحق، وكان أبو حمزة الخسارجي واسمه: المختار بن عوف الأزدي السلمي من أهل البصرة - أي من بطون الأزد الذين انتقلوا واستوطنوا البصرة - كان يوافي مكة في كل موسم يدعو الناس سرّاً إلى مخالفة مروان بن محمد، آنحضر علقماء بن أمية، ويحثهم على نزع طاعته، والخروج عليه بل والخروج على أي خليفة، أو حاكم من بني أمية، فلما كان موسم عام ١٢٨هـ سمعه أحد أنصار طالب الحق فاتفرد به وقال له: يا رجل أسمع منك كلاماً حسناً، وأراك تذهب إلى الحق، فانطلق معي، فلاني أراك مطاعاً في قومي، وسوف يتبعونك، وحمله معه إلى حضرموت، وهناك التقى بطالب الحق، فبايعه أبو حمزة الخسارجي على أن يكون خليفة، وسمي عندئذ: طالب الحق، وأصبح أبو حمزة داعية له وقائلاً بجيشه، وكان أبو حمزة خطيباً بليغاً مؤثراً، واتصم إليهم ثلاث كسانت له مية هو: أبرهة الصباح^(١) فتدعهم كثير من عامة الناس، فاستولوا على حضرموت وطفار وصنعا وغيوها من مخالفين اليمن، وطردوا والي اليمن من قبل الخليفة مروان بن محمد، وهو: القاسم بن عمرو بن الحكم بن عقيل الثقفي^(٢) وذلك عام ١٢٩هـ.

^(١) هو الحفيد الأدنى لأبرهة بن الصباح بن هبة بن شبة بن معد يكرب الحميري، كان لأبرهة بن الصباح هذا ولدان، أحدهما: عمر بن أبرهة أحد الذين أسلموا للناس على عثمان - رضي الله عنه - ولثانيهما: حريث بن أبرهة كان من أشد المائلين بهم عثمان مكاناً على نقيض، البهرة، ص ١٣٥

^(٢) هو ابن عم لعماد بن يوسف الثقفي، البهرة، ص ٢٦٧، ٢٦٨

ثم تعلقت أنظار الخارجين إلى البقاع المقدسة، لإثبات جدارتهم بالخلافة في أعين أصيارهم، ورغبة في اقتطاع مساحة أكبر من أرض الخلافة وفصله عنها، فاقبل أبو حمزة الخارجي على رأس جيش^(١) قبيل موسم عام ١٢٩ هـ، وظهر هو ومن معه على الناس في عرفات يحملون أعلاماً سوداء، على رؤوس الرماح، وفزع منهم الحجيج حين رؤوهم بعرفة، وضعب لهم البعض بساطهم ما يحرقهم وحالهم؟ فأخبروهم بخلافهم لمروان بن محمد وآل مروان وبني أمية عامة، واتبرؤ منهم وعلج طاعتهم فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي مكة والمدينة والطائف، وصالحهم على عدم إحداث شغب في الموسم، وعقد معهم آمناً إلى انتهاء الأشهر الحرم، فوافقوه على الهدنة إلى نهاية الموسم، ووقفوا بعرفات على حدة، ودفع بالناس الوالي عبد الواحد بن سليمان من عرفات إلى الزدلفة ثم منى، فلما كان غنى قال له بعض الناس: لقد أخطأت حين أعطيتهم الأمان، فلو حملت عليهم وحمل معك الحجاج لتشتت جمعهم، فتعلل بأنه لا يريد إحداث شغب في الحرم الآمن، ثم تعجل في طواف الإفاضة، وترك مكة وذهب إلى المدينة، لدخل أبو حمزة الخارجي مكة، واستولى على دار الإمارة، دون مقاومة، وزحف نحو المدينة فوصلها في ١٩ صفر سنة ١٣٠ هـ، وكان الوالي قد أعد جيشاً للمقاومة، وجعل عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ووقعت بينهم وبين أبي حمزة وقعة بقتيد خارج المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخلها الخارجي

(١) قبل كان جيشه ٧٠٠ رجل، وقيل عشرة آلاف، والسراب الأول لأن مؤشر الواقع يزيد ذلك

وأقام بها ثلاثة أشهر، وأراد الذهاب إلى الشام، فبلغه أن هناك جيشاً به عاتق الخليفة في طريقه إلى المدينة، وتوجه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من هوازن، وقد ولاه الخليفة مروان ولاية كبل من مكة والمدينة والطائف واليمن، بالإضافة إلى محاربة الخارجين، فتمثل أبو حمزة الخروج من المدينة إلى وادي القرى، فالتقى بالقرب من وادي القرى، وهزمه ابن عطية، وقتل أبو حمزة وما أسلم أصحابه، ولم ينج منهم إلا من قهر في حنين الفيلام، سمى وكى ابن عطية ١٥٠ - المدينة، ابن أخيه: الوليد بن مروة بن محمد بن عطية، ومضى هو وجموعه الجيش إلى مكة، فلم يجد بها أحداً من الخوارج، فاستخلف عليهما وعلى الطائفت وما يتبعها أحد رجاله يقال له ابن ماعز، ثم انطلق إلى اليمن، وبلغ ابن يحيى طسالب الحلق مسير ابن عطية إليه، فاستعد له وحشد جموعه على مشارف صنعاء، ولما تلاقيا قتله ابن عطية^(١) وفرق جموعه، وحصل صنعاء وأعاد الأمن والاستقرار في ربوع اليمن وأعاد ترتيب شعوبها.

وكان موسم الحج عام ١٢٠هـ قد قرب موعده، فكتب إليه الخليفة مروان بن محمد يستعجله أن يقبل إلى مكة ليتولى موسم الحج بالناس.

^(١) في تاريخ اليعاقبة للرازي ص ١٥٩ ما يزيد بأنه لم يقتل، ولكنه ظهر سرقة أخرى عام ١٤٧هـ فغلب عليه والي اليمن من بن زائدة الشيباني وقتله، وفي قطري ٦٤/٨ أن أبا جعفر المنصور ولي من ابن زائدة الشيباني ولاية اليمن لأنه بلغه أن ولها بهم مخالفة ومعصية والخروج على طاعته، فإتلف من وقضى على القضاة التي كانت قد قامت بالفعل باليمن، وقتل رؤوس المتمردين ولم يذكر من بينهم يحيى الخارجي المعروف بطالب الحق.

فترك جيشه وقواده جميعاً باليمن، ولقبيل مسرعاً ومعه اثنا عشر رجلاً من خاصته، فلما نزلوا أرض قبيلة مراد بهامة اليمن، جلسوا به فخرجون بإحد الأودية، فظنهم بعض رجاء قبيلة مراد أنهم لصوح، فوجهوا عليهم وقتلواهم، وقتلوا ابن عطية، واستولوا على أمتعتهم وأموالهم، وكان ابن عطية قد حمل معه أربعين ألف دينار لمصاريف موسم الحج، فاستولوا عليها، ولم يفلت منهم إلا رجل واحد، قال لسم إني من حمدان، ويدعى: أبا الزبير بن عبد الرحمن، فعاد إلى صعدة فأخبر من بها بما حدث لهم، ثم انطلق ومعه جماعة إلى مكة فأخبر من بها عما حدث لهم. فتولى الحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، وكان قدّم للموسم بغرض الحج، ولما انتهى للموسم عينه الخفيفة والبأ على مكة والمدينة والطائف، وعين على اليمن عروة بن محمد بن عطية السعدي، آخر عبد الملك القائد والنوالي السابق المقتول، وأقر محمد بن عبد الملك: الوليد بن عروة هذا على ولاية المدينة كتاب له، فلعب الوليد يقود جموعاً وأنزل بقبيلة مراد عقربة شديدة، نتيجة لقتلهم عمه عبد الملك^(١).

أطلقنا في إيراد تفاصيل هذه الواقعة^(٢) للتأكيد على أن الخروج على الدولة في أي ثوب يرتديه الخارج، كان يعد بمثابة عصيان مدني لأوامر

(١) انظر فيما سبق: الطوي ٣٤٨/٧، ٣٧٤، ٣٩٣-٤١١ بصرك، والبداية والنهاية ٤٠/١٠-٤٤، وشفاء السقم:

١٢٥/٧، ١٧٥، ١٧٦، والمهمرة ص ٢٦٥، وعصر أبناء اليمن: لابن زبارة، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) الواقع أن توسلهم، فلما ساروا هربوا من هربهم، وشقت حيزاً منها آخر، ومع إيجازنا ونسردنا كانت في فلتنا بها إمالة لم تعود تدارى عليها، وللمصطفى الملك هو التأكيد على النتيجة التي توصلنا إليها.

الدولة، أو مغالبة لحاكم بعينه، ينتهي أثره بمجرد القضاء عليه وإزالة أسبابه وعودة الطاعة والولاء، وأمثلة هذا كثيرة في عهد الأمويين والعباسيين، وبخاصة في الأقاليم الشرقية للدولة: خراسان وما وراءها شرقاً، وسواحل أفريقيا وامتداده غرباً، وقبائح وأحداث كثيرة يصعب على الباحث تتبعها وحصرها، وبحث الغرض من ورائها، وهي في مجملها من أمثال تلك التي قام بها أبو حمزة الخارجي، مما لا يترتب عليه أي أثر سياسي، فضلاً عن التبعة الإقليمية، بذليل أن الوليد بن عروة والي المدينة هو الذي تولى إنزال العقوبة بأفراد قبيلة مراد، الذين قتلوا عمه ومن معه .. فاستطاعت يده بالسطوة وإنزال العقوبة إلى هنالك .. إما بتفويض من والده عروة والي اليمن، أو من الخليفة مروان، أو من والي مكة والمدينة والطائف محمد بن عبد الملك بن مروان، الذي أبقي عليه نائباً له في المدينة .. وعهد إليه بأن يخرج بالناس موسم ١٣١هـ. وفي هذا دليل على امتداد نفوذ مكة إلى ما وراء منطقة الدراسة.

وعلى كل فإن منطقة الحجاز، بن شبه الجزيرة العربية عامة، كانت تعتبر من أهدأ الأقاليم وأكثرها استقراراً وأمناً خلال عهد الأمويين بالقياس إلى غيرها من الأقاليم والأمصار الأخرى، وكان يخضع لها إدارياً الكثير من المناطق والأقاليم ومنها اليمن نفسه، في بعض الأحيان إبان العهد الأموي، فضلاً عن العهد البصري، وعهد الخلفاء الراشدين، كما سبق أن أوضحنا ذلك .. وليس في هذا منقصة لتلك الأقاليم والأمصار، بل إنها الفترة التاريخية التي يعتز بها المسلمون، لوحتهم وجمع صفوفهم في ظل الإسلام.

عهد العباسيين :

ينجح العباسيون^(١) في إقامة دولتهم على أنقاض دولة الأمويين عام ١٣٢ هـ^(٢) مستغلين النزاع والشقاق الذي وقع في البيت الأموي، والصراع بين الأمويين والعلويين^(٣)، وتردي حالة الدولة بصفة عامة^(٤).

^(١) يسبون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وكان للعباس تسعة أبناء منهم حم الأئمة عبد الله بن العباس، وهؤلاء من فرقة عاصم، وكان يطلق عليهم وقت القيام بالدعوة لهم: آل عمدة نسبة إلى أبيهم عمدة بن علي ابن عبد الله بن العباس، ومن المواقفات أن العباس كان قد تطلعت نفسه إلى أن يظفر الأمر في بني هاشم، عند مرض رسول الله ﷺ وطلب من علي بن أبي طالب أن يسأل الرسول ﷺ إياها، فرفض وقال: والله لو معصا إياها لا يعطينها الناس أبداً، كما تروي ذلك كتب التاريخ للتصفة، ولم تطمح نفس عبد الله بن العباس إلى الخلافة مطلقاً مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي امتزل الفتنة لئلاً حتى توفي، وقام عبد الله بن العباس بدور فتاحيص الأئمة للإمام علي بن أبي طالب، لئلا ترك للفتنة والفتنة إلى الكوفة، كما لم يوفق ابن الزبير فيما قام به، لأن فيه ترقياً للجماعة، وتلقى بحرب ليس لئلا حزمه عن السير إلى العراق، قبل كربلاء عام ٦١ هـ، بينما الطالبيون -نسبة إلى أبي طالب بن عبد المطلب، أحس العباس لم يصحوا في فتنة مثل تلك الفتنة، بالرغم من كثرة مطالباتهم وخروجهم معهم، هم وأتباعهم .. وهذا مما يبدو بالمرء الذي يحس بفكره وعقله بعيداً عن عاطفة، أن يوشى بأن الله سبحانه وتعالى حكمة في ذلك، وأنه سبحانه وتعالى الملك من يشاء ولا شيء يهبطه من يشاء هو سبحانه، لا من يشاء ويسعى إليه من جاهد، فليت العباس في كل عصر يدركون ذلك ..!

^(٢) ربيع أبي العباس بالخلافة ليلة الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ ربيع الأول، قطري، ٤٢٠/٧

^(٣) العلويون نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن أتباع فرقة نشأت للشيعة، وهي فرق عديدة .

^(٤) الظفر: ذكر المرسى السياسي في العصر العباسي الأول، للدكتور علي عبد الرحمن العمرو، ص ٢٩-١٠٤.

كان أول الخلفاء العباسيين أبا العباس السفاح^(١) وساعده في توطيد الحكم إخوته^(٢) وأعمامه^(٣) ودعائه وقواده^(٤) فساد يورسسال الجيوش للاستيلاء على الأقاليم والأمنار وسفارة بني أمية، واتتار السولاة من ذوي الحنكة والسطوة لإحكام السيطرة على الولايات، رد عن الاستمرار فيها.

فاستدعى عمه داود بن علي، الذي كان قد هيمس على الكوفة، وصار والياً عليها، منذ إعلان البيعة والخلافة في ربيع الآخر ١٣٢هـ، وانتدبه بعد شهرين تقريباً، ليكون والياً عاماً على معظم شبة الجزيرة العربية، ومسؤولاً عن استقرار الأمن والأوضاع فيها، ومطاردة قلول بني أمية، فكان هو الوالي لكل من مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين واليمن^(٥)، واتخذ مكة المكرمة مقراً له، وعين ولاة من قبله على تلك البلدان والمناطق كان منهم عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطيب أول والٍ على اليمن في عهد الدولة العباسية من قبل داود بن

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وسمي السفاح لكثرة ما أريق وسفح من دماء في عهده .
(٢) كان له خمسة إخوة. إبراهيم الإمام، وكان هو أكبر الإخوة، وكانت فدة له إلى أن توفي قبل أن يؤول الأمر لهم، عهدهم إلى أمية أبي العباس، ثم إلى أبي جعفر المنصور. وبقيت الأميرة: العباس، ورسى وبني ولكل منهم أولاد أسبغوا في ترتيب الحكم.

(٣) كان له خمسة أعمام: سليمان وداود وعبد الله وسباغ وعيسى وعبد الصمد وإسماعيل ولكل منهم أولاد كان لهم جميعاً دور بالغ الأهمية في الاستيلاء على المناطق، واستقرار الوضع .

(٤) كان من أشهر دعائه وقواده: أبو مسلم الخراساني، أمي آل محمد وعلي أبي سلمة، ورسى آل محمد . انظر أثر الفرس السياسي في العصر العباسي، للدكتور علي العمرو ص ١٠٥-١٢٠
(٥) تاريخي، ٤٥٨/٧، والبلد والنهاية، ٦٤/١٠، ٦٦ .

علي، وكان هو الذي أخذ البيعة من أهل مكة لأبي العباس، ولذا اعتمر البعض أنه ولي مكة للسماع^(١)، المهم أن داود بن علي كان هو المرجع المأثور لهم دون الخليفة، وهو الذي حج بالناس موسم عام ١٣٢هـ بم توفى في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣هـ، أي بعد أقل من عام من ولايته، لكنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة في تلك المناطق، ويقضي على فلول الأمويين الذين يخشون منهم، وكان داود عندما أحس باشتداد مرضه وقرب وفاته، وأدى ابنه موسى بن داود على عمله، لكس أبا العباس السماع، بعد أن بلغه وفاة عمه داود وأدى أن موسى ليس كفتاً لهذا المنصب، ومستوياته الكبيرة، فأستند إلى خاله زياد بن عبيد الله بن الحارثي^(٢)، واقتطع منه اليمن فولاهما لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله الحارثي، كما اقتطع البحرين فولاهما إبراهيم بن حسان السلمي، واقتطع زياد الحارثي المدينة مقرأ له، وجعل ابن أخيه علي بن الربيع الحارثي نائباً له على مكة والطائف وما بينهما. ولما توفي محمد بن يزيد الحارثي وألى اليمن، حل محله في ولاية اليمن علي بن الربيع عام ١٣٤هـ، وترك نيابة مكة والطائف، فعين الخليفة عليهما النحاس بن عبد الله بن محمد بن العباس، بداية عام ١٣٥هـ، واقتصرت ولاية زياد بن عبيد الله على المدينة فقط، وعندما توفي العباس بن عبد الله وألى مكة والطائف في نهاية موسم

(١) البشارة ص ١٥٢، وشمس أباء اليمن وخلائقه لابن زبارة، ص ٤٥

(٢) عبد الله ابن العباس لما رافقه بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد المطلب لثأري من بني النضير، أهل
بئر ان، وهم أعداءه، فلما كان لهم شأن في صدر دولة بني العباس

عام ١٣٧هـ، أُعيدت ولايتهما إلى زياد بالإضافة إلى المدينة^(١٩) فحصل عليهما نائباً عنه هو الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي^(٢٠) واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٤١هـ حينما عزل أبو جعفر المنصور زياد الحارثي، واستعمل مكانه الهيثم بن معاوية العتكي على مكة والطائف أي مستمراً عليها، وبذلك أصبح الهيثم والياً من قبل الخليفة، وليس نائباً لوالي الحجاز. وولي اليمامة السري بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم فحصل ولاية المدينة من الهيثم وولي عليها محمد بن خالد القمري، وفي عام ١٤٣هـ انتقل السري من ولاية اليمامة وتولى مكة والطائف وما يتبعهما بعد عزل الهيثم ابن معاوية العتكي، وحل قثم بن عباس بن عبد الله بن العباس محل السري في ولاية اليمامة، واستمر السري حتى عام ١٤٦هـ حين عزله أبو جعفر المنصور وعين بدلاً منه عبد الصمد بن علي، ثم أبي جعفر المنصور، وخلال ولاية السري خرج على المنصور: محمد بن عبد الله الحسين العلوي الملقب بالنفس الزكية، فطُلع الطاعة عام ١٤٥هـ واستولى على المدينة، وبعث من استولى على مقر الحكم في مكة واليمن فسر إليه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى العباسي على رأس جيش، قُتل وقتل كثيراً من أنصاره واستعاد منهم المدينة ومكة واليمن وما يتبعهم، وأعاد الأمن

^(١٩) الطبري ٤٨٥/٧، ٤٦٧، ١٩٦، ٦٥٦، والبيان والتهفة، ٦٧/١٠، ٧٢، ٨٥.

^(٢٠) الطبري، ٥١١/٧.

قيهم وعاد لهم أمرؤهم السابقون، كالتسري لكن الخليفة ما لبث أن عزل هؤلاء الولاة، وعين بدلاً منهم ولاة آخرين^(١).

وهذا التمييز والنقل والعزل للولاة ليس خاصاً بمنطقة واحدة، بل كان يشمل كافة الولاة في الأقاليم والنساق الأخرى، وهو يعطي دلالة على مدى اهتمام الدولة بالسيطرة على الأقاليم والنساق، وحرصها على اختيار الولاة من ذوي الكفاءة وحسن الإدارة لمواجهة أي انجساح محتمل أو مقصد للأمن.

(١) شفاء قفرام ١٧٦/٢ - ١٧٨ .

٣- كلمة الخواري :

وخلال هذه الفترة وقعت حادثة تؤكد ما ذهبنا إليه من عدم
هجرة الولايات في المنطقة وتبعية انتمائها الإقليمي والإداري وتنازعها بين
الأتري:

أن بعض بطون بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(١) كانت
تقتد مواطنهم بـ "بند" (١٠٠) (السراة) ملاصقة ومحاذرة لأرض كل من حرم وهدد
المسلمين بتجران غريباً، وذلك منذ ما قبل الإسلام، فقد سبق أن أشرنا إلى أنه وقع
منازعة بين بعض بني حرم على ملكية أحد الأردية، ورفعوا عصومتهم إلى الرسول
ﷺ، فحكم به الرسول إلى بني حرم فراضوا، وقبلوا بحكمه عليه السلام^(٢).

ونظراً لتقارب موطن كل من بني عقيل وبني الحارث بن كعب عن أصل
بحران، فقد كانت كثيراً ما تتعقد بين رجالاتهم وتباينهم نوع من الألفة والمودة،
وأحياناً تقع بينهم منافسة ومنازعة، تؤدي إلى المشاحة والخفومة وردا إلى
الاقتتال، شأن كثير من القبائل المتجاورة.

^(١) بطون بني عقيل، منهم بنو المشقر، وبنو - والد بن عوف، وبنو حمادة، وبنو توبة صاحب لبلى الأخيلة، وبنو
عبادة وبنو لبلى الأخيلة، وكانت بطون منهم قد رحلت من مواطنها قبل الإسلام، وخلال الفترات
الإسلامية، فحلب عليها قبائل أخرى، الممثلة من ٢٩٠-٢٩٢، ومحاولة التمدد للحجازي من ٩٣.

^(٢) انظر: المصنف ص ٤٥، ومصنف البلدان، ج ٤، ص ١٣٩.

كان جعفر بن عُثَيْبَة بن ربيعة الحارثي فارساً وشاعراً ومعاصراً أكل من الدولة الأموية والعباسية، وكان أبوه شاعراً أيضاً، وأدعت بدو عقيل له، جعفر بن عتبة أنه قتل منهم رجلاً واستعلنوا عليه وإلى مكة، ورفضوا منهم إليه، فاستدعاه السوالي إلى مقر الإمارة بمكة ونصب عاكسه فيها، فأذكر جعفر أن يكون قتل أحداً من بني عقيل، فشهد عليه خسود، رجلاً منهم، فحكم عليه بالقصاص ونفذ الحكم بمكة.

وردت عدة روايات في السبب الذي دعا جعفر إلى قتل العقيل^(١)، وفي أي الأزمنة حدث هذا. أورد ذلك كله بإفاضة (صاحب الأغاني) كعادته في إيراد الأخبار التي تتضمن شعراً أو نثراً جزل العبارة^(٢) فكان مما أوردته: أن هذا وقع في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وأن والي مكة والطائف كان هو إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وأن السوالي استدعى الحارثيين الأربعة ومنهم جعفر وأجرى محاکمتهم، فأدين جعفر فنُفذ فيه القصاص .. وهذه الرواية بعيدة عن الصواب زمنياً لأن ولاية إبراهيم المخزومي لمكة والطائف كانت من عام ١٠٦ هـ حتى عام ١١٣ هـ تقريباً، والمصادر تعيد بأن جعفر أدرك الدولة العباسية، وبعضها ينص صراحة على أن هذا الحادث وقع في صدر الدولة العباسية، لذا نجد (صاحب الأغاني) يأتي بروايتين تؤكدان أن الحادث وقع في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وأن والي مكة هو: السري بن عبد الله بن

(١) الأغاني، لأبي فرح الأسدي، ١٤١/١١-١٤٦، وديوان الحماسة لأبي ناسم بشرح الخليلي، ١/١، والمجمعة ص ٤١٧.

الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، الذي ولي مكة والطائف من عام ١٤٣ حتى عام ١٤٦هـ^(١)، فبعث السري من الشرط من يأتي بجعفر والمتهمين معه فإن لم يتمكن منه فليأت بأبيه عليه. وبالفعل لم يجدوا جعفر فأتوا بأبيه فحبسه لديه بمكة حتى يموت أهله وعشيرته على الإتيان بجعفر وللتهمين الثلاثة الذين كانوا معه، فأتوا بهم جميعاً، فأجرى لهم محاكمة في مكة مقر الإمارة، وأدين جعفر .. والرواية الثانية بها إضافة مفيدة هي أن السري كان متزوجاً من أخت جعفر، وأنه حاول ذرء القصاص عن جعفر بشبهة أنه اشترك معه لثلاثة، ولا يدري من أيهم وقع الفعل، وأنه حاول أن يراعي عذرة أبي العباس السفاح في بني الحارث عشيرة جعفر، غير أن بني عقيل عندما أحسوا بنوايا واتجاه الولي نفروا وتعدوه بالخروج إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، والتظلم إليه إن هو تدخل في القضاء لصالح جعفر. فحاف وعذل عما كان ينوي الإقدام عليه .. فأجريت المحاكمة بعد قسامة شهد على جعفر فيها خمسون رجلاً من بني عقيل أنه هو القاتل، ونفذ حكم القصاص فيه بعد انقضاء موسم الحج الذي توافق أن يتأ لميحيي بن زياد الحارثي حضرت إلى مكة للحج في ذلك الموسم، وقيمت بمكة حتى نفذ الحكم في جعفر فبكره هي ومن معها من جواربها، وأحضرت له كفناً

(١) حوله أبو جعفر بعد القضاء على فتنة عمه بن عبد الله بن الحسن العلوي، الذي خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ واستولى أباؤه على السلطة في مكة واليمن. ثم ما لبث أن تطلب عليهم جيش أبي جعفر واسترد السلطة من أيديهم، وترتب على ذلك عزل الولاة القدامى وتعيين ولاية جدد على تلك المناطق، فبقى على مكة والطائف جده عبد الصمد بن علي، وعلى المدينة جعفر بن سليمان بن علي ابن عمه

كُفِّن فيه وعاد من حضر من بني الحارث إلى بحران، فقام نساؤهم يكيّنه بحران، وقيل شعر كثير في هذا الحادث لورده صاحب الأعاني .

وعموماً فهذه الواقعة تركت ما ذهبنا إليه من استمرارية تخضوع بحران وارتباطها إدارياً بولاية الطائف منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكلاهما كانا يخضعان في معظم الأحيان لوالي مكة، فقد كان يُعد بمثابة الوالي العام للمنطقة، وبخاصة إذا أُضيفت إليه ولاية المدينة، وإبان وقوع هذه الحادثة كان السري والياً على مكة والطائف وما يتبعهما، ومن المؤكد أنه كان له نواب ومساعدون في كل من الطائف وبحران وغيرهما من البلدان والبرادي بتهمة وعسير وعلى القبائل والعشائر، فهو تنظيم إداري معمول به منذ عهد الرسول ﷺ وقد وقعت الحادثة في حيز ولايته، ولي داخل حدودها فرفع بنو عقيل الأمر إليه، لأنه من اختصاصه إدارياً وإقليمياً، ولو كان هناك مجرد شك في التبعة الإدارية وأنها لجهة أخرى لفزع إليها بنو عقيل، خاصة وأنهم يعلمون صلة للصاهرة للوالي مع خصمهم .. وكونهم جأأوا إليه مع علمهم بتلك للصاهرة بقيد تأكيد تلك التبعة الإدارية، وأنه لا مناص لهم من رفع الأمر إليه، لذا أقيمت الدعوى، وأجريت المحاكمة ونفذ الحكم في مقر الولاية وهو مكة المكرمة .

الشافعي والياً على نجران :

لقد درس الكثيرون منا آراء الإمام الشافعي الفقهية، واجتهاداته، وفنازيهه، واستدلالاته وأصول أحكامه، وغير ذلك، لأنه صاحب أحد مذاهب أهل السنة الأربعة المتبعة. أما حياته الذاتية، والوظيفية فلم يهتم بها سوى القلة، وماؤم جزء من تاريخ حياته.

ولد محمد بن إدريس الشافعي قسماً عسرة^(١) وقيل: بغرهاء عام ١٥٠ هـ ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه^(٢) وهو ابن ستين، عالة به

^(١) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع إنهم منسوب إلى جده شافع هذا، وهو الجد الثالث له ابن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، فهو يصنع مع النبي ﷺ من النسب بعد مناف، فهاشم الجد الأعلى للنبي ﷺ والمطلب الجد الأعلى للشافعي، هما أعوان من أسماء عبد مناف بن قصى، ويوم غير أمملى الرسول ﷺ، بنى هاشم، وبنى للمطلب هذا من خمس سيرة، ولم يعط بنى عبد حمس، ولا بنى عبد مناف، فمضى إليه جبر بن مطعم، وعثمان بن عفان، فقالا: أعطيت بنى المطلب وتركناهم وإنما هم ونحن منك منزلة واحدة، فقال: إن بنى هاشم وبنى المطلب شريعا واحدا لم يمارفونا .. لئلا يحد شافع رسول الله ﷺ وكان السائب أبو شافع، مع الهركين يوم بدر، ولم يكن أسلم بعد، حمل راية نسي هاشم، وأسر المسلمون يومها، فهدى نفسه ثم أسلم، فليل له لم أسلم قبل أن تهدى نفسك؟ قال: ما كنت أحب أن أحرر المسلمين مطعماً في .. وهذا يدل على كرم نفسه، ورحامته عقله، أنظر: غيات الأعيان، لابن خلدون ١٦٣/٤، وحيات الشافعي، للنسبكي، ص ١٠٠، وحلية الأولياء لأبي القاسم الأصبهاني، ٦٦/٩، والجمهرة ص ٧٢-٧٣، وغيرها

^(٢) أمه: قيل: أزدية، من الأزدي، وقيل: أسديقة من ولد أسد بن عبد العزى بن قصى، رباط أم المؤمنين سديقة بنت عوف بن الأسد بن رضى الله عنها، رآل السرازم، وحكيم بن حزام، وليست من أسد ربيعة، الذين تنوزح منهم بطون قبائل عديدة، وقيل: بل هي من الطالبيين من بنى هاشم، وأن عودتها به إلى مكة إشارة إلى عودتها إلى لهاها، وهكذا.

أنظر حلية الأولياء، ٦٦-٦٨، وطيقات الشافعية، ص ١٠٠، ١٠١

إلى مكة لئلا يضيع نسبه، فأقاموا بيتاً شريفاً الخليفة بمكة، ودفعته له إلى الكتاب، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبعين سنة، وحفظ الموطأ وهو ابن ثمانين سنة، وكان محالاً ذلك يختلف إلى موطن قبيلة هذيل بالبادية بفسطاط مكة، فتعلم منهم لغة العرب وفصاحتهم، والشعر، وأيام العرب^(١)، وتحدث من علماء مكة وفقهاؤها، كسفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهم، ثم أزمع الذهاب إلى الإمام مالك بالمدينة، ليفراً عليه الموطأ، وكان الإمام مالك في تلك الأيام اعتكف الناس، ولم يشارك في حياة الناس العامة، بعداً عن الفتنة، فاستعمل الشافعي بوالى مكة وإلى المدينة على لقائه والجلوس إليه، فقبله وبدأ يقرأ عليه الموطأ، فأعجب مالك بحسن قراءته، وجودته، ثم لزمه فاحتد عنه النقى، وعلم أهل الحجاز^(٢) كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت.

ثم عاد إلى مكة، وحلّس للتدريس والفتوى، بعد أن أجازه بعض أساتذته، لكنه أمام وطأة الحياة، وضيق ذات اليد، ذهب يوماً إلى عبد الله ابن الصبح الزبيرى^(٣) وكان عالماً تقياً، يجمعه به صلة مودة وقربى، طلب

(١) البداية والنهاية، ١٠٣/١٠.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي، ١٠٣/١، والبيان والنهاية، ٢٨٤/١٠، والبيان، ٦٩/١، ٧٠.

(٣) هو: عبد الله بن الصبح بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، من بني أمية بن عبد المطلب، الذي كانت يدعى الرويات أن أم الشافعي منهم، وكان عبد الله بن الصبح هذا عالماً صالحاً، ولله الرشيد المجتهد بشيرة فقتل بالولاية عليها بمروط حنة اعطوها على الرشيد، فأقبل الرشيد إليه، ثم بعد مدة ولده صبي يسمى - وعسى أن ولاية ستعرض لأكثرها أملاً، وهل هي إمارة، أو قضاء أو مما ماً - توفي سنة ١٨٤ هـ، وتولى ابنه نكار بن عبد الله بن للصبح ولاية المدينة بعد أبيه مباشرة، أو بعد زمين، وحمله الزبير بن نكار بن عبد الله هـ.

منه أن يسعى لدى أحد أقربائه المومنين بأن يعطيه أو يقرضه شيئاً يستعين به على قضاء حاجته، فذهب ابن المصعب، ثم عاد ومعه مائة دينار، وقال للشافعي: إنه قال لي: تَكَلَّمْنِي فِي رَجُلٍ كَانَ مِنَّا فَخَالِفْنَا؟^(١) ثم قال له ابن المصعب: إن الرشيد كتب إليّ أن أصير إلى اليمن قاصداً، فتخرج معي لعل الله يعوضك خيراً من هذا الرجل، فصرح مع ابن المصعب إلى اليمن ليعمل في القضاء والإفتاء.

بعض الروايات تفيد بأن عبد الله بن المصعب بن الزبير، عمل والياً على اليمن للرشيد^(٢) غير أن هذه الرواية تفيد بأنه ذهب لإيهب قاضياً^(٣) ويجوز أن يكون قد ذهب لتقليد المنصبين معاً، فبعض السلافة، وبخاصة الذين كانوا من العلماء والفقهاء، كان يسند إليهم المنصبين معاً: الولاية، والقضاء، ورواية ثالثة تفيد بأن الوالي، المكلف بولاية اليمن لم يكن هو ابن المصعب، وإنما والٍ آخر قسم مكة فكلّمه بعض القرشيين ليصبح الشافعي معه، فأخذ معه واستعمله على بعض الأعمال فيها^(٤) وسواء أكان الوالي ابن المصعب، أم غيره، فقد ذهب الشافعي إلى اليمن، وعمل

-- بن المصعب، الرواية السليقة المشهورة، قاضي مكة في عصره. وفي بعض النسخ ورد الاسم: المصعب بن

عبد الله، وهو خطأ. انظر: البداية والنهاية، ١٠/٢١١، واجمهرة ص ١٢٣، والطبري ٣٥٣/٨.

(١) إن لم يقصع الرواة عن اسم هذا الرجل، لكن العبارة تشير إلى أنه من بعض الطالبين الذين كانوا يترقبون أن يسر الشافعي في ركبهم، ويقول بطل منقولون.

(٢) لجمهرة ص ١٢٣.

(٣) تخليد، ٧١/٩.

(٤) مناقب القاضي للبيهقي ١٠٦/١.

بها في القضاء والفتوى، وذاع صيته، وطار ذكره، وأثنوا عليه فسي عدله وإنصافه، رسة أفته بالأحكام الفقهية. وقدم العمال إلى مكة في شهر رجب من نواحي اليمن ومخاليها، فأشاعوا ذلك في مكة، وعلى مسامع أساتذته، ثم قدم الشافعي عائداً إلى مكة، فأثنى عليه بعض أساتذته كسفان بن عينة ولامه البعض الآخر لأنه قيل أن يعمل قاضياً، فهم عازفون عن تقلد هذا المنصب، ويرون تلامذتهم أن يقتلوا بهم في ذلك، حتى لا يقعوا في الفتنة، وتفرهم الدنيا .. وكان من هؤلاء ابن أبي يحيى^(١)

وغالب الظن أن ذلك كان عام ١٨٢ هـ، بما يفيد أن عبد الله بن المصعب هو الوالي على اليمن، لأنه عاد إلى مكة أوائل عام ١٨٣ هـ، ولزمها حتى توفي عام ١٨٤ في رواية الطبري، أو عام ١٨٥ في رواية ابن الأثير، وتسلم منه ولاية اليمن محمد بن يحيى بن خالد التومكي^(٢) أوائل عام ١٨٣ هـ، واستمر فيها حتى بداية عام ١٨٤ هـ حين قدم إلى المنطقة حماد البربري والياً على مكة، والطائف، واليمن، متخذاً من مكة مقراً له. وكان والي مكة والطائف هو: أحمد بن إسماعيل بن علي، العباسي،

^(١) مناتب الشافعي، للبيهقي، ١٠٦/١

^(٢) كان محمد بن يحيى التومكي، أحد أربعة أموة هم أبناء يحيى بن خالد التومكي - الفضل، وجعفر، ومحمد وموسى - وكان محمد صالحاً ورعاً، ومخلصاً في عمله، وكان ناصحاً للرشد وتولى المحاسبة له عامي ١٧٧، ١٧٨ هـ. وعندما أوقع الرشد بالمرسكة عام ١٨٧ هـ لم يمرض عبد بني سورة أو أئمة، وبقيت أمراء كما هي، لحسن سوته، لذا فإنه بعد من لولاية المنصور فثمن تولوا اليمن.

انظر: الطبري ٨ / ٢٦٦، ٢٨٧، وقبلاية والنهاية، ١٠ / ٢١٥، ويختصر أبناء اليمن، لابن زمار، ص ٤٨، والي الأثير ١٧٦/٩.

القرنسي، الذي تعلم منه حماد البربري الولاية حين قدمها .. وأحمد بن إسماعيل هو الذي اختار الشافعي والياً وقاضياً على بحران، نهاية عام ١٨٣هـ، بعد أن ذاع صيته واشتهر أمره فترة وجوده في اليمن، وذلك قبل قدوم البربري بفترة يسيرة، بعد أن كلمه عم الشافعي محمد بن علي بن شافع.

وليان ولاية محمد اليرمكي لليمن، عرج بعض شتات القبائل بمخلاف الجند بهامة اليمن، قيل: أثارهم أحمد الطالبيين، وأحدثوا شعباً واضطرباً، ولم يستطع اليرمكي السيطرة عليهم، لذا فإن الرشيد عزله، وعزل أيضاً إلى مكة والطلائف ربما لعدم تعاونه معه في القضاء على هذا الاضطراب، وأعطى الرشيد تعليماته لحامد البربري قائلاً: اسمعني أصوات أهل اليمن^(١) — كناية عن صراخهم الذي يقرع الأذان من قسوة التعذيب، ويقصد بذلك الذين أحدثوا شغباً في ولاية الجند — لكن قسوة البربري تجاوزت ولاية الجند، وكان يعمل تعليمات أخرى عامة لكافة الولاة، بأهمية أخذ الناس بالمشاعر من الخراج، كل في منطقته، وولي الرشيد هذا الأمر أمراً في دار الخلافة مهمته متابعة الولاة في ولاياتهم، ومتابعة أهل سواد العراق بحاصة لتحصيل المتأخر من الأموال المطلوب آداؤه للدولة، وهو عبد الله بن الهيثم بن سلم، فروّع الناس أيضاً ترويع لهذا الغرض^(٢) ونعود إلى نص ذكره الشافعي، يوضح فيه سبب عزله عن بحران، يقول

^(١) مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٤٨، وتاريخ اليمن (فرجة لغوم ...) للواسعي، ص ١٥٨.
^(٢) الطبري، ٢٧٢/٨، والبتية والنهاية، ٢١٠/١٠.

الشافعي^(١) .. ثم وُلِّيتُ نجم ان^(٢) وبها بو الخبارث، وموالي ثقيف، وكان السوالي إذا أتاهم صانعوه، فقدمتُ فسأراذني على ذلك [أي أرادوا أن يصنعوا معه كما كانوا يصنعون غيره] فلم يجروا عدي [استعداداً لقبول ذلك] وتظلم عندي ناس، فجمعتهم، وقلتُ: اجتمعوا، على سبعة منكم [وفي رواية: اجتمعوا سبعة منكم] رجالٌ عُدولٌ. فمن عَدَّلُوهُ [مس اليهود] كان عَدْلًا، ومن حَرَّحُوهُ كان محروحاً، فاجتمعوا على سبعة منهم، فحُكِمَ للحكم، وقلتُ لخصوم: تقدّموا، وأجلسَتُ السبعة حولي، فإذا شَهِدَ شاهدٌ التفتُ إلى السبعة، فقلتُ: ما تقولون في شهادته؟ فإن عَدَّلُوهُ كان عَدْلًا، وإن حَرَّحُوهُ قلتُ [لمن استشهد به] زدني شَهِوْهًا، فلم أزل أعمل ذلك حتى أَثَبْتُ على جميع من تظلم عندي، فلما صححتُ [النظر في أقوال الخصوم] وضعتُ الأحكام، وسجَّلتُها، فنظروا إلى حُكْمِ حاتم [وفي رواية: حاتم أي حاتم بن أبيهم] فقالوا: هذه الضياع التي نحكم علينا فيها ليست لنا، إنما هي للمنصور بن المهدي! [أي ابن الخليفة المهدي، وأبو الخليفة هارون الرشيد المعاصرين له]^(٣) فقلتُ للكاتب:

^(١) مناقب الشافعي، لليقيني، ١/١٠٦، ١٠٧، وحية الأوكياة لأبي نعيم الأسبهاني، ٧٧/٧٦، وآداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص ٢٢، ٢٣.

وما بين المؤلفين زيادة من عدنا، عبارة من إضاح وتيسر للنص.

^(٢) وردت في بعض المراجع السابقة وفيها بهذا النص، وفي بعضها: ... ثم قدمت بعد ذلك بخران .. وفي بعضها الآخر: .. وكنت بخران .. وأياً كان فبقية الكلام التي يعيد بأنه كان ولياً وقاضياً، أي ليس معه والي آخر بخران، وموقوف فقط على ما يليه هذا النص من مدونات، بعد استيفائه ..

^(٣) للمنصور بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، عاش حتى أدرَكَ عهد الخليفة للموكل، الذي بدأ عهده عام ٢٢٢ هـ.

أكتب: أقر فلان بن فلان الذي وقع عليه حكمي في هذا الكتاب، أن الضيعة التي حكمتُ عليه فيها ليست له، إنما هي لمنصور بن المهدي، ومنصور بن المهدي قائم على حُجَّتِهِ متى قام^(١)، أي أنه مطلوب منه تقديم ما يثبت ذلك أو ينفيه. قال الشافعي: فخرجوا إلى مكة، فلم يزالوا يعملون [أي يطعمون، ويهتمونه بالتشجيع وعلم الموااة] حتى رُفِعتُ إلى العراق، وفي رواية: حتى أخذت مكبلاً إلى العراق، فقبيل لي [بالعراق]: إلزم الباب [أي لا تفارق الباب في المكان الذي وضعوه فيه، وذلك كناية عن حبسه، أو تحديد إقامته في ذلك المكان] وبقية الخبر^(٢)، أنه سعى إلى محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، والتقى به قبل أن يقابل الرشيد، وناظره في مسائل فقهية، وأثبت خطأه في بعض الأقوال، واتصّر منه لمذهب أهل الحجاز، وبخاصة فقهاء المدينة، وعليه رأسهم الإمام مالك، ورد مدعنه عليهم، فأعجب به كثير من الحاضرين، وكان منهم

(١) أي أنه بالحجة والليل، وإقرارهم أن هذه الضياع والأموال ليست لهم، وإنما هي ملك لمنصور بن المهدي، ومنصور بن المهدي قائم، وتزعم الحجة، لإثبات هذا القول أو نفيه. فلا أثر به وأنه يلزمه الحكم، وعليه تنفيذ، وتبرأ مساحة هولا، إنما إذا نفاه فيزوم هولا تنفيذ الحكم وإقرارهم كان لغرض حاس، فيظل ويؤد عليهم ٠٠ وقد أحدث هذا الحكم نوعاً ما حيث استغله هولا للغرضون استغلالاً سيئاً وشتموا على الشافعي، واتهموه بالتشيع، بل بأنه يسمي للخلاف، وهو نفسه لما، وأنه لا يزال بالعراقيين ليليل أنه أمير حكماً يسبي إلى محنة أسمى الخليفة، وقد أجل الشافعي مشنن هذا في باقي النص.

ونظر بعض ما قبل عن الشافعي من تلك الطبعات في كتاب (منتاب الشافعي للفقير الرازي، ص ١٠، ٢٢).
(٢) انظر فيما سبق، وبقية الخبر، منتاب الشافعي للبيهقي ١٠٥/١ - ١٤٧، وحلية الأولياء وطبقات الأسلاف، لأبي ميم أحمد بن عبد الله الأسبغاني، ٧٦/٩ - ٨٤، وآداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي، ص ٣٢ - ٣٨، والبدلية والنهاية، ٢٨٥/١٠، ومنتاب الشافعي للفقير الرازي، ص ١٠ - ٢٢، وذاكتر البغوت والفتك للشمرون للسيوطي، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

الفضل بن الربيع حاجب الرشيد، وهرمة بن أعين والى الشرطة، فقلا ذلك إلى الرشيد فاستدعاه، ثم أبه على ماضد منه، ففى الشافى أن يكون صدر منه مايسى إلى الخليفة، أو أن تكون له علاقة بالطالبيين، وحكى له قصته مع هؤلاء المتقاضين بنجران. فصغ عنه، ثم استدعى الرشيد: ابن الحسن الشيمى فتناظراً أمام الرشيد فى بعض المسائل، فأعجب الرشيد بالشافى، وأثنى عليه ابن الحسن، فأعطاه الرشيد عطاء جزيلًا، وأمر بأنزاله بمكان يليق به طوال وجوده بهنداد..

* ويستفاد من هذا النص: استمرار تبعية نجران إلى ولاية الطائف، وارتباطهما معاً بولاية مكة، بدليل أن الخصوم الذين أصدر عليهم الشافى تلك الأحكام، لجأوا إلى مكة، وطعنوا عليه أمام واليها، واستعانوا به لرفع شكواهم إلى الخليفة، ولكى يوغروا صدر الوالى على الشافى، وصدر الخليفة أيضاً، رموه بتهمة شنيعة فى نظرهم، وهى أنه أحد الطالبيين، ويروم الخلافة لنفسه، ويسمى إليها، فرفع الوالى كل ذلك إلى الخليفة، مجاءه الأمر بالقبض عليه وإرساله مكبلاً إلى بهنداد .. وقد سأله الرشيد أول ما سأل عن مسعاه للخلافة، ومشايعته للطالبيين، ففى ذلك بحجة قوية، وكلام مقنع، مؤكس بالفصاحة والبلاغة، ثم استعاده منه الرشيد ثلاثاً، حتى أدرك مقدار صدقه وإخلاصه، فالكشفت أسارير وجه الرشيد، وذهب عنه الغضب وعفا عنه. ثم استدعى محمد بن الحسن كى يناظر الشافى بمجلسه، ففاز الشافى بقصب السبق، فنال الرضا والجائزة..

* أن اختيار الأديب لولاية بجران تمّ من قبل وإلى مكة أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله العباسي القرشي الذي كان في مكانة حد الرشيد، والذي سعى إليه أحد أقرباء الشافعي كسي يوليه عملاً .. فرلاه بجران، فتسلم العمل قبل قدوم حماد البربري بقليل .. فقد كان تعيين نواب على المناطق والأقاليم والبرادى التابعة لولاية مكة من اختصاص وإلى مكة، إلا إذا تدخل الخليفة وأمر بتعيين شخص معين بإحدى المناطق، أو في أى من المناصب. فعلى ولي مكة تنفيذ ذلك .

* أن بجران لم تكن وقفاً على بني الحارث بن كعب، وإنما كانت بها ضياع وأسلاك وأمور، لبعض العباسيين، والثقفين، وأن موالى بني ثقف كانت تقم تلك الضياع لزراعتها وإدارتها، وأنهم كانوا بكثرة بنليل النص على ذكرهم، ثم إن النص على ذكرهم، هم وبني الحارث، لا ينفي وجود قبائل أخرى بجران، وسبق أن أشرنا إلى بعضهم في العصر الجاهلي، وعند مجيئ الإسلام، ودخول ألسنة المطقة فيه، وجهودهم في خدمته، ومنهم بنو نهذ، وجرم، وياح وغيرهم.

* أن بجران خلال هذه الحادثة، وحتى بعد الفترة الزمنية التي وقعت فيها، لم تكن قد عرفت غير مذهب أهل السنة، وبالأخص المذهب الشافعي، الذي يُعزى انتشاره في تهامة، وعسير، واليمن، إلى وجود الإمام الشافعي بالمنطقة. قاضياً في اليمن، ثم والياً وقاضياً في بجران، وشهرته وإعجاب الناس به، وقيام تلامذة له يتناولونه ويتبعون آراءه الفقهية، ثم العمل على نشرها في تلك المناطق، وثباتهم عليها بالرغم من المصاعب التي

تعرضوا لها في فترات لاحقة لذلك. عندما تسربت إلى المنطقة بعض التحول والمذاهب الأخرى، وبالأخص عندما استحكم المذهب الزيدي في بعض أجزاء اليمن .. مع أنه يعد أقرب المذاهب فقهيًا إلى منهج أهل السنة، لكن العصبية السياسية حادت به عن طور الاعتدال، في كثير من الأحيان.

بلاد عك والأشعرين :

وعُود على بدء كما يقال، فما يكاد الأمر يصل إلى غايته حتى نجد ما يجذبنا إلى معاودة الحديث عنه مرة بعد مرة للضعف دليلاً من سياق الأحداث التاريخية يؤكد ماسبق ذكره بداية^(١) من أن أرض قيلني عك والأشعرين وغيرهما من القبائل، دخلت التاريخ لأول مرة كولاية أنشأها الرسول ﷺ، أو أواخر عهده، وجعل الطاهر بن أبي هالة والياً عليها، وجعلها تابعة لولاية مكة، وامتداداً لبدايتها من أرض تهامة الحجاز، واقتصرت ولاية غرة بن مسيك المرادي - الجاورة جنوباً لولاية عك - على أرض مراد وزيد^(٢) وضُمَّت هذه إلى الجند، وأصبحت ولاية قائمة بذاتها.. واستمر الوضع هكذا تلك المنطقة، بالنسبة للترتيبات الإدارية، في عهد الخلفاء الراشدين، ثم في عهد بني أمية، وحتى الزمن الذي نرصد أحداثه من عهد العباسيين، ونلاحظ أن تلك المنطقة - أي ولايتي الجند وعك - عمرها طوفان الفتن والصراعات، أواخر عهد بني أمية وشطراً من عهد العباسيين، وصارت بعض قبائلها تنقاد لأدنى بادرة للمخالفة والتمرد

(١) الفهرست: ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

(٢) ليس للراد بها زيد الحالية، وإنما زيد القنينة في التفرغ، وكانت على مقربة من (الجند) أما زيد الحالية، والتي ساقطت حاضرة وموهمة فقد أكتفت في بداية النصف الأول من لقرن الثالث الهجري، على يد ابن زياد، الذي حكم تلك البلاد في قوة لاحقه للتاريخ الذي تصفح أحداثه، وأنشئت مكان بلدة قنينة يقال لها (المسيب) وهي إحدى بلدان قبيلة عك.

على سلطة الدولة، لأسباب ودواعي عديدة، لعل من أهمها تعسف بعض الولاة، وأتفه القبائل الخاضوع لهذا التعسف، فيندفعون حلف من يثور عاطفتهم، ولو انتهى بهم الأمر إلى خلع الطاعة والولاء، ووجد المنثورون للدولة في هذه القبائل بركة حصية للسعاية ضد الدولة، يهيجونهم حتى يعتدوا على الولاة بالعدو، أو القتل، فمثلاً في عام ١٤١هـ قاموا بقتل ولي ولاية الجند في عهد أبي جعفر للتصور فبعث إليهم معن بن زائدة الشيباني، فأوقع بهم، وأجبرهم على الدخول فيما خرجوا منه من الطاعة والولاء^(١) وفي عهد الرشيد ثاروا علي عماله بالمنطقة، وطردوهم من ولاية الجند وعك عام ١٨٣هـ، فبعث الرشيد إليهم مولاه حماد البربري، فقدم والياً على منطقة الحجاز واليمن، وأوصاه قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن [كناية عن صراخ أهل ولايتي الجند وعك، الذين فعلوا مافعلوا بولايتهم] ولأن حماد البربري قدم والياً عاماً على المنطقة، متخذاً مكة المكرمة فاعسة لحكمه، شأن كل الولاة الذين عهد إليهم من قبل بتلك الولاية العامة، فقد سوغ لنفسه - وربما يلفظ من الخليفة - أن يضم بعض الولايات إلى بعض تحت قيادة واحدة بهدف إحكام القبضة والسيطرة عليها، فبعث أحد رجاله ليتولى أمر ولايتي الجند وعك، لإحكام السيطرة، وتنفيذ تعليمات الرشيد، لاسيما وأن مصدر القلق هذه المرة أنسي من قبيلة الأشعرين، وانتشر منها إلى القبائل الأخرى بالمنطقة، وفي الولايتين .. فالضم في مثل تلك الأحوال إدارياً أجدي وأفضل، وفي عام ٢٠٧ هـ خرج بيلاد عك عبد

(١) البداية والنهاية، ١٠/٨٨٨، وعصر أداء اليمن لآل زياره، ص ٦٤.

الرحمن بن أحمد، من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب، في عهد المأمون، فبحث إليه دينار بن عبد الله في جيش كتيّف، ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن إن هو رجع وأطاع، فسمع وأطاع، وقدم به دينار بن عبد الله إلى بغداد، فعفا عنه المأمون، وأكرمه فلبس السواد وهو شعار العباسيين^(١)

وتعالموا نستطلع معاً مواطن قبيلتي عكّ والأشعرين، في ذلك الوقت، مما قاله لسان اليمن المحدثي، الذي جاء بعد قرون تقريباً من تلك الحادثة التي نسجل وقائعها، ليصف لنا مواطن وبلاد كل من عكّ والأشعرين. يقول^(٢) :

.. والحصيب وهي قرية زييد^(٣) زهسي للأشعرين، وقد حالطهم بأخرة (أي مؤخرأ) بنو واقس من تقيف^(٤) وقسري بواحيها حيس وهسي لتركب من الأشعر، والقحمة للأشعر، وفيها من حولان، وهمدان،

^(١) البداية والنهاية، ٢٩٤/١٠، والمجمرة، ص ٦٦.

^(٢) صفة جزيرة العرب، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

^(٣) أي زييد الحالية المعاصرة، وكان قد أنشأها ابن زياد.

^(٤) لم نطلع على ابن خالد من لقب أهل الطائف، فيما يكون يعلن انتقل وتوطن تلك المنطقة قبيل الإسلام، أو في مطلعها، فقد سبق أن تربطها بطون من عزة، وبنو عبد القريش، كما استوطن (المند) يحيى بن عبد الرحمن بن صيد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت له بها حياض وأموال، وقرية كبيرة بعد ذلك (المجمرة ص ١٥٣) فللمناطق والأقاليم في شبه الجزيرة العربية، وغيرها، كانت مباحة لمن يستوطنها، لأنها جزء من أرض الدولة، يقيم فيها من يشاء من العرب، طالما كانت الإقامة والتمسك بالطرق الشرعية، دون اعتداء على ملك الآخرين، فلم تكن هناك منطقة مغلقة على قوم دون الآخرين، ولا على سلالة دون من عددها، فلم تكن الحدود للولاية قد عرفت بعد.

وخزأل المقر، والكندراء مدينة يسكنها خليط من عكّ والأشعر، وباديتها
جميعاً من عكّ إلا التبلد من خولان، ثم المهشم، وهي مدينة سرددن ومور
وبه مدينة تسمى بلحة لعك.

ثم يستطرد في وصفه البلاد المتجاورة في تهامة اليمن وتهامة
الحجاز، فيقول: ثم الساعد من أرض حَكَم بن سعد العنيزة.. وهنا يكون
قد دخل في تهامة الحجاز الحالية^(١) التي دخلت في إطار معاينة الطوائف
لعام ١٣٥٣هـ.

ويقول^(٢) وادي الملح يسكنه الأشعر، وفيما بينه وبين تبابعة بلد
العنيزة، لقليلة من الأشعر.. ويقول^(٣).. تلتقى هذه الأودية في رأس
الحج على مسوة ساعة من قرب الجوار، ثم يخرج هذا الوادي من الجوار
عند ثري الخبيص، وهما للواقديين، ثم في وسط الرّعاغ وهي سوق
الواقديين، ومدينتهم مور.. وسهام عكية.. ومن بلادهم واقر ثم المهشم
.. مسافتها لعك.. إلخ.

^(١) والوثائق التاريخية ثبت بأن أرض عك والأشعرين ضمن تهامة الحجاز، وليس من تهامة اليمن، وعن محسن
الظن بالعمداني، رغم تنصيصه فرائض، وللول: إنه يصف مواطن قبائل، وأماكن في شبه الجزيرة بصفة عامة،
ولا يحدد حدوداً إقليمية، بلليل أنه وصف في كتابه مناطق وتقاليم شبه الجزيرة بكاملها: بأوديتها وجبالها
وسيلها، وأحجارها وغير ذلك، ولم يقصد أن كل أرض ومكان كدم هي، أصبحت ثابتة، وظلن أنها بعده
صورة قوله إلى مايرصهم، ويشفي خلتهم.

^(٢) للمصدر السابق ص ١٠١.

^(٣) للمصدر السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، وانظر عن مواطن الواقديين الجاهليين لقليلة عك، نفس المصدر، ص ١٠٥.

١٠٨، ١٥٨، ٢٠٤.

المهم أن مختلف مور هو آخر المناطق الشمالية لولاية عك، ثم يجاوره شمالاً بلدة (الساعد)، وهي أول بلاد بني الحكيم بن سعد العشيرة. وهذه كانت تعد من بوادي مكة، ولم تكن بها ولاية، حتى هذه الفترة الزمنية التي نحن بصددتها، وإنما كانت تحكم هي وغيرها من البوادي، عن طريق رؤساء القبائل، أو البلدان، الخاضعين للوالي في مكة..

قلنا إن حماد البربري جمع ولاية الجند وولاية عك. لأحد معاونيه للظروف الأمنية التي اقتضت ذلك عام ١٨٤هـ، ثم نجد أن هذا الدمج انفك بعد فترة زمنية يسيرة، وذلك في بداية عهد الخليفة المأمون عام ١٩٦هـ عندما كان داود بن عيسى^(١) والياً على الحجاز. وكان الأمين هو الذي ولاه عليها عام ١٩٣هـ، فكان أسرع والٍ في شبه الجزيرة العربية يقوم بملح الأمين، لسبب أفاض فيه المؤرخون، لأن الدولة العباسية كانت مهددة بالسقوط أثناء ذلك.

كان هارون الرشيد قد رتب شعون الدولة قبل وفاته^(٢) فبايع لابنه الأمين ولياً لعهد، ولابنه المأمون ولياً لعهد الأمين، ولابنه القاسم ولياً لعهد المأمون، وجند هذه البيعة إبان حجته موسم عام ١٨٦هـ، وكسب

(١) هو داود بن حمسي بن موسى بن حمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان في مرتبة جد الأمين، والمأمون. كان أبوه حمسي بن موسى ولياً للعهد لأبي جعفر المنصور، فأبعد، ثم أبعده أيضاً كل من لئلي، وبنيته لئلي. وكان امرؤه ثيفاً وثلاثين ذكراً وأنثى، معظمهم تولى مناصب في الدولة العباسية، هم وأبنائهم، الجندة ص ٣٢.

(٢) ابن الأثير، ٢/١٦٦.

بذلك عهداً، وأخذ إقراراً على ولديه الأمين والمأمون بالالتزام بهذا،
 وأشهد عيه كبار رجال الدولة، والأمراء، والقواد، وأعيان بني العباس،
 وأودع ذلك العهد والإقرار في جوف الكعبة، وأوصى حجة الكعبة وقتها
 ألا يخرجوه من جوفها .. ومات الرشيد، ووقع الخلاف بين الأخوين:
 الأمين والمأمون .. وقع ما كان يخشاه الرشيد، وبدأت الفتنة تدب في
 سراديبها الممتدة، ثم تطل بعقها ولا تجرد من يقرعها لثمد في باطن
 الأرض، واشتعل الخلاف، وتغلب أرباب المنافع، بخلافة أئمتهم، على كل
 مساعي المصلحين بين الأخوين، وأقدم الأمين على خلع أخيه المأمون من
 ولاية العهد، ويسجل التاريخ أن أحد أشهر قواد الأمين، المخلصون له،
 وهو عبد الله بن خازم دخل عليه أول الليل، وجعل يحاوره، ويناضره،
 لكي يقضيه عن فكرة خلع أخيه المأمون، حتى منتصف الليل، ويناضره ألا
 يقدم على ذلك، وألا يكون سبياً في ضياع ملك بني العباس، وصياع
 نفسه، وألا يكون أول الخلفاء نكلاً للعهد، ونقضاً للميثاق^(١) لكن الأمين
 لم يستجب له، لأن الأذان استعانتها السنة لمفسدين في الأرض .. ولكن
 منهم مآرب شتى ..

بعث الأمين من أخذ العهد من جوف الكعبة، وأحرقه، وأصدر
 تعليماته إلى الولاة على المناطق والأمصار بخلع المأمون، وأخذ البيعة لابنه
 موسى بن الأمين عام ١٩٦هـ، واشتعلت الحرب بين الأخوين، ونجد أن

(١) ابن الأثير، ١/ ٢٢٨.

والي الحجاز داوود بن عيسى - عندما جاءه أمر الأمين بخلع المأمون - يتخذ موقفاً شجاعاً ومنصفاً، فيجمع علماء وأعيان أهل مكة وما يتبعها، وأخذ يستشيرهم في الأمر، ثم يقول لهم: إنه أخ يهوى على أخيه وظلمه، فلننصف مع الظالم فقالوا رأيتنا تبع لرأيتك، فجمع الناس وصعد على المنبر في المسجد الحرام، وجعل يذكّرهم بما فعله هارون الرشيد قبل وفاته من كتابة العهد وأخذ إقرار على الأحرار، وشهادة الناس على ذلك، وكيف أن الأمين بعث من أخذ العهد وأحرقه، ولأننا فإنه يخلعه، ويعلن البيعة للمأمون. ونزل بأخذ البيعة من الناس للمأمون، وكتب بذلك عهداً أقر فيه أعيان مكة بالبيعة للمأمون بالخلافة .. وكان داود قد أمر ابنه سليمان^(١) نابه على المدينة أن يفعل ذلك أيضاً في الوقت نفسه مع أهل المدينة، وكان ذلك في رجب سنة ١٩٦ هـ، ثم انطلق داود بحمل بيعة أهل الحرمين إلى المأمون، وكان وقفاً بخراسان، فشر المأمون بذلك، وتيسر واستبشر خصوصاً بيعة أهل الحرمين، ورأى أن موقف عمه داود موقف عادل، فأحب أن يكرمه، فثبت ولايته على منطقة الحجاز، وأعاد إلى ولاية مكة ماسبق أن استقطع منها إيمان ولاية البربري، وهي ولاية عك،

^(١) كان سليمان بن داود هذا من مشايخ الإمام أحمد بن حنبل. ترقى عام ٢١٩ هـ. انظر: البداية والنهاية ٣٢٠/١٠.

فعادت إلى تبعيتها السابقة، من حيث خضوعها إلى والي مكة، منذ أن
أنشئت في عهد الرسول ﷺ، حتى الفترة الزمنية هذه^(١)

وأثناء عودة داود من عند المأمون، قدم معه ابن أخيه العباس بن
موسى بن عيسى ليحج بالناس موسم ١٩٦هـ، وقدم معهما أيضاً يزيد بن
جرير بن يزيد القسري، والياً على اليمن، وكان يزيد قد عرض على
المأمون أن يخطه والياً على اليمن، وتعهده به بأنه سيمتثل لأهلها للبيعة
للمأمون، فؤلاه بإياه، فانطلق الثلاثة حتى قلموا مكة، وأدوا الحوسم ممضاً،
ثم انطلق القسري إلى اليمن، ونجح في مساعاه باليمن فبايعوا للمأمون،
وهذه بعض القلائل التي استغلت وقوع الفتنة لوكب الموجة، فسار
فيهم القسري سيرة حسنة، وأظهر فيهم العدل والإنصاف^(٢).

ولسائل يسأل إذا كان المأمون قد رأى إعادة ما استقطع سابقاً عن
ولاية مكة إليها، حين أراد تكريم عمه داود بن عيسى، أفما كان من
الأجدي به أن يضم إليه ولاية أكو مثل اليمن أو اليمامة، المتصلين
بالبحار، خاصة وأنه سبق وأن وليهم والٍ واحد في أزمان مختلفة؟..

ويجاب بأن اليمن واليمامة لم يكن موقف كل منهما واضحاً
بالنسبة للمأمون، فعليهما ولاية من قبل الأميين، وربما يكون فيهما متاورون

(١) انظر فيما سبق: ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري، ٢٧٥/٨ - ٢٨٦، ٢٨٦ - ٢٨٦، وشفاء الغرام، ١٨١/٢، والنهاية
والتهذيب، ٢٥٣/١٠، والأربعين، ٢٣١/١ - ٢٣١.

(٢) ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري، ٢٨٦/٨ - ٢٨٦، وشفاء الغرام، ١٨١/٢.

له، ويستمتع ذلك وقور حروب، وعمه داوود شيخ كبير، ولا يملك حكمة وخبرة رجل الحرب، مثل أخويه إسحاق، وموسى، أو ابن أخيه العباس بن موسى، فأعفاه من مؤنة الحرب، وعرف أن أهل الحجاز مطيعون له فبنته في نفس الولاية، ومما يدل على أنه ليس رجل حرب، وأن المأمون كيان محققاً في نظره إليه من تلك الناحية، هو موقف داوود حين ترك مكة موسم ١٩٩هـ، عندما بحث أسير السرايا - الذي كان يدعو للطالبيين بالبصرة - الحسين بن الحسن العلوي، المعروف بالأفطس، ولما بلغه قدومه على مشارف مكة تركها داوود مؤثراً السلامة، وعدم إراقة دماء في البقاع المقدسة، وفي الأشهر الحرم، فدخلها الأفطس عندما علم بجلوها من العباسيين، وكان معه عشرة أفراد فقط^(١) ثم إن اليمن كان قد تم احتيثار وإلها هو أقدر على الحرب إن لم تُجد أساليب الإقناع والمخوارة، ولذا استسلم له من استقل هواعي الفتنة بين الأخوين، ورثب على صنعاء، وهو عمر بن إبراهيم بن واقد العمري، من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) وربما يكون الواقديون الذين ذكرهم الحمداشي أنهم من ثقيف ومختلطين لعك نسبة إلى هذا الفرع من أولاد عمر بن الخطاب، بما انضم إليهم من اتباع وموالي وأحلاف.

وخلال ولاية داود بن عيسى على الحجاز، أمر بعدم إقامة سوق حياضة، وكانت من أشهر الأسواق التي تقام بتهامة الحجاز منذ العصر

(١) شفاء الغرام، ١/١٨١، والطوي، ٥٣١-٥٣٢، والبدية والنهاية، ١٠/٢٧٧، والجمهرة، ص ٥٢.

(٢) الجمهرة، ص ١٥٤.

الجاهلي بالقرب من حلى بن يعقوب، على الطرف الشمالي لمنطقة جازان،
كان يستعمل عليها رجلاً للإشراف على إدارتها، ومراقبة الموردين والبيع
والشراء، وفي عام ١٩٧ هـ عدا عليه رجل من الأزد فقتله، فاستشار حاوود
علماء مكة في إضلاق هذا السوق، فوافقوه على إعاقته، وعدم إقامته.^(١)

المهم أن أرض بلاد حنك والأشعرين عادت إلى ولاية مكة المكرمة،
كما كانت من قبل -

(١) الأوزبي، ١/١٩١، ١٩٢.

مصدر تاريخي في ميزان النقد :

ولنا هنا وقفة مع أحد المصادر التاريخية التي تناولت الفترة الزمنية، التي نحن بصدد ذكر وقائعها - وهي عصر المأمون وما بعده - لنذكر مدى أهمية التثبت من صدق الخبر قبل نقله، والاعتماد عليه في مسائل تاريخية، وقضايا سياسية واجتماعية وغيرها.

هنا المصدر هو كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزيد" لعمارة اليمني^(١) وقد أشار عمارة إلى أنه بدأ بتأليفه عام ٥٦٣هـ، بناء على طلب

هو أبو حمزة حمزة بن أبي الحسن علي بن محمد بن زهران الحكسي، من قبيلة بني الحكيم بن سعد العشيرة، نزل حجازاً، ولد عام ٥١٥هـ، وقيل عام ٥٢٩، بقرية الزراريب، التي تطل عليها الكوتان وعكاد (أورد العقيلي في المصمم المغربي للناطقة حازان ص ١٧١، بدأ كتابها) وقيل: ببلدية مرطان من وادي وساح، ورحل إلى زيد طلباً للعلم، فالتقى على حماتها للذهب العائلي وغيره من العلوم، ثم اشتغل بالتجارة فأسر إلى عدن، وكانت له مواقف مع حكامها آل زريع، ثم سافر إلى مكة المكرمة عام ٥٤٩هـ، وانتقل فيها بالعلم، فعهد إليه وإليها موافق مع حكامها آل زريع، ثم سافر إلى مكة المكرمة عام ٥٥٠هـ ففتح في مهته وعاد إلى مكة في نفس العام، فجهت في مهامه أخرى إلى عام ٥٥١هـ، فبقي في مصر إلى أن توفي فيها عام ٥٦٩هـ واشتهر أمره في مصر بين العلماء، حتى طلب منه القاضي القاضى الفضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيهقي، رئيس ديوان الإنشاء للدولة الفاطمية، تأليف هذا الكتاب، وحظي بمكانة خاصة لدى الخليفة الفاطمي آخر خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، كما أدرك رؤسها على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٥هـ. وعرف عند أهل بلده (الزراريب) بالحنقلى (أرى الحناق للعلم) وعند أهل مصر باليمنى (نسبة إلى أصله النحطاني) كما عرف عند أهل اليمن وعدن والبحال بالفعلي، وعند أهل زيد بالثرخي، وربما لأن كتابه هذا منه وهو بمصر أطلقوا عليه: عمارة اليمنى. انظر: مقدمة طبعة الكتاب بعنوان "كنايع اليمن" تحقيق الشيخ محمد بن علي الأيوبي، ومقدمة طبعة بدمشق الدكتور محمد عبد الحبيب عبد حبيب. وفتى أشار فيها إلى أنه اعتمد في ترجمته نقلاً عن الدكتور حسن سليمان الجهنفي في طبخته المحققة لنسب الكتاب. وانظر: للمختصر في أخبار البشر، لأبي القاسم ص ٥٠.

القاضي الفاضل له بتأليفه، وهو قاضي الديار المصرية أواخر عهد الدولة الفاطمية.

وهذا الكتاب اعتمد عليه بعض المؤرخين قديماً، ونقلوا عنه دون تثبت ومعن، وتفحص ومحيص لما فيه من أخبار ومعلومات تاريخية وغيرها^(١) وأشاع هؤلاء ما نقلوه دون محييص في كتبهم حتى أصبحت وكأنها حقائق مؤكدة، وقضايا مسلمة، ومعلومات موثقة، وجاء فريق بعدهم من حواة النقل على علاقته، فنقل دون تثبت، اعتماداً على الثقة فيما يكتبه أولئك، حتى وصل أخباراً إلى المعاصرين ممن ينهجون منهج النقل على علاقته، دون نظر ومحييص، فزادوا في إثراء على أهميته، وقيمته العلمية^(٢) ذلك لأنهم وجدوا فيه ما يشبع لديهم الرغبة السياسية لا العلمية.

ورحم الله ابن خلدون، فقد قال قديماً^(٣) : "التاريخ يحتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، ويتكبان به عن الميزات، والمغالطة، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة

(١) من هؤلاء كما أشر الأكرع في المقدمة ص ١٥: ابن عماد، وابن علكان، وياقوت الحموي، والبيهقي والخزرجي، والديلم.

(٢) انظر للمقدمة قلمي كتبها محققه الشيخ/ محمد بن علي الأكرع - للطبعين - لكنه - ونسق يقال - أشار إلى بعض المأخذ على صدارة في المقدمة ص ٦، وكيفاً في التعليقات.

(٣) للمقدمة، ص ٧.

العمران، والأحوال في الاجتماع الانساني، ولا قياس الغائب منها بالشاهد، واحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من الطور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصديق .. وكثيراً ما وقع للمؤرخين؛ وأئمة النقل المضالط في الحكايات، والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشاً وسمياً^(١).

ومع أن عمارة أشار في مقدمة كلامه^(٢) إلى أنه اعتمد على مسور خاطره. أي ما تيسر تداركه من الذهن والخاطر، والذهن لا يسعف أحياناً، بل يوقع في التصحيف والخلط، والوهن، وقال: إنه أعتمد على ما حدث به الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك للمكي، والفقيه أحمد بن محمد الأشعري^(٣) مسنداً إليهما العلم بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم^(٤) مضيئاً إلى فلك ما قرأه في كتاب "المقيد" لأبي طامى حياش بن نحاح، مك زبد !

وللباحث أن يتساءل: هل هذه تكفي كمراجع لتأليف كتاب تاريخي يمكن الاعتماد عليه ؟ إن الناكسة الحافظة كثيراً ما تكون صاحبةا، والفقيهان ليسا معاصرين للوقائع والأحداث التي تضمنها الكتاب، فبينهما وبينها أكثر من ثلاثة قرون، ثم إنهما حدثاه ولم يستند روايتهما إلى رواية آخرين، أو إلى كتاب قرأه، إذاً فالإستناد مقطوع .. ولهذا الأسلوب

^(١) انظر ص ٣٨ من مجلة الأكرخ، وص ١٧ من مجلة الدكتور عرب.

^(٢) لم يسطع حقاً الكتاب ترميداً بكل منهما، كما ألتوا لم يأتيا بما يؤكد نسبة الكتاب إلى مؤلفه بصلة حسنة، وأين توجد نسخة المخطوط التي تم الاعتماد عليها عند نشر الكتاب، وطبعته ١٢٨٤.

^(٣) هذا مما يرحى بالناء للسهرلية على هذين المالمين، لكنه لا يفي من البهجة، كمن ينقل الخلفاً من غوره دون تعبت.

وغيرها جاء الكتاب حافلاً بالتصحيح، والخلط، والأغلاط والوهن.
وهاكم بعضها:

* أن عبارة بدأ مصنفه بقوله: "قالوا^(١) لما كان في سنة تسع وتسعين ومائة، أتى إلى المأمون بقوم من ولد عبد الله بن زياد^(٢) فانتسب أحدهم، واسمه: محمد بن فلان^(٣) بن عبد الله بن زياد بن معاوية. وانتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن ولد هذا الرجل الوزير خليف بن أبي طاهر، وريس جيش بن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبد الله بن علي بن العباس^(٤) ضرب عنق سليمان بن هشام، وأهباق ولديه في يوم واحد، فقال الأموي، أنا من ولد الأصغر، من ولد سليمان بن هشام، ومنا قوم بالبصرة في أفساء الناس، وانتسب له رجل إلى بني تغلب، واسمه: محمد بن هارون، عندهما بكى المأمون، وقال: وأنتى بن محمد بن هارون. يعنى أحشاء الأميين، ثم قال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، وأما التغلبيّ فعفا عنه رعاية لاسمه واسم أبيه. فقال ابن زياد: ما

(١) من هم الذين قالوا. هل هما جنان لعلمان؟ أم غرهما؟ وعموماً فهى كيفية للسمرات والتكاثرات القصصية التى تنال للاستغنى بها، وليس بأسلوب للتبجح العلمى. وأول القصص؟.

(٢) هنا أشد التبجح الأكويح أنه ورد عند الرواسي، والشيخ زائدة: من بنى أمية. وفي المخطوطة التى لم يعط لنا بيانات تفصيلية عنها، زيادة: بن عبد حمس.

(٣) كلمة يأتى بها عند عدم تذكر الاسم، وهو كما قلنا نتيجة لوهن المؤلف، وعدم إسهاف المحافظة.

(٤) لصواب أن يقول: .. بن علي العباس، لأن علياً ليس ابن العباس، وإنما ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان عبد الله بن علي هذا عم كل من السفاح والشمير، وقام بدوره بارز في توليد مصائب الدولة العباسية، جد قيامها. مات عام ١٤٧هـ.

أكذب الناس يا أمير المؤمنين، لأنهم يزعمون أنك حلیم كثير العفو، مُتَوَرِّع عن سبك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا، فإننا لم نُخرج يدًا عن الطاعة، ولم نقارق في بيعتك رأى الجماعة، وإن كنت تقتلنا على جناية بنى أمية فيكم، فسا لله يقول: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾^(١) فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبى العباس الفضل بن سهل، دى الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن، فلما بويع لإبراهيم بن المهدي ببغداد في آخر سنة اثنتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشامرة وعك في تهامة عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على هذا محمد^(٢) بن زياد، وعلى ادرواني والتغلبى عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة، وأشار بتسليمهم إلى اليمن، ابن زياد أسيراً، وابن هشام وزيراً، والتغلبى حاكماً^(٣) ومفتياً.. ثم يقول: فعرجوا في الجيش الذى جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدي، وحج ابن زياد ومن معه في سنة ٢٠٣هـ، وسار إلى اليمن، فتغلب على المنلوين للدولة من عك والاشعريين بتهامة بعد حروب جرت بينه وبينهم، واحتط زياد في شعبان سنة ٢٠٤هـ ويقول بعد ذلك: ففعلتم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم وملك حضرموت، والشحر، ومرباطاً، وأبين، وخجاً، وعدن،

^(١) سورة فاطر، آية ١٨.

^(٢) وردت هكذا اسم الإشارة بفتح حلى للمدار إليه. على لغة أكثرى الرافضين.

^(٣) قائماً.

والتهائم إلى حليّ .. وملك من الجبال الهند وأعماله، ومخلاف المعافر،
ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعدة، ونجران ويحصان .. الخ".

رويدك يا عمارة! .. رحمك الله .. وعفا عنك .. وعمن نقل عنك
هون تمحيص.

تعاونوا بنا نقاش هذا النص، كي نعرف من يكون ابن زياد هذا؟
الذي جعله ابن عمارة سلطاناً للبر والبحر، وملكاً بلاداً وكأنه افتتحها
لأول مرة، وأقام فيها مملكة له، ولزيتته من بعده في داخل الدولة العباسية،
وفي عز مجدها - عهد الرشيد رولديه المأمون والمعتصم - ولم يعلم عنه أحد
من أئمة المؤرخين، كالطبري، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم ممن تتبعوا
أخبار الدولة العباسية يوماً بيوم، في حولياتهم للموسوعية، وظل أمره مجهولاً
إلى أن جاء عمارة بعد أكثر من ثلاثة قرون فاكشفه، ووضع له تاريخاً
غاب عن سابقه، ودولة لم يحدد حدودها إلا هو، ضم لها ما شاء من
البلاد، وليست بمجرد دولة، وإنما دولة أموية في داخل أراضي الدولة
العباسية، وهي في عز مجدها!!

يقول عمارة: اكتسب أحدهم واسمه: محمد بن فلان بن عبد الله بن
زياد بن معاوية بن أبي سفيان، لأنه يزداد في بعض النسخ: معاوية بن أبي
سفيان، من بني أمية بن عبد شمس، وليس المقصود زياد بن أبيه، الذي
أخذه معاوية إبان خلافته، بأبيه أبي سفيان بن حرب، كسباً لوجه
وموازرة له، فقد كان زياد بن أبيه من أتباع الإمام علي بن أبي طالب،
ولما استشهد الإمام علي، أغراه معاوية بعملية إلحاق نسبه وغزو ذلك حتى

بإيعه وانضم إليه، واستمرت ذريته على هذا الإلحاق في النسب، حتى أمر الخليفة المهدي عام ١٦٠هـ بأن يُردّ نسبه إلى ثقيف لأنسه ولسد فيهم، وأن يرد نسب أبي بكره من ثقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ، وكتب المهدي بذلك إلى والي البصرة، ووالي المدينة المسورة، لإنفاذه^(١) فلو كان المقصود زياد بن أبيه لانتسب إليه أمام المأمون لابعاد شبه التآمر عليه لكونه من ثقيف وليس من بني أمية. فضلاً عن أن المأمون يعرف أن جدته المهدي، أعاد نسب آل زياد إلى ثقيف، فكونه ينتسب إلى بني أمية فيه تحسّر للمأمون، في موقف هو أحوج فيه لابعاد نفسه عن التشبه، لا دفعها إلى المخاطر. إذاً زياد هنا من بني أمية، وكونه ابن معاوية بن أبي سفيان هو تصحيح، لأن ابن معاوية هو يزيد (الخليفة)، وليس زياد، ولم يكن لمعاوية ابن أبي سفيان إلا ولدان فقط، هما: يزيد، الخليفة بعد أبيه، وعبد الله،

(١) عند سيار النبي ﷺ للطائف، كتب فتح مكة عام ٨هـ، وكانت تهف قد تحمّلت بحسرتها بالطفائف، فنادى منادي رسول الله ﷺ: "لما عبد نزل عن الحصن، وخرج إلينا فهو حر، فربل يمشيهم، وكان سهم: أبو بكر، تقيع بن مسروح، وكان للحارث بن كلثة طيب العرب، ولما كتب أبي بكره لأنه نزل من الحصن متلبساً بكره - وهي عصابة مستقيمة في حوزها حور يرضع فيه حبل لرفع اللدلاء من البر - فدفع الرسول ﷺ أبا بكره إلى حمزة بن سعيد بن العاص، ليموته ويحمله، ويقره القرآن ويعلمه السنن، ويكون ولاؤه إليه، لكن ابن سعيد فعل به ذلك وتركه يقوم على عصمة الرسول ﷺ، فكان أحد موالى الرسول ﷺ، ولا أسلمت ثقيف تكلم أشرانهم في هؤلاء لرحمهم الرسول إليهم، وكان منهم الحارث بن كلثة، حولى نقيع، فقال لهم النبي ﷺ لؤلك عطاء الله لا سبيل لكم إليهم .. فكان ولاؤه للرسول، لكن ذريته عادوا في ولائهم إلى ثقيف رداً في عهد السامع، وأما بنو زياد فانسحبوا في ولائهم لبني أمية منذ أن ألحقهم معاوية، مخالفاً بذلك قول الرسول ﷺ: الولد للأب. وللك قام خصوم معاوية بكنهه بأنه خالف حكم الرسول في هذا الإلحاق ونحوه به، وشيروا زياد وأبائه بقبوله هذا من معاوية.

انظر: انساب الأشراف ٩٣١/٣، والطبري ١٢٩/٨، ١٣٠، والبيان والنهاية ١٠١/١، ١٠٢، والأغنى ٢/٧.

ولم يكن لعبد الله عقب إلا ابنة تزوجها ابن عمها عبد الله بن يزيد بن معاوية، ولم يكن في أبناء يزيد بن معاوية من اسمه زياد، ولا في ذريته. اللهم إلا من ذرية ابنه عبد الله بن يزيد، فقد كان من أبنائه: أبو محمد السفيناني: أي زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وهو الذي قام في المدينة، وخلق طاعة عبد الملك بن مروان، فأخذ وقتل هو وابنه مخلد بن زياد، ولم يكن من أبنائه من اسمه عبد الله، حتى يقال إن محمداً هو ابن عبد الله هذا^(١). فمن أين أتى اسم زياد هذا الذي انتسب إليه بنو زياد. وكيف يتسبون إلى معاوية بن أبي سفيان^(٢) فقد صحف وخلط في نسبة زياد إلى معاوية، وهذا التصحيف والتخليط مما يوهن درجة الثقة في صحة الرواية. وربما يكون هذا هو الذي دفع الشيخ الأكرع إلى أن يقول: لا أصل لما ذكره "عمارة" من أن آل زياد من أرومة أموية، بل هم من جذر يحيى^(٣) ولم يذكر الشيخ الأكرع السبب الذي دفعه إلى هذا القول، ولا السند الذي استند عليه في الأخذ به.

وعموماً فقد ذكر الأكرع بعض الأوهام والأخطاء التي وقع فيها "عمارة" ومنها:

(١) انظر فيما سبق المجلد ١١٢، ص ١١٣.

(٢) مقدمة المطبعة الثانية ص ٦.

- أنه اعتمد فيما نقله على تاريخ "مفيد" للقائد جيش ابن بجراح، وفيه مبالغة، وقضايا غير مُسَلَّمة.^(١)

- أنه جعل ابن زياد يملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وهو أول وهم تسرب إلى ذهن عمارة.^(٢)

- وأنه جعل جعفر مولى زياد أول مختط للملوخنة، فهي قديمة الاعتطاط، لأنها مقبر المناحين ملوك الكسلاخ من حمير في الجاهلية والإسلام.^(٣)

- وأنه جعل البلاد التي كانت تخضع لجعفر، تسمى "خلاف جعفر"، بينما هي تنسب إلى جعفر بن إبراهيم بن ذي النلقة، وليس إلى جعفر مولى ابن زياد.^(٤)

- وأن هناك حلقة، أو فقرة من التواء يع سقطت من عمارة^(٥) وأنه وقع فيه تخليط في التواريخ والاسماء.^(٦)

^(١) المصدر نفسه من ١٦، ١٥.

^(٢) المصدر نفسه من ٤٧.

^(٣) المصدر نفسه من ٤٨.

^(٤) المصدر نفسه من ٤٨.

^(٥) المصدر نفسه من ٥٧.

^(٦) المصدر نفسه من ٥٤، ٥٣، ومبرها ١٢ يصعب تصحيحها وما يؤكد عدم صحة ما أحراره من معلومات وأخبار.

— ان مله حاكم لإبراهيم بن زياد [أخو أبي الجليلي، الذي أتى بعده]
لا شك قد طالت، وامتد نفوذه لكن لا كما يصورها لنا عمارة
من التوسع والمبالغة بل كان حكمه محصوراً على التهائم فقط^(١)

ونزيد على ما قاله شيخنا الأكوع: كان حكمه محصوراً على تهامة
اليمن فقط، ولم يمتد لا إلى السراة، ولا إلى بحران، كما لم يمتد إلى اليمن
بأسره، الجبال والتهائم، وحضرموت، كما يبلغ عمارة. بنليل الأتي:

-- أنه عام ٢٠٧هـ خرج على طاعة المأمون، ببلاذ عك: عبد
الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.
يذهب إلى الرضى من آل محمد، فلما بلغ المأمون ذلك وجه له دينار بن عبد
الله، أحد قواده المعروفين، ومعه حشد من الجنده، فسار دينار حتى مر
بمكة، وحج هو ومن معه موسم ٣٠٧هـ، ولما فرغ من الحج، توجه إلى
بلاذ عك، وكان يحمل كتاب أمان من المأمون إلى عبد الرحمن العلوي،
ليعرضه عليه قبل أن يحاربه، فإن قبله، وإلا حاربه، فلما دخل دينار أرض
حك أرسل إلى عبد الرحمن العلوي بكتاب الأمان، فقبله، وعاد إلى
الطاعة، وتفرق من كان قد تجمع حوله، فأقبل به دينار راجعاً إلى المأمون
أوائل عام ٢٠٨هـ فعفا عنه، وأكرمه^(٢) فأين ابن زياد من هذا الحادث إذا

^(١) للمصدر نفسه من ٥٣، وبليل أنه لم يرد له ذكر في أهميات كتب التاريخ الإسلامي، كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما.

^(٢) الطبري ٥٩٣/٨، ربيعة ونهاية ٢٩٤/١٠.

كان المأمون قد بعثه إلى نفس المنطقة عام ٢٠٣هـ - ١٩م يكن من الأجدى أن يعهد إليه بتلك المهمة بدلاً من أن يبحث إليها قائدًا وجنوداً يقطعون الفيافي من بغداد إلى بلاد عك.

- أنه لم تغفل أعين الخلفاء العباسيين - وبخاصة فترة ازدهار الدولة - عن اليمن أو غيره من أقاليم الدولة، حيث كانوا يهتمون بإرسال الولاة، ومتابعيهم، وليس أدل على ذلك من أن المأمون طلب سليمان بن عبد الله بن سليمان العباسي - وكان في مكانة عمه، ليعينه وأياً على اليمن، وجعل له ولاية إمامة الناس في الصلاة في كل بلد يدخلها، وكان مقيماً في دمشق، فخرج من دمشق، فكان يتولى الإمامة في كل بلد يدخلها في طريقه، حتى دخل بغداد فصلى بالناس عيد الفطر عام ٢١٦هـ، ثم شخص منها في طريقه إلى اليمن، فدخل مكة يوم ٢ ذو القعدة، فقبل يوم الناس في الصلاة حتى دخل موعد الحج، وهو الذي أقام للناس موسم حج عام ٢١٦هـ، ثم انطلق بعد للرسم إلى اليمن وأياً عليها .. وقدم منها عام ٢١٧هـ ليؤمّ الحجاج ويقوّمهم في المشاعر ذاك الموسم^(١) فأين ابن زياد الذي جعله عمارة ملك اليمن، وما حوله ١٩ ثم إنه كانت هناك شخصية قريبة من البيت العباسي تولى ولاية الحرمين خلال الفترة من عام ٢٢١هـ حتى عام ٢٣١هـ، وهو محمد بن دلوود بن عيسى، السني كان أبوه وأياً عليها إبان الخلافات بين الأمين والمأمون، وخلع الأسين، وبائع

(١) الطبري ٨/٦٢٩، ٦٢٩، والبديلة والنهاية ١٠/٣٠٨.

للمأمون، وقد تولى محمد هذا الخليج بالناس قوة ولايته^(١) وذلك فيما عدا
رمحين، وكان قد اقتضرت ولايته على مكة والطائف، وما يتبعهما عام
٢٢٨هـ، وعين والياً على المدينة محمد بن صالح بن العباس بن محمد،
العباسي، لأن بعض الأعراب حول المدينة سداؤوا يتطاولون على الناس
والسابلة، وعلى غيرهم من القبائل الأخرى، وبخاصة بنو سليم الذين كانوا
إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز، أخذوا ما يحتاجونه من الأسواق
بالسعر الذي يريدونه، لا بما يريد صاحب السلعة، وتطور بهم الأمر إلى
أن أوقعوا بنوهم من بعض القبائل، كبنى كنانة وباهلة، وقتلوا نفرًا منهم
في جمادى الآخرة عام ٢٣٠هـ، وكان يرأس هذه العشيرة من بنى سُليم
عُزَيم بن قطّاب الليثي السلمي، فوجه إليهم وإلى المدينة وهو يومئذ محمد
ابن صالح: حماد بن جرير الطوي، رئيس مملكة المدينة^(٢) فتغلبوا عليه،
 وقتلوه عند الرُّوَيْثَة، على ثلاث مراحل من المدينة، واستفحل أمر بنى سليم
بعد أن انضمت إليهم بطون أخرى منهم، واستباحوا القرى والمناهل، فيما
بين مكة والمدينة، واحتلوا على من يليهم من القبائل، واتحدى بهم بعض
القبائل الأخرى في المنطقة، وكاد زمام الأمن يفلت من السلطة، وتقتل
القبائل بعضها مع بعض، فوجه إليهم الخليفة الواصل: أبا موسى بشا الكبير،
على رأس جيش كثيف، فقدم في شعبان سنة ٢٣٠هـ إلى حُرّة بنى سُليم،

(١) الطوي ٨/٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٣.

(٢) كان الخصم ومن بعده ابنه الواصل، قد جعلوا في مقر كل ولاية مسلحة، مثل الشرطة، يحوّل الواصل يسألونه ل
تجديد الأوامر والتعليمات، ويحفظون على المدينة، ويحرسونها ليلاً ونهاراً، وسعوا الشكيرة.

فواقعهم عند شق الحرة من وراء السوارقية، وقتل خمسين من فرسانهم،
وانهزم الباقون، فندسهم إلى الأسان، والنزول على حكم الخليفة فيهم،
فأجابوا، فأعد من رؤسائهم جمعاً، وممن كانوا يوصفون بالشر والفساد
زهاء ألف رجل، جعلهم في سجن المدينة — دار يزيد بن معاوية — ثم
شخص إلى مكة حاجاً موسم ٢٣٠هـ، وبعد انقضاء الموسم عرج على
بنى هلال، ببادية الطائف، وكان طائفة منهم فعلت مثل بنى سليم من
قطع الطريق، فأخذ أهل الفساد والشر فيهم، وخطى سائرهم. ثم سار إلى
بني مرة، شمال عسير ففعل بهم مثلما فعل بنى هلال، ثم ذهب إلى بني
فزارة بفندق، وإلى غطفان وأشجع وبني كلاب، وكافة القبائل التي
حاولت الإخلال بالاستقرار والأمن^(١) .. واستمر في المنطقة حتى نهاية
عام ٢٣٢هـ، لأن بطناً من بني ثمر حات في الأرض فساداً، فلعب عمارة
ابن عقيل حفيد الشاعر جرير الخطفي، وكان هو شاعر أيضاً فمدح
الخليفة الوثائق بقصيدة، ثم شكى بنى ثمر إلى الخليفة، وأنهم يغربون على
الناس، والقبائل المجاورة لهم في اليمامة، فكتب الخليفة إلى بعا الكبير أن
يسير إليهم من المدينة، فسار إليهم ولم يغلب عليهم إلا بصعوبة، وفر
بعض رؤوسهم، فظل مساعده واسمه: واجن الصلدي يطاردهم حتى
صاروا إلى ما وراء تبالة، بالقرب من حد عمل اليمن، فعاد بعد أن فسأوه
ودخلوا أرض اليمن.^(٢) ولم يكن بمقدوره متابعتهم في داخل أرض اليمن إلا

^(١) انظر فيما سبق: الطوى ١٣٥، ٢٩/٩.

^(٢) للطوى ١٥٠، ١٤٩/٩.

بتعليمات من الخليفة نفسه، أو القائل العام بقا الكبير .. وهذا من حنة التنظيم الإداري.

تري لو كان ابن زياد كما يصفه عمارة يستولى على البلدان واحدة بعد الأخرى، ويحارب هذا وذاك كى يستخلص ما تحت نفوذهم من البلدان والوديان، ويقتل في طريقه ما يشاء بغرض إنشاء دولة يرثها أبناؤه من بعده، أفكان يُترك هو أو غيره، يفعل ما يشاء؟ إن شواهد التاريخ، وروائع الأحداث، وطبائع العمران والأحوال تنفي وقوع ما وصفه عمارة في شأن ابن زياد، خلال هذه الفترة التاريخية التي وُجد فيها أحد قواد الدولة بالمنطقة، لتأديب بعض الخارجين على الأمن من القبائل التي لا تُتبارك في قوتها، وبأسها! كما يلاحظ أن جعفر بن دينار عاد مرة أخرى إلى ولاية اليمن، من قبل الخليفة الواصل عام ٢٣١هـ، وسار إليها ومعه أربعة آلاف فارس^(١) للعمل على استتباب الأمن في بعض مناطقها، فيمنع أن بعض القبائل باليمن قد فعلت في هذه الفترة ما فعلته بنو سُليم وغيرها بمنطقة الحجاز.

ويلاحظ أيضاً أنه كان على بلدة يشه - في ذلك الوقت - وال قري، هو عيسى بن محمد، من بنى المغيرة من مخزوم من قريش، وأن الخليفة العترة عهد إليه هو وعبد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور بقتال اسماعيل بن

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٤٧، والطبري ج ٩، ص ١٤٠.

يوسف العلوي، حين ظهر بمكة عام ٢٥١هـ^(١) وبه يستدل على أن
المخزومي كان أحد الولاة المحليين التابعين لوالي مكة، ويشته أحد البلدان
التي تقع في نطاق ولاية الطائف المنصبة لولاية مكة، فمحمد بن أحمد
العباسي كان هو والي مكة في ذلك الوقت.

يمكن لابن زياد الذي حكم من عام ٢٠٢هـ حتى توفي عام
٢٣٥هـ أن يحارب جيرانه - كما يقول عمارة - ويدخل في حوزته ما
بأيديهم، ويقتل في سبيل ذلك ما يقتل، ويُضَيِّع العالم الحدودية لكل
ولاية، والتي يبيت على أساسها مطلوبات الخراج والصدقة، وحصر
القبائل في موطنها وغير ذلك من أسس كانت متونة بمقر وقاعدة الإقليم،
وفي ديوان الخلافة أيضاً^(٢). أقيم ذلك في عهد المأمون، الذي كان يملك
قوات مهدت له الخلافة شرقاً وغرباً، أو في عهد الخليفة فاتح عمورية،
حصن الروم الحمين^(٣) والذي أخذ عليه بعد وفاته أنه أنفق على الحروب
في عهده أكثر مما أنفق في الإنشاء وال عمران^(٤).

والعجيب أن الدكتور عزب صنف دولة بني زياد ضمن دول
الشبيعة التي قامت في اليمن^(٥) ونسي أن عمارة تنسب ابن زياد إلى بني

(١) انظر: خاتمة الأمان، لحيى بن الجسر، تحقيق د. سعد عبد الفتاح عاشور، وآخر القسم الأول ص ١٦٦، ١٦٧،
وفيه أن ذلك حدث عام ٢٤٩هـ، وانظر الطبري ٢٤٦/٩، ٢٤٧، ٢٧٢، وبه أنه حدث عام ٢٥١هـ وهو

الصواب كما في الجهمرة ص ٤٦، وهما الفرام ١٨٦/٢.

(٢) الطبري ج ٥٧/٩، والبدلية والنهاية ١٠/٣٢٢-٣٢٣.

(٣) انظر مقابلة ١٤١ التي حثها الدكتور محمد زيهب محمد عرب لكتاب عمارة بعنوان "تاريخ اليمن" ص ٧-٩.

أمية، فهل يُعقل أن يكون أحد من بنى أمية متشيعاً للعلويين؟ إن المشاحة والخصومة كانت مستحكمة بينهما، وكانت قباهما في بنى هاشم وبنى أمية منذ ما قبل الإسلام، حتى أن المقرئى ألف في ذلك رسالة (كيب) عنوانه على ما أذكر "الانصاف فيم وقع بين بنى هاشم وبنى أمية من خلاف" متبعاً بداية ذلك منذ العصر الجاهلي، وفي الإسلام .. ثم كيف يتشيع ابن زياد وقد بدأ عاملاً للعباسيين وكان بينهما مثلما كان بين الأمويين والعلويين؟ ولئن كان المأمون هو الوحيد الذى هادنهم مرة، وجعل أحدهم^(١) ولياً لمهده خوقى ولم يتم له شيء، لكن العباسيين ثاروا عليه يومها، وخطعوا طاعته وباهوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة عام ٢٠٢هـ بدلاً من المأمون ثم إن المأمون تراجع عن تلك الفكرة، وأبقى ولاية العهد في العباسيين، وفي سنده القوي أخيه المعتصم، ثم أقدم على اتخاذ موقف أشد في تعامله مع الطالبيين^(٢) عام ٢٠٧هـ، فأخذ يحد من

(١) هو على بن موسى بن جعفر بن محمد، العلوي وذلك عام ٢٠١هـ انظر الطبري ٥٤٤/٨، ٥٤٦، ٥٤٧، والبدية والنهاية ٢٧٩/١، ٢٨٠.

(٢) عندما يقال للهاشميون: فاحمل أبناء العرس، وأبناء أمى طلب بن عبد المطلب، وأما للعباسيون: فحاجة بنى عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والطلبون: خاصة لأبناء على، وجعفر، وعقيل أبناء أمى طلب بن عبد المطلب. والعلويون: خاصة لأبناء على بن أمى طلب: من الحسن، والحسين، ومحمد (المعروف بابن الحنفية) والحسينون: نسبة إلى الحسن بن علي، والحسينيون: نسبة إلى الحسين بن علي، وكافة طوائف الشيعة تابعون لأمة من أبناء على بن أمى طلب الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد. وهناك اختلافات كبيرة وواسعة في آراء ومعتقدات طوائف الشيعة، وفيها غلج شديد.

ومنع دخولهم عليه دون إذن، وأمرهم بلبس السواد^(١) فلبس هادن أحد من أحفاد ابن زياد أحدًا من الشيعة، فهى مهادنة سياسية.

كان من نتيجة الأخطاء التى وقع فيها عمارة اليمنى، أن الذين نقلوا عنه وقعوا في نفس الأخطاء، وحدث تضارب في أقوالهم، فمثلاً قال الجرافى^(٢) : إن الخليفة المأمون قلد ابن زياد أعمال اليمن عام ٢٠٣هـ، وأناد به أمر تأديب العصاة بتهامة اليمن، فقاتل قبيلة الأشاعرة، واستولى على تهامة^(٣) وعدن، وحضرموت. وأمتد نفوذه إلى مكة، واستمر كذلك حتى توفي عام ٢٤٢هـ^(٤) بعد أن أسس دولة مستقلة عن الخلافة، استمرت في ذريته حتى قيام بني نوح عام ٤٠٣هـ.

ثم يقول بعد ذلك^(٥) : إن الخليفة المعتصم بعث الأمر عبد الرحيم ابن ابراهيم الحوالى عام ٢٢٥هـ والياً على اليمن، وفي عام ٢٤٧هـ تولى حكم اليمن محمد بن يعفر الحوالى من قبيل الخليفة المنتصر ..

ولسائل يسأل: ألم يستول ابن زياد على اليمن، وما حوله ويكُون دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فكيف يرسل الخلفاء الولاة عليها، وإل

(١) الطبرى ٥٩٣/٨.

(٢) التلطف من تاريخ اليمن، ص ١٠٥، ومثل الجرافى كثيرون..

(٣) ونقول الصواب: تهامة اليمن فقط لأن بحرى الأحداث التاريخية تنهت ذلك. بليل ماسبق أن ذكرناه.

(٤) الصواب أنه توفي عام ٢٣٥هـ.

(٥) المرجع نفسه ص ١٠٧.

بعد الآخر ١٩. وما موقف ابن زياد من هؤلاء الولاة ٢٥. وأين هى الدولة المستقلة عن دولة الخلافة ٢٦. إن هذا التضارب والتناقض يبعث على عدم الثقة في الأخبار والروايات التى تصدر عن هراة النقل دون تدبر ..

وعلى كل فإنه يتضح من كل ما سبق أن عمارة بالغ كثرًا، وأن ذاكرته خائنه فصَحَّفَ وحَلَطَ، ولم يَطلُع على ما كتبه ثقة المؤرخين، لذا توهم أشياء لم تقع، وتلقفها عنه بعض المؤرخين دون تثبيت من صحتها — من منطلق الثقة — فوقعوا في الخطأ نفسه، وعسى أيديهم شاعت وكأنها حقائق مسلمة، لأن كثرة تداول المعلومة الخطأ يريد لها شهرة، ووسوعاً في اللحن، وربما يُنكر الصواب إن ظهر، شأن الكلمة المخالفة لقواعد اللغة، والقياس، التى اشتهر وشاع استعمالها خطأً. فإن الأذان تُمجِّع سماعها، ولا تستأنس بها إن قيلت صواباً، بينما تستعذبها وتشفق لها إن قيلت خطأً. حقاً آفة الأخبار رؤيتها..

حقيقة الوضع :

إن حقيقة الوضع على ضوء ماسبق من شواهد وأدلة تاريخية، أن ابن زياد سواء أكان مرسلأ من قبل الخليفة، أم كان من أبناء المنطقة، وسواء وُجد بها خلال هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدد سرد أعيانها، أم وُجد بعدها، فما هو إلا والٍ محدود الولاية على أرض عك والأشعرين فقط، يحكمها باسم الخليفة، ويستمد سلطته من السلطة العامة للدولة، مثل الولاة المحليين الآخرين، من رؤساء البلدان، ولخالف القبائل، الذين لا تعدى نفوذهم حدود منطقتهم، أو بلادهم، أو خلافهم، أو قبيلتهم، ليبدأ خلف تلك الحدود نفوذ الوال أو الرئيس الجاور .. وأى تعدى لتلك الحدود كان يعتبر اعتداء على حقوق الغير، وعندئذ يُرفع الأمر إلى والى الإقليم الذى يخضع هؤلاء إلى رئاسته، فإن استطاع ردع المعتدى، وإلا رفع الأمر إلى السلطة العليا التى ترعى الجميع، أى ديوان الخلافة، لأن هذا هو ما حدث فعلاً بالنسبة لبنى سُلَيم وغيرها من قبائل الحجاز. وفي اليمن أيضاً عندما عاد إليهم جعفر بن دينار والياً، يقود أربعة آلاف جندي عام ٢٣١هـ، كما سبق أن ذكرنا ذلك.

كان هؤلاء الرؤساء، أو الولاة المحليين هم الذين يُؤوِّنون الرئاسة لأبنائهم من بعدهم، طالما كانوا محل رضا وثقة من رؤوسهم .. كبنى عبد المنان على بنى الحارث بن كعب بنحمران، ثم بنى الجون من بنى عبد المنان .. وبنى طرف على مخلافى حكم وعشر، ثم إلى أن رحلتهما سليمان

ابن طرف تحت مسمى " المخلاف السليماني " في جازان، وغير ذلك.
وكرؤساء القبائل على قبايلهم .. أسا رلاة الأتالييم والأمصار والولايات
مثل مكة، والطائف، والمدينة، واليمامة، واليمن، والكوفة، ومصر، وغيرها
فلان ولاتها كانوا يعينون من قبل الخليفة، وله أن يعزلهم متى شاء، كما
شاهدنا ذلك خلال السرد التاريخي السابق ..

وحينما بدأ الضعف والوهن يتسرب إلى قلب الدولة العباسية في
النصف الثاني من القرن الثالث هجري، كانت أطرافها أشد تأثراً بهذا
الضعف والوهن، كالشجرة الباسقة تصفّر أوراقها، وتسرع في الذبول،
عندما تعريها الشبحوخة، فكان أول ما انفصل عن جسم الدولة أطرافها
في شمال أفريقيا، وأدنى الشمال الشرقي فيما وراء عراضان بأمسيا، أما في
شبه الجزيرة العربية فكان حتربها هو الأبعد عن تناول يد الدولة، وأصبح
المناخ فيه مهيباً لنمو الأفكار والآراء المنهية^(١) كما أتيحت الفرصة لهؤلاء
الولاة المحليين لأن ينمو نفوذهم شيئاً فشيئاً، بمقدار إغسار نفوذ الدولة
عنهم تدريجياً، وأغراهم ذلك على بسط نفوذهم على مجازيرهم من الولاة
الضعفاء ورؤساء القبائل، وتخلت الدولة - بسبب ضعفها المتنامي - عن
أهم وظائفها وواجباتها، وهو مناصرة الضعيف، والسهو على الأمن،
وحفظ حقوق الرعية في تلك المناطق، واكتفت أحياناً بإرسال ولاة أقاليم

^(١) تاريخ اليمن لابن المطاوع، ص ١٤٦ قال: كان باليمن ملأى من غلبة، وبماشية (فرقة من المشركين)
وحوية، ونقول: وشعبة زيدية، وبماشية، وغيرها بالإسراف إلى أهل السنة، وكان وجود هذه الطوائف سبباً في
للضعف والاضطرابات لأزمان طويلة.

من قبلها، لا يندخلون فيما يحدث في المنطقة، وإنما يكون وجودهم فيها وجوداً اسمياً وشرفياً، كما اكتفت من هؤلاء الولاة الخليلين، بتقديم الطاعة والولاء، ولو بشكل مظهري، كالدماء على المسير، وكتابة اسم الخليفة على الصكوك المتعامل بها نقدياً، وقبول بعض الهدايا بدلاً من الخراج، أو الصدقة، أو الارتضاع، كما كانت تسمى به في ذلك الوقت.

بدأ هؤلاء الولاة الخليلين بسط نفوذهم على أكبر مساحة من جسم الدولة الواحدة الضعيفة، بعد أن تأكلوا من عدم مقاومتها لتصرفاتهم، محاولين إضفاء الشرعية على أعمالهم وتصرفاتهم، سواء بإعلان الطاعة، وأنهم فعلوا ما فعلوه ولم يخرجوا عن طاعتها، ولأنها، كبنى زياد، وللتحاحيين، أم بالفروج عن الطاعة، بزعمهم أنه حادت عن تمكيس كتاب الله، كالخوارج، أو أن حكائهما ليسوا أولى بالحكم منهم كالأكمة الزينيين وغيرهم.

ووقع تنافس بين هؤلاء الولاة. ونشأت بينهم حروب طسال مداها، بهدف السيطرة على أكبر مساحة من الأرض، لإقامة دويلة عليها، يتوارثها الأبناء من بعدهم، ولم يدر بخلد أحد منهم في ذلك الوقت الحدود الإقليمية لتراحي شبه الجزيرة العربية، أو بالأحرى الحدود الإقليمية لليمن نفسها، كى يندور الصراع بينهم داخل تلك الحدود، بهدف ترحيلها سياسياً مثلاً، وإنما كان الجبال أمامهم متسعاً في أقاليم وأرض الدولة ممثلة في شبه الجزيرة العربية بكاملها، فصبرحتهم في ذلك الوقت لا تهد بحسود إقليمية، ولو كان بمقدور أحد منهم أن يسط نفوذه إلى كافة أقاليم

الدولة، بل وإلى قلبها في بغداد لما تواتى في التخصّص ذلك، مما يملك بأرض اليمن، فلم يستطع أحد منهم توحيدها سياسياً، فقلّت في عهدهم تجزأة، ومفتته، وأبناؤها وقود لتلك الحروب وانصرامات المتواصلة.

وكان على كل بلدة حاكم، وعلى كل مخرّات أمير غالباً، وجميعهم في صراع متواصل، على مدى ثلاثة قرون تقريباً، إلى أن دخلت اليمن في حوزة الدولة الأيوبية عام ٥٦٩هـ، مما دعا محقق كتاب تاريخ مدينة صنعاء لأن يقول: ونرى صنعاء في نهاية القرن الرابع لها في كل شهر حاكم، وفي كل يوم أمير^(١) وبلغ التعصب المذهبي أحياناً إلى استمساغة فرض الجزية على سكان اليمن من أهل السنة^(٢) وتنازع السلطة في اليمن أحياناً عدة أئمة، وكثيراً ما تعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ومن الطريف أنه حدث في منتصف القرن الثالث عشر الهجري أن تنازع خمسة أئمة في صنعاء، وما سوطها في عصر واحد عقب وفاة المهدي عبد الله بن التوكل^(٣) لذا لم يتسن لأحد منهم توحيد اليمن سياسياً وإقليمياً.

وعموماً فطالما أن مسألة الإقليمية لم تكن في اعتبار هؤلاء المتصارعين على امتداد النفوذ، ولم تنهض في حلدهم، فمن عطل السراى أن

^(١) مقدمة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ص ٢٢، لقطعة فتايا ١٤٠٦هـ.

^(٢) انظر مقدمة تحقيق كتاب تاريخ اليمن للمسي "تاريخ طبق الحنوى ومجانب لادن والسوى" كمد الله بن علي الوزير والتي كتبها باسم مركز الدراسات والبحوث اليمنية: عبد الصمد القليسي، ص ١٤.

^(٣) اليمن الكبرى للريسي، ص ٢٦٤.

يقال إن امتداد نفوذهم إلى مناطق أخرى ألقى الشخصية السابقة للأقاليم المضاعفة، وأكسبها إقليمية جديدة دائمة¹. فكل من قيل ذلك في معرض الاستشهاد التاريخي لامتداد نفوذ هؤلاء الولاة المحليين على بعض الأماكن، فعاداً يقال عن امتداد نفوذ المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين إلى كافة القساع والأصقاع، وكذلك في عهد الأمويين، والعباسيين وهم أصلاً من أهل الحجاز .. من قريش². ثم إن القرامطة، والفاطميين، وبنو بويه، والمماليك وغيرهم امتد نفوذهم إلى كثير من المناطق والأقاليم، ولم تحج خلال ذلك هوية أي إقليم، وإن كان اكتسب الصبغة السياسية للوقت هؤلاء لكنه عادت له هويته السياسية المحلية، التي تتوافق مع خواص إقليمته وطباع أهله وعاداتهم، بمجرد انحسار ذلك النفوذ عنه، وإن الشواهد على ذلك في العصر الحديث كثيرة، مثل المستعمرات في عهد دول الاستعمار، فقد عادت للدولة المحتلة هويتها السياسية، بمجرد انتهاء النفوذ الاستعماري عنها .. بالشكل الذي يتوافق مع إقليمته، ورغبات أهله ومواطنيه في الأسلوب الذي يحكمرون به أنفسهم، وكدول روسيا الاتحادية التي انفرط عقدها، وعادت لكل منها هويتها السياسية، بما يتوافق مع إقليمته السابقة، ورغبة مواطنيه وذلك بمجرد تداعى كايوس الشيوعية الذي كان جاثماً على أنفاسها .. فهو نفوذ مؤقت قام لعدة عوامل، وعند انتهائه زال ذلك النموذج ..

ويتبين من كل ذلك أن مسألة امتداد النفوذ ليست ذات أهمية، وبخاصة في العصر الذي تتناول أحداثه ونستعرض رقايعه .. لأنها كانت

عبارة عن غزو وسطو كتلك التي كانت تقع بين القبائل بعضها مع بعض، دون أن يؤثر ذلك على وضعية الأرض والأقاليم. وبالتالي التبعة الإقليمية التي أوصحنها فيما سبق ..

ثم تعالوا بنا نستعرض بلمحة سريعة نشأة بعض تلك الدويلات^(١) التي أقامها هؤلاء الولاة المحليين، لتلمس مدى هذا النفوذ .. إن كان هناك نموذج حقاً كما يزعم البعض!..

دولة بني زياد (٢٠٣هـ - ٣٩١هـ) قاعدتها زبيد، وسبق أن أوضحنا أن الجميع نقل ما كتبه عنها، وعن نشأتها، وامتداد نفوذها إلى كثير من المناطق، عن عمارة اليمنى، وأنه توهم أشياء لم تقع، وخطب وصحف، فلا يمكن الاعتماد على ما كتبه عمارة .. فالحقيقة أن نفوذ بني زياد لم يخرج عن تهامة اليمن، ولم يمتد إلى حرض بتهامة الحجاز، لأنه كان عليها ولاية عمليون، وكانوا يخضعون إدارياً لولاية مكة، وعند ضعف الدولة العباسية ظلوا يحكمونها، وتربطهم بولاية مكة والطائف، علاقة وثقة، تشبه إلى حد كبير الارتباط الإداري، وأن منطقة حازان وهي المجاورة للزياديين، كان يديرها بنو الحكم من أهل المنطقة، ثم انتقل الحكم فيها عام ٣٩٣هـ إلى آل موسى الجون، وهم من أبناء المنطقة أيضاً، ولم يخضعوا للنجاحيين (٤٠٣-٥٥٥هـ) الذين قاموا بزبيد على انقراض الزياديين، ولا

(١) أطلق بعض المؤرخين عليها اسم: دولة، أو مملكة، وهي بهذا الإطلاق تختلف عن المعروف في العصر الحديث، بتكوينات الدول وأسس تشكيلها في مفهوم الدولة، أو القانود الدول العام.

لغيرهم، بليل أنه عندما استفحل أمر ابن مهدي، في تهامة اليمن^(١) وحاول بسط هيمنته ونفوذه على حازان بتهامة الحجاز، وقعت بينه وبين حاكمها في ذلك الوقت غاتم بن حمزة، وقائع وحروب قتل فيها ابن حمزة، فاستنجد أخوه بالخليفة العباسي، مكب الخليفة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي حاكم مصر، بصرتة، فبعث صلاح الدين أخاه توران شاة إلى اليمن عام ٥٦٩هـ فاستولى على كافة اليمن، وقضى على تلك الدويلات التي كانت قائمة فيه، ودخلت بذلك اليمن في حكم الأيوبيين من عام ٥٦٩هـ حتى عام ٦٢٦هـ، ثم خلفهم الرسوليون من عام ٦٢٦هـ حتى عام ٨٥٨هـ، ثم بنو طاهر وهم قرشيون من عام ٨٥٨هـ حتى عام ٩٢٣هـ ثم للمماليك الجراكسة من عام ٩٢٣ حتى بداية الدولة العثمانية في اليمن عام ٩٤٥هـ كفوها من الأقاليم والأقطار العربية التي دخلت في حمزة الدولة العثمانية.^(٢)

تري في أي اتجاه كان امتداد النفوذ؟ من اليمن أم إليها؟ وخلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة^{١٩}، وهل لو كان لأحد بالمنطقة نفوذ على حاكم حازان، أو تهامة عسير، غير نفوذ الخليفة، وغير إلى الإقليم مثلاً، أليس من الأحدى به أن يبعث الاستغاثة إليه، لقرب مكانه، وسرعة مجده؟ بل أكثر من هذا فإن المؤرخين أنفسهم الذين أرحبوا لها سبق،

^(١) قامت دولة بني مهدي عام ٥٥٣-٥٥٨هـ.

^(٢) تختلف من تاريخ اليمن للحراشي، ص ١٢٦، ١٢٧، وتاريخ اليمن للواسعي، ص ١٨٩، وتاريخ اليمن لعنار، تحقيق د. زبيد، ص ١٥٦، وقاية الأمان، القسم الأول، ص ٣٢١-٣٢٤.

قالوا: إنه في عهد الأيوبيين امتد النفوذ الدعوى لبني حمزة، حكام جاران إلى صنعاء، وصعدة^(١) وأن حكام دولة بنى رسول بريد كانوا يستميلون حكام حازان، وأقطع الملك المظفر الرسول أحدهم مدينة القُحمة^(٢) ، عندما زاره في زبيد.^(٣)

ثم إن كثراً من هؤلاء الولاة المحليين كان يستمد سلطته من الخليفة العباسي، أو الفاطمي، أو الأيوبي، أو المملوكي، وذلك بإعلان الطاعة حتى ولو بصورة رمزية أو اسمية، فكان هذا اعترافاً ضمنياً بهيمنة الدولة والحضوع لها، وهو يشبه إلى حد كبير الدخول تحت الحماية في العصر الحديث .. وإن امتداد سلطة الدولة للمناطق التي تحت أيدي هؤلاء الولاة لم ينقطع، ولم تنفصل تلك المناطق عن جسم الدولة سياسياً، وربما لهذا السبب وجه حاكم نهامة عسور استغاثته إلى الخليفة العباسي، ولهذا أيضاً قدمها الأيوبيون، والمماليك وغيرهم، على اعتبار أنها امتداد لأرض الدولة .. ولهذا السبب أيضاً تصدرت الدولة في عهد المماليك إلى النفذة الأوربيين كالبورتغاليين وغيرهم، عندما قدما بحراً إلى المنطقة.

(١) تاريخ صمارة، بتحقيق د. زهنها، ص ١٢٨، وهو الجزء الذي جمع من تاريخ بن جلدون عن اليمن، وأغنى بالكتاب.

(٢) القُحمة في الشمال الشرقي من زبيد، فيما بين بيت القبة والمنصورة وهي غير القُحمة الواقعة ببلاد النجدة، شمال حازان بمسافة ١٣٠ كيلو، على الساحل.

(٣) لفتحة للحراني، ص ١٣٣، ومدينة القُحمة كانت بالقرب من جبل القحمة على وادي خول في شمال الشرق لزبيد، بين بيت القبة والمنصورة، وهي عربة حالياً. انظر معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٢٤.

إن شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وإن كانت مقسمة إلى أقاليم جغرافياً وإدارياً، لكنها كانت تحتبر وحدة سياسية مترابطة ضمن أقاليم الدولة، وإن ترزعها ولاية علي بن، لأن أيّاً منهم لم يملك القدرة على تكوين دولة كويتاً سياسياً مستقلاً في نظر العالم الخارجي ذلك الوقت.

بل ظلت المنطقة في نظر العالم الخارجي، على أنها جزء من جسم الدولة العباسية ثم المماليك، وقسمها العثمانيون عام ٩٤٦هـ على اعتبار أنها جزء من جسم الدولة، وأنها ورثت من كان قبلها في ائمة على أجزاء الدولة وأرضها.

ونلاحظ أن الأئمة الزيديين ظلوا قوة طويلة منذ استقرارهم في اليمن عام ٢٨٤هـ^(١) يرمون بالدعوة ولا يلتفتون إلى السلطة، ثم بدأوا يتجهون إلى الحكم والسلطة، وعندما دخل الأيوبيون اليمن عام ٥٦٩هـ انحاز الأئمة إلى صعدة، ولم يجابهوا الأيوبيين، وظلوا كذلك في عهد الرسولين ثم الطاهرين ٨٥٨هـ، ثم بدأوا في الدخول مع غيرهم في صراعات. كما تنازعوا السلطة فيما بينهم، وكثيراً ما تعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ووقت واحد^(٢)، ودخل أهل بحران مع الأئمة في حروب طويلة، لمنع نفوذهم إليهم، ورفض دعوتهم، وهيمتهم عليهم، وذلك إيات فترة

(١) كان الأمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني، أول من ذهب إلى اليمن للمرة الأولى عام ٢٨٠هـ، ثم تركها وعاد إلى فارس، ثم ذهب إليه شيعته وحملة إلى العودة إلى اليمن عام ٢٨٤هـ. فاستمر بها هو وخليفته، تاريخ اليمن، لابن الطلاح ص ٧٤ ٧٦.

(٢) اليمن الكبرى، للويس ص ٢٦٤، وابن الطلاح ص ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠.

ضعف الدولة، ورونها، وعجزها عن مد يد العون للضعيف، كما كان الحال في مجدها، حتى عمت الفتن والاضطرابات جنوب شبه الجزيرة .. وقام صراع طويل بين هؤلاء السولاة المحليين، ودخل الأكمة حلبة هذا الصراع .. ولم يستطع أيّ منهم التغلب على الساحة وتوحيد اليمن سياسياً في ذلك الوقت. لذا فإن امتداد نفوذ أيّ منهم إلى ما وراء حيزه — إن حدث — كان امتداداً مؤقتاً، ولفترات عارضة يعود بعدها، إما رغبة أو رهبة إلى مرقعة، وبالتالي يعود الاقليم أو البلدة إلى وضعها السابق، دون أن يترتب عليه أيّ أثر سياسى، لأنه لم يكن يدور بينهم ذلك الهدف، ولذا فإن أعمالهم كانت تشبه إلى حد كبير الغزوات والعارات التى لمس لها من الثبات والنجومه ما يودى إلى التوحيد السياسى لبناء دولة، وما يتفق مع رغبات السكان، والرضا من المواطنين .. فامتداد النفوذ الخارجى قهراً كان أشبه بالاستعمار، وعند زواله يعود الوضع إلى ما كان عليه سابقاً

ونلاحظ أن صاحب كتاب "غاية الأمانى"^(١) الذى حاول فيه تجميع تاريخ اليمن منذ البعثة النبوية حتى عام ١٠٤٥ هـ، متوسعاً في ذكر الدول التى قامت باليمن، والصراعات التى دارت بينها، وتعددها خاصة في القرن السادس الهجرى، قال: "افتقر مُلك اليمن في هذه المدة، فكان عدن أبين، والد ملوه، وتعز إلى قبيل صيد لآل زريع، أهل عدن. وذمار وخاليفها لسلطان جنب. وصنعاء وأعمالها إلى نواحي الظاهر، وحدود الأهنوم،

(١) غاية الأمانى في أخبار القطر البمانى، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠ هـ).

لعلى بن حاتم اليمامي، صاحب صنعاء، والجوف وما يليه لآل النعام. وصعدة وما يليه للأشراف بنى المداي، وشهارة وبلادها لأولاد القاسم العياني. والجريب وما حوله لولد عمر بن شرحبيل المحجوري، وزيد وبلاده إلى حد حررض [.. لاحظ كلمة: حررض هنا آخر حدود اليمن] لعبد النبي بن علي بن مهدي. "أي أن دولة بنى مهدي تنتهي حدودها الغربية إلى حد حررض..

ثم قال: "ولم يزالوا كذلك حتى زالت دولتهم جميعاً ببنى أيوب."^(١) فانظر كيف قسمت اليمن إلى عدة دويلات، وإمارات، تنازعت فيما بينها قروناً عديدة، وقد قصصها المؤلف، وأتى على ذكر كل منها بشكل تفصيلي، ثم أعطانا في النهاية خلاصة هذا التفصيل. وهو حين أوردنا في النص السابق، أوردنا كذلك تقاسمت أرض اليمن وتنازعت فيما بينها، حتى انتهت جميعها على يد الأيوبيين ولم تدخل منطقتنا ذلك الصراع، وإنما وقف الصراع بينهم عند حدود حررض، ولم يتجاوزها غرباً وشمالاً.

كما نجد أن ابن الجاور^(٢) الذي زار المنطقة أوائل القرن السابع الهجري، يقول — بعد أن عدد ذكر بعض البلدان في تهامة وعسير، وأهلها —: "إنهم قبائل وفصوذة من العرب، ليس يحكم عليهم سلطان،

^(١) انظر غاية الأمان، ص ٣١٦ في كل ما سبق.

^(٢) هو جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن الجاور، الشيعي، للمخلفي.

بل مشايخ منهم وفيهم." ^(١) ويقول عن بحران " .. إن أهلها لا يطعمون للملك العز ولا لسلاطين العرب" ^(٢) وهو يقصد بملك العز الأيوبيين ومن عاصروهم من الحكام والأمراء العرب.

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم خضوع منطقتنا لأي من نفوذ المتصارعين في جنوب شبه الجزيرة العربية.

كما نلاحظ أن بن بطوطة، الرحالة العربي الشهير ^(٣) مر بالمنطقة، بعد أن جاور بالحرم الملكي فترة، ثم أدى الفريضة عام ٧٢٠هـ، وانطلق بعدها مع حاكم حلي، وهو عامر بن فويب من بني كنانة، إلى بلاد حلي فركبه في البحر حتى حلي، فاستضافه ابن فويب، ثم انطلق نحو اليمن، ومر ببعض الأساكين والبلدان. حتى وصل زبيد وعندها قال: إنها مدينة عظيمة باليمن .. وهي إحدى قواعد اليمن ^(٤) بينما لم ينسب غيرها مما مر به من بلدان إلى اليمن، ولم يذكر اليمن إلا عندما وصل إلى زبيد .. وهذا يعني أنها بداية أرض اليمن ..

^(١) كتاب "المستبصر" تحقيق لويس لوفجرين، لبنان/بيروت ص ٢٦.

^(٢) فراجع تقسيمه ص ٢١٠.

^(٣) ابن بطوطة، هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، الطنجي، نسبة إلى مسقط رأسه طنجة من بلاد المغرب بشمال أفريقيا. خرج من بلدته طنجة لتقيام برحلته الشهيرة يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥هـ، وكان عمره ٢٢ عاماً، وظاف كثيراً من بلدان العالم العربي والإسلامي. وسجل رحلته في كتابه تسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار" المعروف باسم: رحلة ابن بطوطة.

^(٤) رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ١٥٦.

وهذا كله يؤكد ما رأيناه، مدعماً بشواهد وأدلة تاريخية، سردنا بعضها خلال هذا الطرح لمسيرة التاريخ في مراحلنا المتابعة.

وأما كان فإن نشأة الدول في العصر الحديث تعتمد على أسس ومعايير ومفاهيم دولية، أوضحها نظم والقوانين الدولية .. كما أوضحت أسس العلاقات بين الدول المتجاورة، واعتبرت من يشذ عن تلك الأسس خارجاً، ومعادياً للمجتمع الدولي.

ويوضح من كل ماسبق أن منطقة بحثنا - حازان وعسور وجران - كانت امتداداً لوسط شبه الجزيرة العربية، ومرتبطة بها اجتماعياً وروحياً قبل الإسلام، ثم أضيف إلى ذلك المنصر الإداري في ظل الإسلام، وعلى مدى فترات التاريخ الإسلامي. حتى قيام الدولة العثمانية، ودخلها إلى المنطقة. ومواكبة ذلك نشأة الدول في العصر الحديث .. وهو ما نركز عليه الدراسة في الجزء الثاني من هذا البحث - إن شاء الله -

المراجع

أولاً :

- القرآن الكريم
- بعض كتب السنة

ثانياً: الكتب

- د. إبراهيم، حسن.
- اليمن البلاد السعيدة، سلسلة احتفنا لك (٥٢) د. المعارف/القاهرة.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- الأزرقى، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ)
- أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح ملحق.
- دار الأندلس، بيروت.
- ابن الأصبغ، عرام السلمي (٢٧٥هـ)
- أسماء جبال تهامة وسكانها، مطبع ضمن مجموعة قام بمجمعها وتحقيقها،
- د. عبد السلام هارون، في سلسلة نواذر المخطوطات. ط: ٢، الحلبي،
- القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، القرشي الأموي
الأصبهاني البغدادي (٣٥٦هـ)
الأصهاني، دار الفكر، القاهرة.
- الأكرع، محمد بن علي، الحوالي.
- اليمن الخضر مهدي الحضارة، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة
١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الأكرسي، محمود شكرى
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهمة الأتري
ط: ٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- بإسلامة، حسين عبد الله
- تاريخ الكعبة العظيمة، تهامة، حلة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن بطرطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي
- تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، الطبعة الثانية،
القاهرة.
- البغدادي، صفى الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)
- مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي الجساوي، دار
المعرفة، بيروت.
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسي (٤٨٧هـ)
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لجنة التأليف والرجة
والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن دلوود (٢٧٩هـ)

أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار الصادق، بيروت.
فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- د. بيزرون، إبراهيم

الحجاز والدولة الإسلامية. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

... البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)

مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث، القاهرة
١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- ابن نيمة، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الحراني النمشقي (٧٢٨هـ)
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتب العربية،
بيروت.

- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الخثيث الطائفي (٢٣١هـ)

ديوان الحماسة، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الأمام
محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ونسخة أخرى
بشرح التبريزي، ط: ١ دار الفلم، بيروت.

- ابن جعفر، قدامة، الكاتب (٣٢٠هـ)

الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، مكتبة المتنبي
بيروت.

- الحارمي، أبو بكر، محمد بن أبي عثمان مرسى بن عثمان (٥٨٤هـ)

عجالة المبعدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق عبد الله كنون، ط: ٢:
القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ)
الإصابة في تمييز الصحابة، دار صياد، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ.
- الخريز، أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق (٢٨٥هـ)
المنايا وأماكن طروق الحج، تحقيق محمد الجاسر، قدم له مقدمة مفيدة، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (٤٥٦هـ)
جوهرة الأنساب العرب، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط: ٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن الحسین، يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد (١١٠هـ)
غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة، دار الكسائب العربي
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الحقيقل، حمد إبراهيم
كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط: ١٠، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحلبي، علي برهان الدين بن إبراهيم بن أحمد بن علي (١٠٤٤هـ)
السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- حمزة، فؤاد
في بلاد حمير، ط: ٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- د. حميد الله، محمد

مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط: ٢،
بغروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- ابن خردادبة، أبو القاسم، حيد الله بن عبد الله (٣٠٠هـ)
المسلك والممالك، طبع لأول مرة مطبعة بريل، لندن ١٨٨٩م، ثم
صورته وأعادته مطبعته مكتبة المثنى ببغداد.
- الخزرجي، عيسى بن الحسن بن أبي بكر، الزبيدي، المعروف بابن وهاس
(٨١٢هـ)

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، دار الحلال بالقجالة،
القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي، الأشيبلي (٨٠٨هـ)
تاريخ ابن خلدون، المسمى "العبر ودهوان المبتدأ والخير في أيام
العرب والعجم والسير ومن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر"،
بغروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، مصورة عن طبعة حمر.
- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. احسان عيسى، دار الثقافة
بغروت.

- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (بعد عام ٢٣٢هـ)
كتاب مسورة الأرض، طبعة: دولف هولتز، فيينا، النمسا ١٣٤٥هـ/
١٩٢٦م.

- ابن خياط، أبو عمرو، خليفة بن خياط، الشيباني، البصري (٢٤٠هـ)
الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- الدهلوي، عبد الستار
الملتقى في أخبار أم القرى، أبواب، وفصول مختارة من كتب كل من:
الأزرقى، والفاكهى، وابن ظهيرة، والفاسى، وغيرهم، طبع لندن.
- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ)
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت،
مصورة عن طبعة حجر.
- الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود (٢٨٢هـ)
الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠م.
- الذهبي، لمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)
سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، د. حسين الأسد، مؤسسة
الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- تقييد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت.
- الرازى، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ)
أدب الشافعى ومناقبه، تحقيق عبد القسى عبد الخالق، دار الكتب
العلمية بيروت ١٤٠٦هـ.
- الرازى، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، الصنعاني (٤٦٠هـ) •
تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، وعبد الجبار
زكار، ط: ٢، صنعاء ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله، الصنعاني

مختصر ألباء اليمن وثباته في الإسلام، ضمن مجاميع لكتاب بعنوان:
الألباء عن دولة بلقيس وسبأ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الزبيدي، عبد الدين أبو الفيض، السيد محمد مرتضى (١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦هـ.
- الزبيدي، أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله المصعب (٢٣٦هـ)
نسب قبش، عن نشره والتعليق عليه لأول مرة: ١، ليفسي، بروكسفال
ط: ٢، دار المعارف مصر.

- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله (٢٥١هـ)
كتاب الأسئلة، تحقيق شاهر ديب فياض، مركز الملك فيصل
للبحوث، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- د. سالم، السيد عبد العزيز
دواصت في تاريخ العرب، الجزء الخاص بتاريخ العرب قبل الإسلام،
مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

- السبكي، تاج الدين أبو النصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي
(٧٧١هـ)

طبقات الشافعية الكبرى، ط: ٢، دار المعرفة، بيروت.

- سرنك، الميرالاي إسماعيل

حقائق الاختيار عن دول البحار، المطبعة الأموية، القاهرة ١٣١٢هـ.

- ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع، الزهرى، أبصري
(٢٣٠هـ)

الطبقات الكبرى، دار صادر ودار بيروت، بيروت
١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

ابن سلام، أبو عبيد، القاسم بن سلام الطبري (٢٢٤هـ)
كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمي (٥٦٢هـ)
الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط: ٢، بيروت
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- السهودي، علي بن عبد الله بن أحمد (٩١١هـ)
وفاء الوفا يا غفار دار المصطفى، تحقيق إبراهيم الفقيه، ط: ٢،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد، العمري، الأشيلي، المصري
(٧٢٤هـ)

عيون الأثر في المغازي والشمال والمسير، دار الجليل، بيروت، ط: ٢،
١٩٧٤م.

- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٩١١هـ)
تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة
١٩٧٥م.

الكنز المنفون والملك المشحون، القاهرة، الحلبي ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- د. شرف الدين، أحمد حسين
اليمين عبر التاريخ، ط: ٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- صري باشا، أيوب

- مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، د. أحمد فؤاد منبولى، د. الصقصاقي أحمد المرسي، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - صبرى بك، عبد العزيز
- تذكار الحجاز، خطرات ومشاهدات في الحج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٢هـ -
- العامري، عماد الدين أبو بكر، يحيى بن أبي بكر بن محمد (٨٩٢هـ) - بهجة الخافق وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمال، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي الأندلسي (٣٢٨هـ) - العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، ط: ٢، جنة التأليف والرجعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
- العقيلي، محمد بن أحمد - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان. د. على، حواد -
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط: ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة ببيسناد ١٩٧٦م.
- د. العلي، صالح أحمد - الدولة في عهد الرسول ﷺ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م محاضرات في تاريخ العرب، ببيسناد ١٩٦٠م.
- عمارة اليمنى، أبو محمد، ابن أبي الحسن، على بن محمد الحكمي (٥٦٩هـ) -

تاريخ اليمن، المسمى "المفيد في أخبار صنعاء وزيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها"، تحقيق عماد بن علي الأكوع الحرالي، ط: ٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

ونسخة أخرى من الكتاب نفسه طبعت بعنوان "تاريخ اليمن" تحقيق د. محمد زيتهم عزب، دار الجليل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- د. العمرو، علي عبد الرحمن

أثر القوم السياسي في العصر العباسي، مطبعة الدجوى، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الحرالي، محمد

فقه المسيرة، طبعة قطر.

- د. الخديم، عبد الله يوسف

أقاليم شبه الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات الحديثة المعاصرة، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- القاسي، قتي الدين، محمد بن أحمد بن علي، المكي (٣٨٢هـ)

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فزاد سيد، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

- ابن النقيع، أبو بكر، محمد بن أحمد، الهمداني (٢٨٩هـ)

مختصر كتاب البلدان، لندن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)

- المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، ط: ٢، دار المعارف، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسى، موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد
التيين في الحساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الديلمى، بغداد
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط: ٥، الحلبي، القاهرة
١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن أبي بكر بن أحمد
(٩٢٣هـ)
المواهب اللدنية بالفتح الحمديّة، بشرح الزرقاني، تحقيق صالح أحمد
الناسى، المكتب الإسلامى، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (٨٢١هـ)
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- قلهوژن، يوليوس
تاريخ الدولة العربية، ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة
١٩٦٨م.
- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)
البيان والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة، القاهرة
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت.

المسورة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- كحالة، عمر رضا

معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- الكتاني، عبد الحى بن محمد، الحسنى.

نظام الحكومة النبوية، المسمى "التراتب الإدارية" دار إحياء التراث
العربي، بيروت.

- ابن الكلبي، أبو منذر، هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ)

الأهنام، تحقيق أحمد زكى باشا، دار الكتب، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

- الماوردي، أبو الحسن، على بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط: ٣، الحلبي، القاهرة
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)

الكامل في اللغة والأدب، مكتبة الناصر، الرياض، ١٣٨٦هـ.

نصب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز المومني الراجكوتي، الدوحة
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابن الجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، الشيباني
الدمشقي، المعروف بابن الجاور.

صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز، المسمى "تاريخ المستبصر" اعتنى
بتصحيحه وضبطه، أوسكر لو فغرين، لندن، بريل ١٩٥١م.

- ابن أبي عمرة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، الشهير: بالطيب،
بأنقرة (٩٤٧هـ)
- تاريخ شهر عدن، طبعة بريل، لندن ١٩٢٦م، ضمن مجموعة.
- المقدسى، مطهر بن طاهر (٣٥٥هـ)
- كتاب البلد والتاريخ، عني بنشره لأول مرة المسيو كلمان، قنصل
فرنسا، على أنه لأبي زيد بن سهل البلغى، وطبع في باريس عام
١٨٩٩هـ ثم أعيد طباعته على أنه للمقدسى.
- المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين (٣٤٦هـ)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عيسى الدين عبد الحميد،
ط٢: المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- التبيه والأشراف، بتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوى،
القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
- ابن المطاع، أحمد بن أحمد بن محيي
- تاريخ اليمن الإسلامى، من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق
عبد الله محمد الحبشى، شركة التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- اللقحفى، إبراهيم أحمد
- معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م.
- م.ب.بيوتروفسكى
- اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة، تعريف محمد الشعيبي،
دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.
- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابورى (٥١٨هـ)

- جمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط: ٣، دار الفكر
القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- مجلة المجال (دورية) العدد ٢٥٧، أغسطس ١٩٩٢م.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط: ٣، دار الكتاب العربي، بيروت
١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- النيسابوري، أبو اسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، التغلبي (٤٢٧هـ)
قصص الأئمة، المسمى "عرائس المجالس" المكتبة الثقافية، بيروت.
- ابن تيمية المصري، جمال الدين (٧٦٨هـ)
شرح الميمون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
- التويري، شهاب الدين، أحمد بن حيد الوهاب (٧٣٣هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة.
- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ)
السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط: ٣، دار إحياء
التراث العربي، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد
(بعد ٤٠٠هـ)
- الأوائل، تحقيق د. وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة
والنشر، الرياض.
- الحمداني أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٤٤هـ)

الاكليس، ج ١٠، تحقيق عبد الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكو، وتقديم حمد الجاسر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- الراعي، عبد الواسع بن يحيى

تاريخ اليمن، المسمى "فرجة المموم والخزن في حوادث وتاريخ اليمن" ط: ٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢هـ)

تاريخ اليعقوبي، دار الفكر، بيروت.

- الراقي، محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)

المغازي، تحقيق د. مارسيدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.

- ابن الوردي، زين الدين، عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)

تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف: بتاريخ ابن الوردي، تحقيق

أحمد رفعت البدرأوى، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

ابن الوزير، عبد الله بن علي

تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الخلود ومصالح المن والسلوى"

تحقيق محمد عبد الرحيم حازم، وتقديم عبد الصمد القليس، منشورات

مركز الدراسات والبحوث اليمن، دار المسورة، بسمروت

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- الويسي، حسين بن علي

اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

بناقوت اعمري، شهاب الدين أبو عبد الله، بناقوت بن عبد الله الرومي

(١٢٢٦هـ)

معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

المحتويات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
١ - مقدمة	١
الباب الأول: بلاد العرب	٥
١ - جغرافية بلاد العرب في رأى قدامى الجغرافيين	٥
تهامة	٦
الحجاز	١١
٢ - موقع أقاليم جازان، وعسير، ونجران	١٧
جازان	١٧
عسير	١٩
نجران	٢٢
٣ - أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلى	
حتى ظهور الإسلام	٢٩

٢٩	طبقات العرب
	الباب الثاني: الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في
٤٧	العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام
٦٥	— ملوك العرب في الشمال
٧٢	— علاقة المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الممالك
٨٠	— تحليل وقائع حادث القيل
	الباب الثالث: حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور
٩١	الإسلام
٩١	— موقف القبائل العربية من الإسلام
١٠٢	— موقف قبائل المنطقة من الإسلام
١٢٤	— نجران
١٤٥	— موقف الملوك والحكام من الإسلام

الباب الرابع: الدرجات الإدارية للدولة الإسلامية

- ١٥٣ في عهد الرسول ﷺ
- ١٥٣ - أسس الدرجات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة
- ١٦٩ - نصيب منطقته من تلك الدرجات الإدارية
- ١٨٤ - حركة السودة
- ٢٠٩ - جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفترات الإسلامية
- ٢٢٧ - استمرارية العمل بالدرجات الإدارية فيما بعد الرسول ﷺ

الباب الخامس: التبعية الإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء

- ٢٣٥ الراشدين حتى بداية الدولة العثمانية
- ٢٣٥ - الخلفاء الراشدون
- ٢٣٦ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٢٤٠ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٢٤٧ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

الصفحة

الموضوع

٢٥٠	عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٥٤	-- عهد بني أمية
٢٦٧	عهد العباسيين
٢٧٢	-- محاكمة نجراني
٢٧٦	-- الشافعي والياً على نجران
٢٨٦	-- بلاد عك والأشعرين
٢٩٦	-- مصدر تاريخي في ميزان النقد
٣١٤	-- حقيقة الوضع
٣٢٧	-- فهرس المراجع
٣٤٣	-- فهرس الشخصيات

رقم الإيداع ٨٨٥٧ / ٩٥
التسجيل الدولي ٤ - ٩٠٩٦ - ٥٥ - ٩٧٧ I . S . B . N

مطبعت بمطابع وإدارة التعاون للطبع والنشر

دار السلام - طريق المعادي الزراعي - القاهرة

تليفون : ٣١٨٢٥٣٢ - ٣١٨٢١٦٠

٣١٨١٣٦٥ - ٣١٨١٧٧٨

فاكس : ٣١٨٤١٦٢ دار السلام

